ديڤيد كريستال

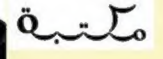
مختصر تاريخ اللغة



ترجمة: أحمد الزبيدي


















ديڤيد كريستال

مختصر تاريخ اللغة

ما يكاد يمر أسبوعين حتى يشهد عالمنا انقراض إحدى اللغات، لكننا في الوقت ذاته نشهد بشكل شبه يومي ظهور ألفاظ وتعابير وكلمات جديدة، لذلك بات من المهم جداً فهم أصول اللغات وطبيعة تطورها. في هذا الكتاب الساحر يبرهن لنا الخبير اللغوي ديڤيد كريستال لماذا تستحق قصة نشوء اللغات وخصائصها وتطورها وموت بعضها بذل كل هذا العناء في البحث والتقصي وأهمية التطرق إليها من جديد.

يأخذنا كتاب مختصر تاريخ اللغة في رحلة شيقة وممتعة تبدأ من الكلمات الأولى التي ينطقها الأطفال الرضع ليصل بنا إلى اللغة الغريبة للرسائل النصية التي بات يستخدمها الكثيرون في وقتنا الحاضر. ويكشف عن عدد لا يحصى من تعقيدات وعجائب اللغات، ويبحث المؤلف ديڤيد كريستال بأسلوب لغوي فريد من نوعه في أصول اللهجات الغامضة ويكشف عن أولى الكلمات المكتوبة في خضم نقاشه لمحنة اللغات المهددة بالانقراض بالإضافة إلى إشارته إلى الأمثلة الناجحة لإحياء بعض اللغات دون أن يكون كتابه مجرد سرداً للأحداث ثمّ يتطرق في هذا الكتاب أيضاً إلى مستقبل اللغة ويستكشف تأثير التكنولوجيا في نشاطنا اليومي في القراءة والكتابة والكلام ويكشف كتاب مختصر تاريخ اللغة من خلال الرسوم التوضيحية والاختبارات البسيطة إضافة إلى أسلوبه المشوق عن القصة الكاملة لنشوء وتطور اللغة بشكل يجعلها حكاية تأسر قلوب الأفراد من جميع الأعمار.

مختصر تاريخ اللغة

اسم الكتاب: مختصر تاريخ اللغة

اسم المؤلف: ديفيد كرستال

ترجمة: أحمد الزبيدي

الطبعة الأولى 1440هـ/ 2018م

عدد الصفحات: 400 صفحة

الناشر: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع. العراق - بغداد

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-601-68-7



العراق – بغداد – شارع المتنبي
07819141219 | 07702931543
darktbalmya@yahoo.com

للنشر والترجمة
PUBLISHING & TRANSLATION
العراق - بغداد - المنصور
darmanairaq@gmail.com

ديڤيد كرِستال

مختصر تاريخ اللغة

مكتبة | 880
سُر مَن قرأ

ترجمة
أحمد الزبيدي





المحتويات



الفصل الأول: لغة الأطفال الرضّع 7
الفصل الثاني: من الصراخ إلى الكلام 14
الفصل الثالث: تعلُّم كيفية فهم اللغة 26
الفصل الرابع: تكوين الاهتزازات الصوتية 37
الفصل الخامس: نطق الأصوات 48
الفصل السادس: اكتشاف قواعد اللغة 58
الفصل السابع: إجراء محادثة 68
الفصل الثامن: تعلُّم القراءة والكتابة 76
الفصل التاسع: تعلم التهجئة الصحيحة 87
الفصل العاشر: القواعد والاختلافات في التهجئة 97
الفصل الحادي عشر: القواعد والاختلافات في النحو 108
الفصل الثاني عشر: اللهجات واللكنات 117
الفصل الثالث عشر: حينما تتكلم لغتين 129
الفصل الرابع عشر: لغات العالم 139
الفصل الخامس عشر: أصل الكلام 151
الفصل السادس عشر: أصل الكتابة 159
الفصل السابع عشر: أساليب الكتابة الحديثة 169

الفصل الثامن عشر: لغة الإشارة 181
الفصل التاسع عشر: المقارنة بين اللغات 190
الفصل العشرون: اللغات الميتة 199
الفصل الحادي والعشرين: التغيرات في اللغة 208
الفصل الثاني والعشرين: التباين اللغوي 219
الفصل الثالث والعشرون: لغة العمل 229
الفصل الرابع والعشرون: اللغة العامية. 239
الفصل الخامس والعشرون: القواميس 249
الفصل السادس والعشرون: علم أصول الكلمات 258
الفصل السابع والعشرون: أسماء الأماكن 267
الفصل الثامن والعشرون: الأسماء الشخصية 278
الفصل التاسع والعشرون: الثورة التقنية 289
الفصل الثلاثون: لغة الرسائل النصية 299
الفصل الحادي والثلاثون: اللعب مع اللغة. 309
الفصل الثاني والثلاثون: لماذا نستخدم اللغة 318
الفصل الثالث والثلاثون: لغة المشاعر. 329
الفصل الرابع والثلاثون: الصواب السياسي 337
الفصل الخامس والثلاثون: لغة الأدب 346
الفصل السادس والثلاثون: تطوير أسلوب الكتابة 356
الفصل السابع والثلاثون: تعقيدات اللغة 366
الفصل الثامن والثلاثون: علم اللغويات. 375
الفصل التاسع والثلاثون: التطبيقات اللغوية 383
الفصل الأربعون: عالمك اللغوي 393

الفصل الأول



لغة الأطفال الرضّع

نقوم أحيانًا بفعل بعض الأشياء الغريبة في اللغة. وتحدث أكثرها غرابة عندما نجد أنفسنا أمام طفل جديد. ماذا نفعل حين نريد أنْ نتحدّث معه؟

من المحتمل أنْ نقول له (مرحبًا) أو (ما هو اسمك؟) أو (كم أنتَ جميل!) أو شيء من هذا القبيل.

لماذا نفعل ذلك؟ بالتأكيد إن الطفل لم يتعلم الكلام بأي لغة حتى الآن. ولا يمكن أنْ يفهم كلمة مما نقوله. ومع ذلك نتحدث معه كما لو كان يعرف.

عادة ما تكون أمّ الطفل هي أول من يقوم بالحديث معه. وعندي هنا مثال حقيقي على ما أقول، وهو عبارة عن شريط

صوتي تم تسجيله بعد بضع دقائق فقط من ولادة طفل جديد نسمع فيه هذه الكلمات:

أنتَ رائع، أنتَ رائع، أنت، أنت، أنت، نعم، أنت... مرحبًا... مرحبًا... أنتَ جميل... أليس كذلك...

وتستمر الأمّ في الكلام على هذا النحو لفترة طويلة، وهي تحتضن القادم الجديد. في هذه الأثناء، لم يكن الطفل يولي أدنى اهتمام لها. لكنه يتوقف عن البكاء ويغلق عينيه. قد يكون قد نام. لكن الأم لا تهتم. ورغم إنه تجاهلها تمامًا لكنها مع ذلك استمرت في الحديث.

وكانت تتحدث بطريقة مضحكة للغاية. لا أستطيع بسهولة كتابة الطريقة التي كانت تتكلم بها، ولكنها كانت شيئًا من هذا القبيل:



يا

آه

اه

أنت

رائع

أنت رائع...

كان صوتها في البداية عاليًا جدًا، ثم بدأت تخفّضه رويدًا رويدًا. كانت تبدو كما لو كانت تغني. عندما قالت (مرحبًا) كان صوتها مرتفعًا جدًا وأطالت في مد الكلمة (مرحبًا). أما عبارة (أنتَ جميل أليس كذلك) فقالتها بصوت عالٍ جدًا أيضًا، كما لو إنها كانت تطرح سؤالًا.

الشيء الآخر الذي فعلته، والذي لا يمكن وصفه عن طريق الكتابة، هو إنها كانت تقرب شفتيها عندما تتحدث، تضمها كما لو كانت تمنح شخصًا ما قبلة. إذا قلنا عبارة - ولا يهم ما هي - مثل: «ألست طفلاً صغيرًا جميلاً؟»، ونحن ندفع شفاهنا بأقصى ما نستطيع إلى الأمام، وحينما نصغي إلى ذلك، فإنه يبدو وكأنه طفل حديث الولادة يتكلم. وهذا بالضبط ما يدعونه الناس بلغة الأطفال الرضع.

يعد تقريب الشفاه سمة مهمة في حديث الطفل. وكذلك الأمر مع المبالغة في رفع مستوى الصوت. وهناك سمة أخرى تميز الطريقة التي تتحدث بها الأم مع طفلها. إنها تعيد قول الشيء نفسه مرارًا وتكرارًا:

آه يا لك من طفل رائع، أنت رائع، أنت، أنت، أنت.

والحقيقة إن هذا أمر غير طبيعي للغاية. فهل حدث أنْ قابلت شخصًا ما وقلت له نفس العبارة ثلاث مرّات متتالية؟ فحين نقابل صديقًا في الشارع لا نقول له:

مرحبًا جون، مرحبًا جون، مرحبًا جون. هل أنتَ قادم إلى المحل؟ قادم إلى المحل؟ قادم إلى المحل؟

إذا فعلنا ذلك ربما نصبح أحد نزلاء مستشفى الأمراض العقلية. ومع ذلك فإننا نتحدّث على هذا النحو مع الأطفال الرُضّع ولا أحد يجد في ذلك أي شيء غريب على الإطلاق.

لماذا فعلت الأمّ ذلك؟ ولماذا يفعل الكثير منا ذلك؟

دعنا نفكر في الأمر من وجهة نظر الأمّ أولاً. إنها تحب هذا الطفل، وتريد أنْ تعبر عن حبها له. لكن هناك شيئًا آخر: إنها تريد من الطفل أنْ يتكلم معها. ولكن للأسف، فإن الطفل لا يتمكن من التكلم بعد. لكنها ربما كانت تفكر مع نفسها، إذا كان بإمكاني حمل الطفل على النظر إليّ فقط، لرؤيتي لأول مرة، إذا استطعت فقط جذب انتباه الطفل؟

لن نحظى أبدًا باهتمام شخص ما إذا ما حافظنا على هدوئنا أو تحدثنا عن أشياء عادية. بدلاً من ذلك علينا نصرخ، أو نصفّر. أو نتحدث بشكل مختلف، بشكل يثير الانتباه: «يا فريد! نحن هنا! هيه، هووو!»، فكر في هاتين الكلمتين (هيه هووو!) للحظة. يا لها من كلمتين صاخبتين! ولكننا نسمع أشخاصًا يصدرون أصواتًا كهذه عندما يريدون لفت انتباه شخص ما على الطريق أو مناداته.

ونحن نصدر أصواتًا مختلفة عندما نريد جذب انتباه الأطفال. لن نجعلهم يلاحظوننا إذا قلنا أشياء عادية بطريقة عادية. لقد استمعت إلى العديد من التسجيلات لمحادثات مع أطفال حديثي الولادة، لا أحد يتحدث معهم على الإطلاق بشيء من هذا القبيل، وبنبرة صوت عادية:

صباح الخير. أنا والدتك. هذا مستشفى. وهذه قابلة. وهنا يوجد سرير. اسمكِ هو ماري...

هذا هو الأسلوب الذي نستخدمه عندما نتحدّث مع الأطفال الصغار عندما يكبرون قليلاً. إنه أسلوب عملي أكثر

وغني جدًا بالمعلومات. كما يفعل المعلم مع تلاميذه. يتحدث الناس مع الأطفال في الثانية من العمر على هذا النحو. «احذر. هذا هو صنبور المياه الساخنة. وهناك البارد... » نحن لا نتحدّث مع الأطفال حديثي الولادة بهذه الطريقة.

فكر الآن في الأمر من وجهة نظر الطفل. ها أنتَ ذا، قد خرجت لتوك إلى الدنيا، وتحدث من حولك أشياء كثيرة. لم يكن كل ما حدث أمرًا ممتعًا، لقد تمت عملية ولادتك، وبكيت كثيرًا. لكن الأمور بدأت تستقر الآن. أصبحت دافئًا، وتشعر بالراحة، ويقوم أحدهم بإحداث ضجيج من حولك، ضجيج لا معنى له، ولكن ما تزال هناك أصوات ما... هل تستحق أنْ تُعيرها الاهتمام؟ إذا كنت تسمع كلمات مثل: (هذا هو المستشفى). هذه قابلة، هنا يوجد سرير: (تقال بطريقة عادية)، قد تستنتج أن هذا العالم الجديد سيكون مملاً إلى حد الموت، وقد تعود إلى المكان الذي أتيت منه. ولكن إذا سمعت عبارة: أوه، أنتَ رائع. بطريقة تجتاح كيانك وتهزّه من الأعلى إلى الأسفل، وتتكرر عدة مرّات، ربما يكون هذا العالم الجديد شيئًا مثيرًا للاهتمام! ربما ينبغي أنْ أفتح عيني وأرى، أوه، بعض الشفاه مثيرة للاهتمام إلى حد ما! إذن من هذه،؟ إنها تبدو لطيفة إلى حد ما!

إن حديث الأمّ مع الطفل هو إحدى الطرق التي تقيم الأمهات والأشخاص الآخرين من خلالها روابط قوية مع أطفالهم. وتضع الأساس لتطوير ملَكات اللغة لديهم، ومن خلال التحدّث مع الأطفال بهذه الطريقة فإننا نشرع بتعليمهم

لغتهم الأمّ من دون أنْ ندرك ذلك، وأحيانًا نعلمهم أكثر من لغة، إذا كان الطفل يعيش في عائلة يوجد فيها من يتحدث أكثر من لغة واحدة. ومن خلال تكرار الجمل، وجعلها ملحوظة، فإننا نبدأ معهم عملية تعلّم اللغة. عندما يبدأ الناس في تعلم لغة أجنبية، فإنهم يعرفون ما يحتاجونه من أجل تعلّم الكلمات الأولى. إنهم بحاجة إلى سماعها تقال مرارًا وتكرارًا، بصوت عالٍ وواضح، من قبل شخص يعرف كيفية القيام بذلك.

يحدث الشيء نفسه مع الأطفال. إذا سمعوا نفس الأصوات والكلمات وأنماط الكلمات بشكل متكرر، فإنهم سيلتقطون كلمات اللغة بوقت مبكر.

ولكن ما هي سرعة (الوقت المبكر) هذه؟ كم من الوقت يستغرق الأطفال لتعلّم الكلام؟ وأي أجزاء من لغتهم الأمّ سيتعلمون أولاً؟

الأطفال الرُضّع، والببغاوات، والارتطامات الصاخبة

نحن نتحدّث مع الأطفال الرُضّع بلغتهم. ولكن هناك مناسبتين أخريين نستخدم فيها هذه اللغة.

الأولى عندما نتحدث مع الحيوانات. إذا استمعنا بعناية إلى شخص يتحدّث إلى حيوان أليف، فإن ما نسمعه هو أمر شبيه بما يحدث عندما نتحدث مع الأطفال الرُضّع. في الواقع يمكن أنْ يكون الأمر أكثر غرابة. ولكن الناس لا يدركون إنهم يفعلون ذلك. لقد سجلت ذات مرّة شريطًا صوتيًا لوالدتي وهي تتحدّث إلى طير الببغاء الذي كانت تربّيه، ثم أعدته لها بعد ذلك. لم تصدق كم بدت غريبة جدًا! لكن الببغاء لم يكن يعتقد ذلك.

وما هي المناسبة الأخرى؟ عندما نمزح مع أصدقائنا ونعاملهم كما لو كانوا أطفالاً. تخيّل الأمر التالي: يرتطم إصبعك بشيء ما، فتنظر إلى صديقك راغبًا في قليل من التعاطف. لكن صديقك يعتقد أنكَ تثير ضجة لا داعي لها. تمسك بإصبعك وتقول: «انظر، إنه متورم». فيسألك صديقك مستهزئًا: «يا لك من مسكين هل تورّم إصبعك»؟ بالطبع، لن تستمر صداقتكم لفترة طويلة، بعد ذلك الحادث!



الفصل الثاني



من الصراخ إلى الكلام

من الممتع حقًا الاستماع إلى الأطفال الرُّضّع خلال السنة الأولى من حياتهم ومحاولة فهم ما يقولونه. يمكننا أنْ نتعلم الكثير عن موضوع اللغة بهذه الطريقة.

وأول ما نلاحظه، إذا كنا نستمع إليهم في وقت مبكر جدًا، لنقل في حوالي الشهر الأول من العمر، هو إن الأصوات التي يصدرونها لا تبدو إنها تمت بصلة إلى اللغة على الإطلاق. إنهم لا يتكلمون. هم يصرخون فقط، يستخدمون صوتهم للتعبير عن بعض احتياجاتهم الأساسية الملحة.

هذا ما نسميه في أغلب الأحيان ببساطة (البكاء). لكن الصيحات ليست متشابهة. إذا كان الطفل جائعًا، فإن صرخة الجوع ستكون على الشكل التالي:

و و و و
ا ا ا ا
ا ا ا ا
ء ء ء ء

كل (واء) قصيرة جدًا، وهناك وقفة قصيرة بين كل واحدة.

إذا كان الطفل يعاني من الألم، يمكننا سماع الفرق على الفور، حينها يصبح شيئًا من هذا القبيل:

و
ا و
ا ا و
ا ا ا و
ا ا ا ا
ء ء ء ء

تبدأ صرخة الألم في الجزء المرتفع من الصوت مصحوبة بضجيج عالٍ، وبعدها تكون الشهقة التالية أقصر قليلاً وبصوت منخفض أكثر، والثانية التي تليها سيكون مستوى صوتها أقل وهكذا. إذا تم التقاط الطفل واحتضانه، يتوقف البكاء. إذا لم يحدث ذلك الأمر، يكرر الطفل هذا النمط من البكاء إلى أنْ يأتيه شخص ما ويحقق له ما يريد.

وإذا كان الطفل مسرورًا؟ عندها يكون الصياح أكثر هدوءًا واسترخاءً، يشبه كثيرًا الغرغرة. وهو ما يطلق عليه أحيانًا تعبير (صراخ المتعة).

وهنا يُطرح سؤال. إذا لم نتمكن من رؤية الطفل، ولكن سمعنا فقط تلك الصرخات، فهل سنتمكن من تحديد اسم اللغة التي كان يتعلمها؟ هل كان يصرخ بالإنكليزية أم الفرنسية أم

الصينية؟ الجواب هو (كلا). في هذا العمر، يبدو الأطفال في جميع أنحاء العالم متشابهين. أجرى الباحثون تجارب لإثبات ذلك. لقد سجلوا مقاطع صوتية لصراخ الأطفال في لحظات الجوع والألم والمتعة لعدد من الأطفال في أجزاء مختلفة من العالم، وخلطوا التسجيلات، ثم طلبوا من عدد من المستمعين تصنيفها. وسألوهم: «هل يمكن لأحد منهم تمييز الطفل الإنكليزي؟ عن الفرنسي أو الصيني»، لم يستطع أحد أنْ يفعل ذلك.

لكن بعد مرور عام واحد، سيبدأ نفس هؤلاء الأطفال بالتحدث باللغة الإنكليزية أو الفرنسية أو الصينية. في الواقع، بحلول ذلك الوقت، سوف يبدأون في قول بعض الكلمات. إذن متى نسمع أصواتًا تعبر عن اللغة الأمّ في حديث الطفل؟ دعونا نتبع طفلاً خلال عامه الأول من الحياة، ونرى.

لن نلاحظ تغيرًا كبيرًا في صرخات الأطفال حتى عمر ثلاثة أشهر تقريبًا. ثم سنسمع شيئًا جديدًا يحدث ويمكننا رؤيته أيضًا. سنرى الطفل يحرك شفتيه، ويتلفظ في نفس الوقت، فتصدر أصوات مثل (أووو)، أو مثل صوت (بررررر) الذي نحدثه في شفتينا عندما نشعر بالبرد. وتبدو الغرغرة الصادرة من مؤخرة الفم أيضًا أكثر إتزانًا وفهمًا. من المستحيل أنْ تكتب هذه الأصوات باستخدام حروف الأبجدية، لكن الكثير منها يبدو كما لو أن الطفل يقول (goo) أو (coo)، وبالتالي فإن هذه المرحلة تدعى عادة (cooing) المناغاة. سنشعر بالسعادة حينما نرى طفلنا يحاول لأول مرة أنْ يخبرنا بشيء ما.

هل يمكن تمييز الرضيع الإنكليزي عن الفرنسي وعن الصيني في هذه المرحلة؟ الجواب كلا. في عمر الثلاثة أشهر، ما يزال الأطفال الذين ينتمون إلى هذه الخلفيات اللغوية متشابهين تمامًا.

لننتقل بسرعة إلى الأمام ثلاثة أشهر أخرى. الآن يحاول الأطفال نطق الأصوات بطريقة مسيطر عليها بشكل أكبر بكثير. سنسمع أصواتًا نعتقد إننا نعرفها. سيشبه بعضها أصوات اللغة المستخدمة من حولهم. على وجه الخصوص، يمكن أنْ يضموا شفتيهما معًا بثبات ثم يطلقونها فجأة، ويخرجون صوتًا مثل (با) أو (با) أو (ما). هذا يبدو لطيفًا، لذا فهم يفعلون ذلك عدة مرّات متتالية. إذا قلنا تلك الأصوات – (با با با) و(ما ما ما) عدة مرّات – سنبدو كأننا في عمر ستة أشهر. يطلق الناس على هذه المرحلة اسم (المناغاة).

يبدأ الأطفال الرُضّع بالمناغاة بين حوالي ستة أشهر إلى تسعة أشهر. إنهم يحاولون نطق عدد كبير من الأصوات خلال ذلك الوقت. سنسمع (نا نا نا) و(دا دا دا)، بالإضافة إلى (با با با) و(دي دي دي) وغيرها من التوليفات الأخرى. إنها مرحلة مهمة جدًا في تطوير اللغة. كما لو إنهم يتدربون عليها ويمكننا أنْ نتخيلهم وهم يفكرون الآن ماذا يحدث إذا دفعت لساني لأعلى ما أستطيع في المقدمة، وحركته قليلاً؟ هذا يبدو جيدًا. وماذا لو قمت بضمّ شفتي معًا بقوة؟ ممتاز جدًا!

ثم يلاحظون أن بعض الأصوات التي ينطقونها تجعل الكبار من حولهم متحمسين للغاية عندما تنطق الشفاه صوتًا

مثل: (ما ما ما ما)، فان ذلك يجعل تلك السيدة اللطيفة التي تطعمني غاية في السعادة. وصوت: (با با با) يبدو وكأنه يثير إعجاب الرجل اللطيف ذي الصوت العميق الذي يحملني ويلعب معي. وما هو أكثر إثارة للاهتمام هو إنه عندما أفعل هذا، فإنهم ينطقون أصواتًا أيضًا. إنها لعبة رائعة. أعتقد أنني سألعبها مجددًا!

لا عجب أنْ يثير ذلك حماس الآباء. في اللغة الإنكليزية، وفي العديد من اللغات، تبدو أصوات مثل (ما ما ما) مشابهة لكلمة (ماما)، و(دا دا دا) تبدو مثل كلمة (daddy). (وتعني بابا باللغة الإنكليزية) لذلك من الطبيعي أنْ يعتقد الوالِدان أن طفلهم أصبح يتلفظهم بأسمائهم أخيرًا. لكن الأمر ليس كذلك. في هذه المرحلة، ليس لدى الأطفال أي فكرة عما يقولونه. إنهم يصنعون أصواتًا من أجلهم فقط. إذا كانت بعض هذه الأصوات تشبه الكلمات الحقيقية، فهذا مجرد صدفة. سيحتاج الأمر بضعة أشهر أخرى قبل أنْ يدرك طفل يتعلم الإنجليزية أن كلمة ma ma لها معنى بالفعل.

كيف نعرف إن الطفل ليس لديه فكرة عما يقوله؟ لأننا نسمع الصوت نفسه (ma ma ma) الذي يتم استخدامه في جميع أنواع المواقف، سواء كانت الأمّ موجودة أم لا. تخيل إنك تتعلم كلمة في لغة أجنبية، مثل الفرنسية، ولتكن كلمة (porte)، على سبيل المثال. إنها تعني (باب). ولكن إذا سمِعنا الناس نقول (porte) عندما نرى قطة، أو تفاحة، أو سريرًا، فإنهم سوف يستنتجون

بسرعة إننا لا نملك أية فكرة عن المقصود بكلمة (porte). ولا يغيروا رأيهم إلّا حين يسمعوننا نقولها إذا رأينا بابًا. نفس الشيء يحدث مع الأطفال. سيأتي وقت يتعلمون فيه، إن في اللغة الإنكليزية، اللفظ (ماما) هو الذي يحتاجون إلى استخدامه عندما يريدون التحدث عن (الأمّ)، أو الاتصال بها. وفي عمر الستة أشهر، لم يكونوا قد وصلوا إلى هذه المرحلة بعد.

لنذهب بسرعة إلى الأمام ثلاثة أشهر أخرى. الآن يحدث شيء مهم حقًا. شيء لم أذكره، عندما تحدّثت عن المناغاة، وهو إن الأصوات تخرج بطريقة عشوائية إلى حد ما. قد نسمع كلمة (با با با)، ولكن لفظ مقطع (با) الأول فقط يكون واضحًا للغاية. أما الباقي فيتم نطقه بشكل أقل ثباتًا وانتظامًا، ولا يكون لتتابع المقاطع ككل أي شكل محدد. ولكن في غضون تسعة أشهر، ولأول مرة، سيكون لتتابع مقاطع مثل: «با با» شكل محدد. لقد بدا وكأنها كلمات حقيقية. كيف يتمكن الأطفال من القيام بهذا؟

السبب هو إنهم بدأوا يتعلمون اثنين من أهم ميزات اللغة. الأول هو الإيقاع. والثاني هو التنغيم. سأتحدّث عن التنغيم فيما بعد. الإيقاع هو (الرنّات) التي تمتلكها اللغة. في لغة مثل اللغة الإنكليزية، يمكننا سماع هذا الإيقاع إذا قلنا جملة بصوت عالٍ، أو صفقنا في كل مرة نسمع فيها صوتًا قويًا. في هذه الجملة:

I think it's time we went to town

أعتقد إنه حان الوقت لكي نذهب إلى المدينة.

توجد الرنّات القوية في هذه الجملة في كلمات مثل think (اعتقد) و time (الوقت) و went (نذهب) و town (مدينة). وإيقاع الجملة ككل هو (te tum te tum te tum te tum).

وهذا النوع من الإيقاع هو المثال النموذجي في اللغة الإنكليزية. يمكننا سماع أمثلة عنه في الكثير من قصائد الشعر. ويستخدم على نطاق واسع في أغاني الأطفال مثل هذه الأغنية:

كان دوق يورك العظيم — The grand old Duke of York
يملك عشرة آلاف رجل — He had ten thousand men

هنا يتكرر إيقاع (te tum te tum te tum) مرتين. وهو نمط الشعر المفضل لدى ويليام شكسبير. إذا ذهبنا لمشاهدة واحدة من مسرحياته، فان هذا هو النوع الأساس من الإيقاع الذي ستستخدمه شخصيات المسرحية. لكننا لا نسمع مثل هذا الإيقاع في جميع اللغات. لا يتكلم الفرنسيون لغتهم بمثل هذا الشكل. كلامهم له إيقاع يشبه إلى حد ما (rat a tat a tat a tat). والصينيون لا يتكلمون لغتهم بمثل هذه الطريقة أيضًا. عندما يسمع الإنكليز الصينيين يتحدثون، غالبًا ما يصفون كلامهم بأنه يشبه (أداء أغنية).

عند بلوغ عمر التسعة أشهر، يبدأ الأطفال في تضمين كلماتهم بعض الرنّات، مما يعكس إيقاع اللغة التي يتعلمونها. أول صوت يطلقه الأطفال الإنكليز عند تعلمهم النطق يكون مثل (te tum te tum). أما الأطفال الفرنسيون فيكون صوتهم (rat a tat a tat). وتبدو كلمات الأطفال الصينيين وكأنها أداء

أغنية. بالطبع، إنهم لا ينطقون كلمات طويلة جدًا حتى الآن. لا يقول هؤلاء الأطفال لأمهم: «أعتقد إن الوقت قد حان كي نذهب إلى المدينة» أو ترديد أغنية (The Grand Old Duke of York). لكنهم يحاولون التحدث بكلمات بسيطة، مثل mama (ماما) و dada (دادا)، وهذه تبدو كلمات حقيقية. لا تحتوي الكلمات المنطوقة على معنى واضح حتى الآن، ولكن يتم نطقها بثقة وثبات أكبر. ويتكون لدينا شعور حينها بأن تحدثهم باللغة الحقيقية أصبح قاب قوسين أو أدنى.

يتم تعزيز هذا الشعور من خلال الميزة الثانية للغة والتي ذكرتها قبل قليل: التنغيم. وهو لحن أو موسيقى اللغة. إنه يشير إلى الطريقة التي يرتفع بها الصوت وينخفض أثناء حديثنا. كيف يمكن أنْ نقول لأحدهم إنها تمطر؟ It's raining, isn't it، وأحيانًا نقول (innit)

نحن نقوم بإخبار الشخص، لذلك نعطي كلمتنا لحنًا يدل على (الإخبار). ينخفض مستوى صوتنا ونبدو وكأننا نعرف ما نتحدث عنه. نحن نوصِل له معلومة لكن تخيل الآن إننا لا نعرف ما إذا كانت السماء تمطر أم لا. نعتقد إنها ربما تمطر، لذلك نطلب من شخص ما التحقق. يمكننا استخدام نفس الكلمات، لكن لاحظ علامة الاستفهام، هذه المرّة:

إنها تمطر، أليس كذلك؟

الآن نحن نسأل الشخص، لذلك نحن نعطي لكلمتنا نغمة (السؤال). يرتفع مستوى صوتنا ونبدو وكأننا نطرح سؤالًا.

وهكذا فأنا الآن أستطيع الإجابة على السؤال الذي طرحته في نهاية الفصل 1 أي جزء من لغتهم الأم يتعلم الأطفال أولاً؟ الجواب: الإيقاع والتنغيم. إذا خلطنا تسجيلات صوتية لأطفال إنكليز وفرنسيين وصينيين في سن التسعة أشهر، وطلبنا من بعض الأشخاص تحديد لغة كل واحد منهم، يمكنهم القيام بذلك. بدأ الأطفال الذين يتعلمون الإنكليزية بنطق اللغة الإنكليزية. وبدأ الفرنسيون بالنطق بالفرنسية. والصينيون بدأوا بالنطق باللغة الصينية. يمكننا سماع الإيقاع والنغمة التي تبدو مألوفة.

في الوقت الذي يصل فيه الأطفال إلى عيد ميلادهم الأول، عادة ما يبدأون في تطوير أنماط تنغيمهم، وذلك باستخدامها للتعبير عن المفاهيم المختلفة. هناك أغنية قديمة تقول: «ليس المهم ما تقول بل الطريقة التي تقوله بها». هذا شيء يبقى معنا طوال حياتنا. كثيرًا ما نسمع شخصًا يقول: «لم يزعجني ما قاله، بل الطريقة التي قال بها». وكما سنرى في فصل لاحق، تعتبر نغمة الصوت وسيلة مهمة جدًا لنقل المعنى. ويبدأ الأطفال في استخدام نغمات الصوت في كلامهم عندما يبلغون من العمر سنة واحدة تقريبًا.

أمتلك أحد التسجيلات الصوتية لأحد أطفالي في هذا العمر. عندما يسمع صوت وقع خطواتي على الطريق في الخارج فأنه يقول (dada) مع نغمة استفهام عالية: كأنه يعني (هل هذا أبي Daddy؟) وحين أدخل إلى الغرفة، يقول (dada)، مع نبرة

منخفضة قوية، وهو يعني: نعم إنه أبي. ثم يفتح ذراعيه ويقول (dada) مع نغمة توسل جذابة، وهذا يعني: «احملني، يا أبي». وفيما بعد، عندما يتعلم كيف يجمّع الكلمات معًا، سيكون قادرًا على أنْ يقول بشكل صحيح: (هل هذا هو أبي؟)، (نعم إنه أبي)، (احملني، يا أبي!) بصيغة سؤال، أو بيان، وأمر. لكنه لا يتمكن من تجميع الكلمات معًا خلال 12 شهرًا، لأنه لا يمتلك سوى كلمة واحدة فقط: (dada).

متى تعلّم أنْ يقول كلمة (dada)؟ متى يتعلم الأطفال نطق (كلمتهم الأولى) السحرية؟ ومتى يبدأون بتجميع الكلمات معًا لبناء جمل؟ هذه هي المرحلة التالية في عملية اكتساب اللغة المذهِلة.

نحن نسمع قبل أنْ نولَد

يمكن للأطفال سماع الأشياء وهم موجودون في رحم أمهم قبل أنْ يولدوا. يستغرق الأمر عادة تسعة أشهر حتى ينمو الطفل من كونه مجرد مجموعة من الخلايا الصغيرة إلى أنْ يكون جاهزًا للخروج إلى العالم. وبعد أنْ يبقى في الرحم لمدة ستة أشهر تقريبًا، تكوّن آذانه الصغيرة، وكل المسارات الموجودة داخل رأسه التي تقوم بنقل الصوت، قد تشكّلت بالكامل. لذلك يمكنه سماع أية أصوات تحدث من حوله.

كيف نعرف ما يستطيع الطفل سماعه؟ أحيانًا يكون من الضروري أنْ يدخِل الأطباء مسبارًا في الرحم، للتحقق من كيفية تطور الطفل. من السهل جدًا إدخال ميكروفون صغير في نفس الوقت، والاستماع لما يلتقطه من أصوات. وبهذه الطريقة يمكننا سماع ما يستطيع الطفل سماعه.

وماذا يسمع الطفل؟ نبض قلب الأمّ. وصوت الدم وهو يتدفق عبر عروق الجسم. وقرقرة البطن، وصوت الأمّ. وعندما تتحدث، يمكن للطفل أنْ يسمع صوتها عن بعد، ويكون شبيهًا بالصوت الذي نسمعه عندما نضع أصابعنا في آذاننا. إذا فعلنا ذلك وسمعنا شخصًا يتحدث إلينا، يبدو الصوت مكتومًا جدًا وبعيدًا. قد لا نكون قادرين على تمييز والتقاط كل الكلمات، لكن يمكننا بالتأكيد سماع إيقاع الصوت ونغمته. يتدرب الأطفال على الاستماع إلى تلك الميزات في اللغة قبل أنْ يولدوا. ربما هذا هو السبب في أنها أول ملامح اللغة التي يتعلمونها.

عندما يولَد الطفل، يمكننا القيام بتجربة أخرى مثيرة للاهتمام. يضع الباحثون سماعات على الأذنين الصغيرتين ويقومون بإسماعه بعض الأصوات، مثل صوت كلب ينبح، صوت رجل، صوت امرأة، صوت الأمّ. ويضعوا حلمة في فم الطفل ويربطوها بسلك إلى المنضدة، عندما يسمع الطفل صوت الكلب، والرجل، والمرأة يقوم بمص الحلمة بمعدل ثابت، ويسرع قليلاً في عملية المص ثم يبطئ. ولكن عندما يسمع صوت الأم فإنه يمصها مثل المجنون! لأنه تعرّف عليها.

يمكننا القيام بهذه التجربة عندما يكون عمر الطفل بضع ساعات فقط. لا يتعين على الأطفال الانتظار ليروا أمّهم حتى يعرفوا كيف تبدو إنهم يعرفونها مسبقًا.

الفصل الثالث



تعلُّم كيفية فهم اللغة

دعنا نفكر في ما يحدث عندما نتعلّم كلمة ما. إذا قلت لك كلمة bara bara باللغة اليابانية وطلبت منك تعلّمها، فما هو السؤال الأول الذي ستطرحه عليّ؟

ستسألني: ماذا تعني هذه الكلمة؟

هذا سؤال معقول للغاية، لأنه ليس هناك عظيم فائدة في محاولة تعلّم كلمة ما إذا كنت لا تعرف معناها. في الواقع، تعني (أمطار غزيرة)، ومن المفيد للغاية معرفة ما إذا كنت تعتقد إنه يمكن في التجول في طوكيو بدون مظلة!.

ولكن ماذا لو كنت طفلاً، ولا يمكنك أنْ تسأل (ماذا تعني هذه الكلمة؟) لأنك لم تتعلّم التحدث بعد؟ فماذا تفعل حينها؟

سوف تشاهد وتستمع. وتنتبه إلى ما يدور حولك. هناك الكثير مما يجب الاستماع إليه. يتحدث الناس معك طوال الوقت، عدا أوقات تناولك وجبات طعام أو حينما تكون على وشك أنْ تغفو لتنام. فلديك وقتٌ طويلٌ للاستماع، لأنه ليس لديك في الواقع أشياء كثيرة تقوم بها. عندما تكون مستيقظًا أولاً تأكل، فإن كل ما يمكنك فعله هو الاستلقاء والاستمتاع بعالمك الجديد كيف يبدو، كيف يمكن أنْ تشعر به، كيف هي رائحته. وعلى وجه الخصوص، كيف يبدو عندما تصدر أصواتًا من إنسان آخر.

هناك شيء مميز فيما يخص صوت الكلام. لقد سبق لنا أنْ سمعناه قبل أنْ نولد. وبعد ولادتنا، سمعناه يستخدم بطرق لحنية رائعة. لا تتوقف عن مفاجأتِنا. وفي النهاية، ندرك إن اللغة هي الأداة الأكثر روعة للتعبير عن أفكارنا ومشاعرنا، وإن اللغة، هي أكثر من أي شيء آخر، ما يجعلنا نشعر إننا بشر. يمكن للحيوانات أنْ تتواصل مع بعضها البعض، كما سنرى لاحقًا، ولكن ليس لديها أي شيء يشبه لغة البشر.

يحب الأطفال الرُضّع الاستماع. ويمكننا قول ذلك، لأنهم عندما يسمعون صوتًا يتحوّل رأسهم نحوه. وهذه هي الوسيلة المهمة التي يتمكن فيها أخصائيو السمع من معرفة ما إذا كانت آذان الطفل الصغير تعمل بشكل صحيح أم لا. يقف أخصائيو السمع خلف الطفل ويحدث ضوضاء، مثل رنين جرس صغير. إذا سمع الطفل ذلك، فإن رأسه سيتجه في اتجاه الصوت. إذا

لم يتحرك رأسه بعد عدة محاولات، فسيقوم الأطباء بإجراء الفحوصات اللازمة لمعرفة ما إذا كان أصمًا.

ويرغب الأطفال الرُضّع أيضًا بان يستمعوا إلى ما حولهم من أصوات. لأنهم يريدون تعلّم اللغة. وعندما أذكر كلمة (يرغب)، لا أقصد إنهم يفكرون في ذلك عن قصد، بالطريقة التي (قد ترغب) أو (أريد) فيها أنا اقتناء دراجة هوائية أو جهاز كمبيوتر جديد. ما أعنيه هو أن دماغ الطفل قد تم إعداده بطريقة تجعله جاهزًا لاكتساب اللغة. إنها تبحث عنهم، في انتظار أنْ يتم تنشيطها وتفعيلها من قبلهم. يتحدث الباحثون في بعض الأحيان عن كون دماغ الطفل يحتوي على (جهاز اكتساب اللغة). ويتصورونه مثل شبكة ضخمة من الخلايا التي تطوّرت على مدى آلاف السنين لمساعدة البشر على تعلّم التحدث مع بعضهم البعض في وقت مبكر من حياتهم قدر الإمكان. لا ينبغي أنْ نفاجأ بأن الأطفال يتعلمون اللغات بسرعة. هذا ما صُممت أدمغتهم للقيام به.

لاحظ أني قلت (لغات)، وليس (لغة). يتعلم ثلاثة أرباع الأطفال في العالم أكثر من لغة واحدة. يتعلم البعض أربع أو خمس في نفس الوقت. يُذهل ذلك الأشخاص الذين اعتادوا العيش في مجتمع لا يتكلمون فيه سوى لغة واحدة، ولكنه أمر طبيعي تمامًا. علينا أنْ نفكر في الأمر من وجهة نظر الأطفال. كل ما يعرفونه هو أن الناس يتحدثون معهم. ليس لديهم فكرة أن الكلمات تنتمي إلى لغات مختلفة. لن يدركوا ذلك حتى يكبروا. إذا تحدّثت إلماما

بطريقة وتحدّث الأب بأخرى وتحدّثت السيدة في المتجر بطريقة ثالثة، فماذا يعني كل ذلك؟ إنها مجرد كلمات، بعد كل شيء. يلتقط الأطفال كل الكلمات بشكل طبيعي، كما لو كانوا يتنفسون.

يمكن للدماغ البشري التعامل مع عشرات اللغات. وأنا أعني ما أقول، كان هناك صحفي، يدعى هارولد ويليامز، قدم دليلًا على قدرة الدماغ البشري. كان يعمل محررًا للشؤون الدولية في صحيفة التايمز في أوائل القرن العشرين. وسافر لحضور اجتماع عصبة الأمم في عام 1918، (وهي هيئة دولية مثل منظمة الأمم المتحدة حاليًا)، وكان قادرًا على التحدّث مع وفود الدول الأعضاء كلٌّ بلغته الخاصة. كان يستطيع التحدّث بثمانية وخمسين لغة بطلاقة! وهذا يستحق عدة علامات تعجب: 58!!! مما يجعل مهمة تعلّم مجرد لغتين - أنْ تكون ثنائي اللغة - تبدو سهلة جدًا.

لذا، من بين كل الأقسام التي تكوّن اللغة، فإن أول خطوة يتعلّمها الطفل هي الإيقاع والتنغيم، كما رأينا في الفصل الثاني. ولكن ماذا بعد؟ يعرف الآباء الإجابة على هذا السؤال، لأنهم يبحثون بفارغ الصبر عن ذلك عندما يقترب طفلهم من نهاية عامه الأول. وعندما يحدث ذلك، يصبحون سعداء. ما هو الشيء الذي يبحثون عنه؟

إنها كلمة.

الكلمة الأولى.

ينتبه الأطفال إلى الكلمات بسرعة، في الأحاديث التي تدور من حولهم. هذا لأننا عندما نتكلم، فان بعض الكلمات، وبعض مقاطعها، يبدو صوتها أعلى من غيرها. وتبرز أكثر. تخيل هذا الموقف. نحن نلعب مع طفل، ويأتي كلب إلى الغرفة. ما الذي يمكن أنْ نقوله للطفل؟ ربما نقول له شيء من هذا القبيل:

انظر! إنه كلب. مرحبًا، يا كلبي الصغير...

الآن، كيف سنقول كل ذلك؟ ما هي المقاطع التي سنؤكد عليها؟ أذكر الجمل بصوت عالٍ، واستمع إلى الأجزاء التي تظهر أكثر قوة. مثل هذا المثال:

انظر! إنه كلب. مرحبًا كلبي

وهذه هي الأجزاء التي يلاحظها الطفل. من وجهة نظر الطفل، الجمل سوف تبدو كالتالي:

أنظر... كلب... أن... كلب

لاحظ كيف تتكرر بعض الكلمات. ودون أنْ ندرك ما نفعل، سنعلم الطفل كلمة (كلب).

هل يفهم الأطفال ما نقوله؟ من الصعب كثيرًا معرفة ذلك. لكن في بعض الأحيان يمكننا أنْ نعرف ذلك، من الطريقة التي يتفاعلون بها معنا، إنهم يعرفون ما تشير إليه كلمة ما. لقد قمت بتجربة صغيرة، مع ابني ستيڤن لتوضيح هذا الأمر عندما كان عمره حوالي سنة. أجلسته على الأرض محاطًا ببعض الألعاب، وكان من بين تلك الألعاب حافلة، وكرة، ودبدوب صغير. لم يكن يعير لها أي اهتمام خاص. ولكن عندما سألته: (أين

كرتك؟) نظر إليها مباشرة وامتدت يديه من أجل أنْ يأخذها. ثم بعد أنْ لعبت معه لفترة من الوقت، سألته: أين دبدوبك؟ ونظر حوله يبحث عنه. وبعد برهة قليلة، قلت له: أين حافلتك؟ هذه المرة لم يقم بأي حركة.

بدأ ستيڤن يعرف كلمات (الكرة) و(دبدوب)، ولا يعرف كلمة (الحافلة)، ربما كان يعرف (الحافلة) أيضًا، ولكنه لم يزعج نفسه بالبحث عن تلك اللعبة. ربما كان يشعر بالملل منها. أو ربما كان يفكر لقد سئمت من كونها موضوع تجربة. أريد تناول عشائي! لكنه أعطى إشارات مؤكدة على أنه يفهم الكلمتين الآخريين.

يقضي الأشخاص الذين يدرسون لغة الأطفال الكثير من الوقت في مراقبة ردة فعل الأطفال على الكلام الذي يسمعونه من حولهم. فهم يصنعون أفلامًا عن التفاعل بين البالغين والأطفال، ويتفحصوها بعناية شديدة لمعرفة ما إذا كان الأطفال يظهرون أي علامات لفهم ما يقوله البالغون. في بعض الأحيان تكون ردود أفعالهم دقيقة للغاية، حركات طفيفة للعين أو الرأس أو اليدين. لكنك لن تنتبه إليها أبدًا عندما تكون جالسًا مع الطفل لوحدك، ولكن من خلال مشاهدة التسجيل المصور عدة مرّات، سيمكنك تحديدها.

كم عدد الكلمات التي عرفها ستيڤن في الوقت الذي كان يبلغ فيه من العمر 12 شهرًا؟ شعرت إنه يعرف حوالي دزينة من الكلمات. كان يعرف بالتأكيد (ماما) و(بابا)، وكذلك (الكرة)، (الدبدوب)، (شرب)، وعدد قليل من أسماء الأشياء الأخرى.

ويمكنه أيضًا ربط بعض الكلمات بالنشاطات المرتبطة بها. على سبيل المثال، عندما كنا نقول له بعد أنْ ينتهي من لعبة الدغدغة، أو (الاستغماية): «هل تريد لعبها مرة أخرى؟ »، فإن نبرة استجابته الصوتية ولغته الجسدية التي تعبر عن الحماس تجعلنا لا نشك إنه يريد أنْ يلعبها ثانية. كان قد تعلم تعبير (Peep bo) والذي يشير إلى لعبة أخرى. وعندما كان يرمي كومة من الطوب بالحجارة، كان من المحتمل أنْ يقول له أحدهم (أسفل) (ارمي إلى الأسفل). وتعلّم أنْ يسمع بعد الانتهاء من تناول جميع الطعام الموجود في الصحن، كلمة (all gone لم يعد هناك شيء) بعض هذه الكلمات بدأ يعرف معناها في وقت مبكر جدًا، عندما كان عمره حوالي ستة أشهر.

تسمى كلمات اللغة المفردات. بدأ ستيڤن في تعلم مفردات اللغة الإنكليزية. لاحظ إنه كان يقوم بذلك على مرحلتين. كانت المرحلة الأولى هي فهم بعض الكلمات التي سمع الناس من حوله يستخدموها. لكن في عمر 12 شهرًا لم يكن قد تعلم بعد كيف يقول أيًا منها لنفسه. عندما يستخدم الناس الكلمات بأنفسهم، فإننا نقول إن لديهم مفردات نشطة. عندما يفهمون الكلمات ولكن لا يستخدمونها فعلاً، نقول إن لديهم مفردات سلبية. في عمر 12 شهرًا، كان لستيڤن مفردات سلبيّة عددها اثنتا عشرة كلمة، ولم يكن يعرف مفردة نشطة واحدة.

لكن ذلك كان على وشك أنْ يتغير. بعد أسبوع من تلك التجربة الصغيرة، قال أول كلمة له. كاد والديه أنْ يطيرا من الفرح. كانا ينتظران بهدوء. هل ستكون كلمة (ماما) أم (بابا)؟ لم تكن كذلك. كانت (all gone).

لا يمكنك أبدًا التنبؤ بالكلمة الأولى التي سيقولها الطفل. إن الكلمات الأولى للعديد من الأطفال هي في الحقيقة كلمات (الأمّ) أو (الأب) بلغتهم. ولكنها غالبًا ما تكون كلمة غير متوقعة، وتعبر عن شيء وجده الطفل مهمًا بشكل خاص. كانت الكلمة الأولى لأحد الأطفال هي (السيارة). فيما كانت لطفل آخر (bic) يعني (البسكويت). وقال آخر (قطة). وقال آخر (أكثر). أما كلمة ستيڤن فكانت (all gone).

وهذه الأخيرة تبدو مثل كلمتين، أليس كذلك؟ ((all + (gone). لكن ستيڤن لم يكن يعلم ذلك بعد. كل ما سمعه كان عبارة عن سلسلة من الأصوات مع ضربتين إيقاعيتين فيها: وكانت لفْظَه لها يشبه إلى حد ما لفظ (awdaw)، كما لو كانت كلمة واحدة. لم يستطع نطق الأصوات بشكل صحيح، بالطبع. لم يتمكن من نطق الصوت (g)، لذلك بدت كلمة (go) وكأنها تبدأ بـ (d). ويبدو إنه لم يسمع الأصوات في نهاية (all) و(go). (سنعرف سبب هذه المشكلة في فصل لاحق). لكنه فعل الباقي.

بمجرد أنْ يتعوّد لسان ستيڤن على كلمة واحدة، لن يمض وقت طويل حتى تبدأ مفرداته النشطة بالنمو. فيبدأ المحاولة مع

كلمة تلو الأخرى. وفي غضون شهر كان يتحدث 10 كلمات. قبل بلوغه 18 شهرًا.

نمت المفردات النشطة لديه إلى حوالي 50 كلمة. كما نمت مفرداته السلبية. كان قادرًا على فهم ما لا يقل عن 200 كلمة. كان يسير بشكل جيد في طريقه إلى اللغة.





كم عدد الكلمات التي تعرفها؟

توجد عشرات الآلاف من الكلمات في كل لغة من لغات العالم، وإحدى الوظائف التي يقوم بها الباحثون اللغويون هي جمعها في كتب، تسمى القواميس، حيث يمكننا البحث عنها إذا لم نكن متأكدين من معناها.

كم عدد الكلمات التي تعرفها؟ أراهن إنه ليس لديك فكرة. لقد سألت الكثير من الناس هذا السؤال. قال أحدهم 500. وقال آخر 1000. وقال آخر 5000. لقد اختلفوا فيما بينهم كثيرًا.

هل فهمت كل الكلمات في هذا الكتاب حتى الآن؟ إذا كان الأمر كذلك، فقد تعاملت مع أكثر من 800 كلمة مختلفة. وهذا فقط في 20 صفحة. بحلول الوقت الذي ستنتهي فيه من هذا الكتاب، سيكون العدد الإجمالي عدة آلاف من الكلمات. ستتعلم بعض الكلمات الجديدة، بالطبع، عن دراسة اللغة، ولكن معظم الكلمات في هذا الكتاب سبق لك وأن عرفتها قبل أنْ تبدأ في قراءته.

وهي لا تشكل سوى جزءًا صغيرًا من الكلمات التي في رأسك. يدور موضوع هذا الكتاب حول اللغة فقط، لذلك فإن مفرداته ستكون محدودة للغاية. لا يتعلق موضوعه باستكشاف الفضاء أو السيارات الرياضية أو الملابس أو الطعام أو البرامج التلفزيونية، أو مئات الأشياء الأخرى التي نتعامل معها يوميًا. فكر فقط في عدد الكلمات التي يجب أنْ نعرفها للحديث عن الملابس، على سبيل المثال. أو كلّ الكلمات التي تعرفها عن

الحيوانات. أو كلّ الكلمات الغريبة الموجودة في كتب هاري بوتر أو سيد الخواتم.

معظم الأشخاص الذين يصلون سن المراهقة تكون لديهم مفردات لا يقل عددها عن 20 ألف كلمة، وهذا الرقم ينمو بسرعة كبيرة أثناء انتقالهم من صف إلى آخر في المدرسة والتعرّف على المزيد من الموضوعات المتخصصة في التاريخ والجغرافيا والفيزياء وما إلى ذلك. معظم البالغين لديهم مفردات تبلغ حوالي ضعف هذا العدد. وإذا ذهبت إلى الجامعة وتخصصت في موضوعٍ معين وواصلت البحث والدراسة فيه، فستتضاعف مفرداتك مرة واحدة على الأقل.

إذا كان لديك الوقت، يمكنك التحقق من ذلك كله بنفسك. يوفر لنا قاموس عدد صفحاته حوالي 1500 صفحة معلومات حول 100 ألف كلمة مختلفة. يمكنك أنْ تقرأه، كلمة كلمة، وتقوم بتعداد ما تعرفه. سيستغرق الأمر منك شهرًا واحدًا فقط.

الفصل الرابع



تكوين الاهتزازات الصوتية

تمكّن ابني ستيڤن من أنْ يفهم معنى كلمة (all gone) عندما كان عمره ستة أشهر. لكنه لم يحاول أنْ يقولها إلى أنْ أصبح عمره سنة واحدة. حتى ذلك الحين لم يكن ينطقها بشكل صحيح. لماذا حدث مثل هذا التأخير؟ ولماذا لم يستطع قولها من المرّة الأولى؟

إذا كنت قد بدأت بتعلّم لغة أجنبية، فستعرف الإجابة. بعض الأصوات في اللغة الجديدة ستكون غريبة ومختلفة، ويستغرق الأمر بعض الوقت لتوضيح كيفية نطقها. أين نضع لساننا؟ كيف نحرك شفاهنا؟ يكون بعض الناس بارعون في هذا الأمر، ويمتلكون القدرة على تقليد الأصوات الغريبة بدقة دون أي مشكلة على الإطلاق. معظمنا ليس محظوظاً: يستلزم الأمر منا أنْ نتدرب لفترة طويلة.

وهذا ما يجب على الأطفال القيام به. لنتذكر إنهم يبدأون من الصفر. عليهم أن يتدربوا أين يضعوا كل شيء، اللسان والشفاه والكثير غيرها. إنها عملية معقدة، ويستغرق الأمر عدة أشهر لإتقانها كلها.

ما المقصود بـ (الكثير)؟ أي أجزاء من الجسم نستخدمها عندما نتحدّث؟ تسمى أجزاء الجسم هذه بالأعضاء الصوتية، وعددها أكبر مما نعتقد. بعضها، مثل شفاهنا، يمكننا أنْ نراه بسهولة. بينما الأخرى مختفية، ولكن يمكننا أنْ نشعر بها. بعضها صغير جدًا. والبعض الآخر كبير للغاية.

أكبرها هي رئتينا، كنت لا تعتقد قبل الآن إن الرئتين هي أعضاء (صوتية). ولكنها كذلك، وتوجد في صدرنا، على بعد مسافة طويلة من فمنا. ومن دون رئتينا، لن نكون قادرين أنْ نتكلم أبدًا. يحتاج الكلام إلى تيار من الهواء لحمل الأصوات. وتيار الهواء هذا ينطلق من رئتينا.

دعونا نفكر للحظة في كيفية سماع الأصوات. إذا كنت على جانب من الشارع وكنت أنا على الجانب الآخر، كيف يمكنني سماعك إذا كنت تناديني؟ لا يمكننا رؤية أي شيء يربط بيننا. كيف يعبر الصوت عبر الطريق؟

إنه يُحمَل عبر الهواء. تتسبب الحركات التي تقوم بها الأجهزة الصوتية في حدوث اهتزازات في الهواء، وهذه تنتقل عبر الطريق على شكل سلسلة من الحركات غير المرئية تسمى الموجات الصوتية. ثم تدخل الموجات الصوتية أذني وتفعّل شبكة من

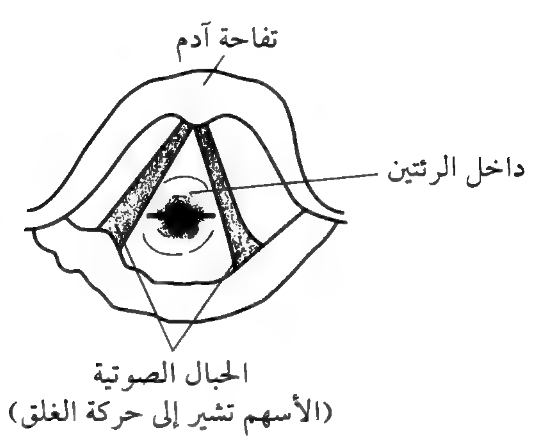
العظام والخلايا الصغيرة التي تمكنني من سماعك. ثم يرسل عصب خاص يسمى العصب السمعي الموجات إلى دماغي حيث أتعرف على الأصوات وأحدد ما قلته.

لا يمكن أنْ يحدث أي من هذا إذا لم يوجد هناك بعض الهواء الذي يحمل الأصوات إلى الأذنين في المقام الأول. هذا الهواء نحصل عليه من رئتينا. عندما نتنفس، تسحب رئتنا الكثير من الهواء، ونستخدم هذا الهواء لحمل أصوات الكلام.

المثير للاهتمام هو الطريقة التي نغير بها نمطنا المعتاد من التنفس لنتمكن من التحدّث. عادةً ما نتنفس كل ثانيتين أو ثلاث ثواني. يمكنك حساب الوقت، إذا أردت. انظر إلى الساعة وشاهد عدد المرّات التي تتنفس فيها خلال دقيقة واحدة. إذا كنت مسترخيًا، فسيكون العدد 25 مرّة تقريبًا. إذا كنت تركض، فسيتضاعف هذا العدد.

عندما نتكلم، يحدث شيء ما لتنفسنا. نتنفس بسرعة ثم ندع الهواء يتحرك ببطء شديد جدًا. قد تمر فترة خمس أو عشر ثواني قبل أنْ نتنفس مرة أخرى. يمكن لبعض الناس التحدث لفترة طويلة قبل أنْ يحتاجوا إلى التنفس. كم كلمة يمكنك أنْ تقول في نَفَس واحد؟ تنفس وأبدأ العد ببطء (واحد، اثنان، ثلاثة...) يجب أنْ تتمكن من الحصول على نطق ما يصل إلى تسع أو عشر كلمات بسهولة. إذا كنت تأخذ نفسًا عميقًا حقًا، فقد يصل العدد إلى 20 كلمة.

لذلك عندما نتحدث، يجب علينا القيام بثلاثة أشياء. أولاً علينا أنْ نقرر ما نريد قوله. هذا النشاط يحدث في دماغنا. ثم على دماغنا أنْ يُرسل رسالة إلى رئتينا لإبطاء تدفق الهواء. ومن ثم يتعين علينا في الواقع تكوين الأصوات التي ستشكل كلامنا. كيف نفعل ذلك؟ إذا اتبعنا مسار الهواء من رئتينا إلى فمنا، سنرى. ما يلي:



ينتقل الهواء أولاً من رئتينا من خلال القصبة الهوائية إلى بلعومنا، ويمر في طريقه بين الطيّات الصوتية. التي تسمى أحياناً بالحبال الصوتية، لكن (الحبال) تجعلني أفكر دائماً في شيء مثل قطع من الخيوط، وهي ليست كذلك على الإطلاق. الطيّات هي كلمة أفضل، لأنها في الواقع نوعان من الأنسجة التي تمتد عبر قصبتنا الهوائية، والتي تم ربطها في أحد طرفيها. يمكن للأطباء النظر أسفل القصبة الهوائية باستخدام مرآة خاصة. وهذا ما سيشاهدونه.

أين تتواجد الطيات الصوتية، بالضبط؟ إذا تحسّست برفق المنطقة التي تقع أمام رقبتك، فسوف تلاحظ وجود جزء بارز. يطلق عليه تفاحة آدم. تفاحة آدم موجودة لحماية الطيات الصوتية، التي تقع خلفها. الجزء الذي ترتبط فيه الطيّتان يقع في المقدمة. يمكنك الحصول على الإحساس بمكانها عن طريق السعال. جرّب ذلك. عن طريق السعال بلطف، وستشعر في رقبتك من أين يأتي السعال. ما يحدث في الواقع عند السعال هو أن العضلات الموجودة في الحلق تجعل الطيتين الصوتيتين متقاربتين معًا. أنتَ تترك الهواء يتراكم تحتها. ثم تقوم بإطلاق الهواء في انفجار مفاجئ صاخب.

أو تحبس أنفاسك. جرب ذلك. ما الذي يحدث الآن؟ لقد أخرجت الطيات الصوتية بإحكام مرة أخرى، ومنعت أنفاسك من الخروج. يمكنك أنْ تشعر بالعضلات التي تحبس الأنفاس في رقبتك وصدرك. عندما تريد أنْ تخرج الأنفاس، ما عليك سوى إرخاء العضلات. تكون الطيّات الصوتية منفصلة، مما يُخرج مقاطع صوتية صغيرة ومسموعة، وتبدأ في التنفس بشكل طبيعي مرة أخرى.

كما أن من المفيد إن لدينا طيّات صوتية تغلق بهذا الشكل. يساعدنا حبس أنفاسنا في تعزيز الضغط حتى نتمكن من رفع أو دفع الأشياء. وإغلاق الطيات الصوتية يساعد على منع دخول الطعام والسوائل إلى رئتينا. لقد مررنا جميعًا بتجربة الأشياء (التي تتخذ المسار الخاطئ) عندما كنا نأكل أو نشرب شيئًا بلا مبالاة.

ما حدث هو إننا لم نبتلعها بشكل صحيح. عندما نبلع، نغلق القصبة الهوائية. إذا كنا نأكل أو نشرب في عجلة من أمرنا، فنحن لا نأخذ وقتنا في البلع، فتبقى القصبة الهوائية مفتوحة، وينتهي بنا الأمر إلى السعال والشعور بالهلع. إنها ليست تجربة لطيفة للغاية، ويمكن أنْ تكون خطيرة. بعض الناس انتهى بهم المطاف في المستشفى بعد الاختناق بطعامهم.

من المدهش أنْ نرى كيف تعلم الناس، على مدى آلاف السنين من التطور، استخدام طيّاتهم الصوتية لمساعدتهم على التحدّث. لقد تمكّنا من ذلك من خلال التحكّم في طريقة اهتزازها. يحدث الاهتزاز عندما يرجع شيء ما إلى الخلف ثم ينطلق إلى الأمام بسرعة بحيث لا يمكننا رؤية حركته، ولكن يمكننا أنْ نشعر بها - كما هو الحال - عندما يهتز الهاتف المحمول في جيبنا، أو عندما تشتغل غسالة الملابس يمكننا بسهولة صنع عملية اهتزاز عن طريق مد شريط مطاطي بين أصابعنا وتحريكه. ستكون الحركة ضبابية، لكننا نشعر بالاهتزاز كإحساس قوي على أصابعنا.

يمكننا أن نجعل طيّاتنا الصوتية تهتز هكذا، عندما نتكلم، بينما يمر الهواء بينهما. نحن لا ندرك ذلك، ولكنها تهتز مئة مرّة أو أكثر كلّ ثانية. ويمكننا جعلها تهتز بشكل أسرع أو أبطأ. إذا جعلناها تهتز ببطء شديد، فإننا نجعل صوتنا منخفضًا. نصفه بالقول إن درجة الصوت منخفضة. إذا جعلناها تهتز بسرعة كبيرة، فإننا نحدث صوتًا عاليًا. ونقول إن درجة الصوت

عالية. نفس الشيء يحدث عندما نغني. إذا غنّينا نغمات واطئة، تهتز طيّاتنا الصوتية ببطء. وإذا كنا نغنّي بنغمة مرتفعة، فإنها تهتز بشكل أسرع. إذا غنّينا نغمة عالية جداً، يمكننا أنْ نشعر بالتوتر في رقبتنا بينما تهتز الطيات الصوتية بسرعة عالية.

ما مدى سرعة اهتزاز الطيّات؟ يختلف الأمر عند الرجال والنساء والأطفال. الرجال يتحدثون أقل من النساء، والرجال والنساء يتحدثون أقل من الأطفال. هناك الكثير من الاختلافات، بالطبع بعض الرجال لديهم صوت عميق، وبعضهم لديهم صوت عالٍ للغاية. بعض النساء يمتلكن صوتًا حادًا وبعضهن يتمتعن بصوت ذي نبرة واطئة. ليس من السهل أبدًا التنبؤ بنوع الصوت الذي سيحصل عليه الأشخاص بمجرد النظر إليهم. هل يكون صوت الرجل الضخم عميقًا جدا؟ ليس دائمًا.

معظم الرجال، عندما يتحدثون، يجعلون نغماتهم الصوتية تهتز بمعدل 120 مرّة في الثانية. عندما تنخفض نغمة كلامهم، تقل السرعة إلى حوالي 90 ذبذبة في الثانية. وعندما ترتفع الاهتزازات إلى 350 ذبذبة في الثانية. يمكن لبعض الرجال الذين لديهم طبقات صوتية عالية أنْ يخفضوها إلى حد كبير، حيث تهتز الطيّات الصوتية ببطء شديد، حوالي 50 أو 40 مرّة في الثانية. يمكنك مشاهدة رجل يدعى تيم ستورمز على موقع اليوتيوب يستطيع أنْ يجعل صوته ينخفض إلى حد كبير - إلى حوالي 8 اهتزازات في الثانية - بحيث لا يمكنك سماعه أبدًا. لكن الاهتزازات تبقى

موجودة فيه. وحين يضع فمه في قدح من الماء، يمكنك رؤية الاهتزازات في طياته الصوتية من خلال تحريكها لسطح الماء.

معظم النساء يمتلكن أصواتًا أعلى من الرجال. عندما يتحدثن، يجعلن طياتهن الصوتية تهتز حوالي 200 مرة في الثانية. عندما ينخفض صوتهن، تنخفض اهتزازاته إلى حوالي 150 ذبذبة في الثانية. وعندما ترتفع، يمكن أنْ تصل إلى حوالي 1000. يمكن لمغني السوبرانو الوصول إلى أعلى من ذلك بكثير، يمكنه أنْ يصل عدد الاهتزازات في صوته إلى 1500 اهتزاز أو أكثر في الثانية الواحدة.

معظم الأطفال يكون صوتهم مرتفع. عندما يتكلمون، تهتز طياتهم الصوتية حوالي 300 مرة في الثانية. لا تنخفض أصواتهم كثيرًا، لكن من المؤكد أن لديهم مستوى أعلى بكثير، كما يعرف جميع من سمع مجموعة من المعجبين وهم يصرخون في حفل موسيقي. حيث تتضاعف الطيّات الصوتية إلى أبعد مدى!

في وقت ما خلال سنوات المراهقة، تحدث (تعطلات) في الصوت، بسبب التغيرات الهرمونية التي تحدث في الجسم. يجد الفتيان والفتيات أن أصواتهم تنخفض، ومع الأولاد تبدو التغييرات ملحوظة بالفعل. ويصبح الصبيان أصحاب الصوت ذي الطبقات العالية (مثل السوبرانو والتوس) ذوي طبقات صوتية عميقة ومنخفضة (مثل التينور والباس). إن استخدام كلمة (تعطل) في الواقع مُضلل بعض الشيء، لأن التغير عادة

لا يحدث بين عشية وضحاها. قد يستغرق الأمر عدة أسابيع حتى يصبح صوت الصبي أكثر عمقًا.

من الممكن أنْ تشعر بذبذبات الطيّات الصوتية. إذا نطقت صوت (آه)، لبضع ثواني، كما لو كنت تغني. والآن ضع الإبهام والسبابة برفق على جانبي تفاحة آدم. لا تضغط بشدة. يجب أنْ تكون قادرًا على الشعور بالاهتزاز من خلال الجلد. إذا وجدت الأمر صعبًا، فجرّب ذلك على صديق. غالبًا ما يكون من السهل الشعور بالاهتزاز في حلق شخص آخر.

ولكن هناك شيء تستطيع القيام به أنت فقط. وهو سماع الاهتزاز. للقيام بذلك، قم بالتمرين على نطق الصوتين (sssss) و(zzzzz) واحدًا تلو الآخر. الآن ضع أصابعك في أذنيك وقلهما مرة ثانية. مع (sssss) لن تسمع الكثير. ولكن مع (zzzzz) ستفاجأ بصوت عالٍ. هذا هو تأثير الاهتزاز الذي وصل إلى رأسك.

عندما تهتز الأصوات بهذه الطريقة، مثل (zzzzz)، فإننا نطلق عليها أصواتًا مسموعة (جَهورية). عندما يتم نطق الأصوات دون أنْ تهتز الطيات الصوتية، مثل (sssss)، فإننا نطلق عليها أصواتًا صامتة (مهموسة). عندما نهمس، لا يحدث اهتزاز على الإطلاق. يكون الصوت هادئًا جدًا. وعندما نتحدث بشكل طبيعي، يحدث ارتفاع في الصوت من خلال الطريقة التي نجعل بها بعض الأصوات ذات اهتزازات قوية جدًا.

لكي يقول ستيڤن (all gone)، كان عليه أنْ يتعلم كل هذا. كان عليه أنْ يجعل طياته الصوتية تهتز باستمرار. وكان عليه أنْ يجعلها تتحول من سريعة إلى بطيئة للغاية، لأن (all) تقال بصوت أعلى من (gone). الامر على الأغلب مثل تأدية أغنية. هذه هي الطريقة التي يقول بها البالغون (all gone إلى أطفالهم) بالطبع. واختار ستيڤن أنْ يلفظها على أكمل وجه. فأصبحت، هكذا:

Aw

daw

لقد سيطرت على طيّاتك الصوتية بشكل ممتاز يا، ستيڤن! ولكن، انتظر لحظة: أين الحروف (l) و(g) و(n)؟ ويجب أنْ يكون صوت (a) في (all) مختلفًا عن (o) في (gone). لماذا لا تفعل ذلك؟

(أعطونا فرصة)، ربما قال – إذا كان بإمكانه أنْ يتحدث –: «أبلغ من العمر فقط إثنا عشر شهرًا» وفي الواقع، بعد مرور بضعة أشهر، أصبح ستيڤن قادرًا على أنْ يقول (all gone) مثلك ومثلي. ما الذي كان يجب عليه تعلمه أكثر حتى يتمكن من القيام بذلك؟

من أين جاءت تسمية تفاحة آدم

تقول الحكاية إنه في جنة عدن، قدمت حواء لآدم تفاحة ليأكلها. وبالطبع لم يكن حينها متعودًا بعد على أكل التفاح، فعلقت قطعة منها في حنجرته. لم تكن لدى حواء نفس المشكلة. لهذا السبب تبرز تفاحة آدم عند الرجال أكثر من النساء.

السبب الحقيقي هو أقل إثارة بكثير. ربما كان ذلك بسبب الترجمة السيئة من اللغة، التي كتب بها الكتاب المقدس وهي العبريّة. فالكلمة التي تعني (رجل) في اللغة العبرية، هي كلمة (آدم) وكلمة (نتوء) تشبه إلى حد كبير كلمة (تفاحة). لذلك عندما ترجم الناس العبارة إلى لغات أخرى، فانهم بدلاً من القول إنها تعني (نتوء الرجل)، اعتقدوا أنها تعني (تفاحة آدم). وبقي الاسم إلى يومنا هذا.



الفصل الخامس



نطق الأصوات

ماذا يحدث للهواء، بعد أنْ يمر عبر طيّاتنا الصوتية وينتقل إلى حنجرتنا؟ إنه يترك أجسادنا في نهاية المطاف، ويخرج إما عن طريق الفم أو من خلال الأنف. عندما نتنفس بشكل طبيعي، يخرج من الأنف. عندما نتكلم، يخرج معظمه من فمنا. وهذا هو المكان الذي يبدأ فيه الكلام بالحدوث.

عندما يتدفق الهواء عبر الفم، فهو يشبه الرياح التي تمر عبر نفق. الفرق هو إنه يمكننا تغيير شكل النفق بتحريك لساننا وشفتينا، وكذلك فكينا. في كل مرّة نقوم فيها بصنع شكل جديد، نصنع صوتًا جديدًا. لا يتطلب الأمر سوى حركة صغيرة لتغيير صوت واحد إلى صوت آخر. يمكن للإنسان أنْ يصنع المئات

من الأصوات بفمه، على الرغم من أن بعض تلك الأصوات لا يستخدم إلّا في لغة واحدة.

إذا كان الطفل يتعلّم اللغة الإنجليزية، فعليه عاجلاً أم آجلاً أنْ يتقن نطق أكثر من 40 صوتًا مختلفًا. كما يجب عليه أنْ يرتّبها معًا بجميع أنواع الطرق المختلفة، ليستطيع تركيب الكلمات. ولكوننا نفعل ذلك منذ سنوات، فإننا ننسى مدى صعوبة ذلك عندما كنا نتعلم. يمكننا أنْ نجعل اللسان يتحرك في جميع أنحاء الفم، لا إراديا. ويمكننا أنْ نشعر بتلك الحركة في بعض الكلمات. إذا قلنا المقطع الافتتاحي لأغنية الحضانة (Hickory dickory dock)، يمكننا أنْ نشعر باللسان ينزلق على طول سقف الفم.

دعونا نأخذ واحدة من تلك الكلمات ونرى فقط ماذا يتضمن نُطقها بشكل صحيح: كلمة (dock). تحتوي على أربعة حروف، لكن فيها ثلاثة أصوات فقط:

صوت [d] في البداية

وصوت [o] في الوسط

وصوت [k] في النهاية، مكتوب بحرفين (ck)

لماذا يتم كتابة [k] بحرفين بدلاً من واحد؟ سأتحدث عن ذلك في فصل لاحق.

هل لاحظت أنني بدأت فجأة في وضع أسماء الأصوات بين قوسين مربعين؟ هذا ما يفعله الأشخاص الذين يدرسون اللغة. من الواضح إن هذا يعني أن الحديث يدور حول أصوات

الحروف وليس عن الحروف المكتوبة. من الآن فصاعدًا، في كل مرّة ترى فيها حرفًا بين قوسين مربعين، فهذا يعني إنني أتحدّث عن صوت.

إذن، كيف ننطق صوت [d]؟ أنطقها عدة مرات: [da da da da]. لفعل ذلك فإننا نضغط على اللسان بقوة في المنطقة التي تقع خلف أسناننا، ونستمر بذلك لجزء من الثانية. فجأة لا يتمكن الهواء القادم من الرئتين من الخروج، لذلك يتراكم خلف الانسداد. ثم نطلق لساننا فجأة، ونخرج الهواء كله في عجلة. فيحدث ما يشبه الانفجار الصغير.

نحن نصنع الصوت بنفس الطريقة بالضبط. حاول نطق [ta ta ta ta]. مرة أخرى، ستضغط اللسان بقوة عند حافة الأسنان، وتثبّته هناك. مرة أخرى، لا يمكن للهواء الخروج. ومرة أخرى، عندما نترك اللسان، سيحدث انفجار صغير.

ما الفرق بين [d] و{t]؟ إذا كان الفم يصنع نفس الشكل لكلا الصوتين، فكيف نسمعهما مختلفين؟ هذا هو المكان الذي تلعب فيه الطيّات الصوتية دورها. عندما ننطق صوتًا مثل [d]، تهتز الطيات الصوتية: إنه صوت مسموع (جهوري). عندما ننطق صوت t، فالأمر ليس كذلك: إنه صوت مهموس. ويشبه النوع نفسه من الطنين الذي سمعناه عندما نطقنا صوت [zzzzz] وهو موجود بالفعل عندما نقول [d] فقط لا يمكننا سماعه كثيرًا، لأننا ننطق الصوت [d] بسرعة كبيرة، في حين يستمر صوت [z] لمدة أطول.

الآن من الممكن أنْ نفهم لماذا يتوجب على الطفل القيام بكل هذا العمل لتعلّم نطق الأصوات. فلكي ينطق الطفل صوت [d]، يجب عليه أن يضع لسانه في المكان المناسب، ويحتجزه هناك لمدة مناسبة، ثم يسحب اللسان بعيدًا بسرعة وفي الاتجاه الصحيح لكي ينطق الصوت التالي، وأيضًا، في اللحظة المناسبة تمامًا، يجعل الطيّات الصوتية تهتز. يتطلب الأمر الكثير من التدريب لجعل كل شيء يعمل معًا بشكل صحيح. لكن على الطفل أنْ يحصل على الكثير من التمارين بالطبع. كما رأينا في الفصل 2، وينطق الصوت [d] آلاف المرّات عندما كان في مرحلة المناغاة. لا عجب إنْ تمكن ابني ستيڤن من ذلك تمامًا.

كل صوت في اللغة بمثل هذه الشاكلة. يجب أنْ يكون اللسان في المكان المناسب في الوقت المناسب. علينا أنْ نعرف متى نبدأ بهز الطيّات الصوتية ومتى نتوقف. في بعض الأحيان، يجب علينا أنْ نضم شفاهنا بصورة صحيحة أيضًا، كما هو الحال عندما نطلق أصواتًا مثل [b] أو [p]. وأحيانًا يكون علينا نحرك لساننا بطريقة خاصة، للحصول على الصوت الصحيح، كما هو الحال عندما نسجل [s] أو [l]. يستغرق الأطفال عدة سنوات للحصول على جميع الأصوات المناسبة. يتم نطق معظمها بشكل جيد في الوقت الذي يكون فيه الطفل في الثالثة، ولكن بعض الأصوات الأكثر صعوبة تستغرق وقتًا أطول في إتقان نطقها.

المهمة ليست مجرد تعلّم صوت واحد. يجب أنْ يتعلّم الأطفال دمج الأصوات معًا، ويمكن أنْ يكون ذلك صعبًا

أيضًا. قد يكون بمقدورهم قول (sing) ولكنهم يجدون صعوبة في دمج صوتين معاً في مقدمة الكلمة من أجل قول (sting). وبعد أنْ يتقنون ذلك، تستمر معهم صعوبة قول كلمة واحدة تحوي ثلاثة أصوات معًا، كما في (string). حتى في سن السادسة أو السابعة، يمكننا أنْ نسمع بعض الأطفال ينطقونها (stwing). فلفظ الصوت [r] بعد [t] لا يزال صعبًا للغاية.

كان ستيڤن المسكين قد أخذ بالفعل درسًا في الأصوات الصعبة. حاول أنْ يقول (all gone) ولكنها خرجت على شكل (aw daw). لم يتمكن من تلفّظ [g]. من أجل لفظ صوت [g]، يجب أن تضغط على الجزء الخلفي من لسانك بقوة نحو سقف الفم: [ga ga ga ga]. معظم الأطفال في سنه يجدون هذا أصعب بكثير من صنع صوت [d] في مقدمة الفم.

يجب أنْ يكون قادرًا على معرفة أن [g] هو أحد الأصوات التي يحدث عند نطقها أزيزًا صوتيًا وانفجارًا صغيرًا في نفس الوقت، لذلك يجب أنْ يقدم أفضل ما عنده. لكنه وضع الجزء الأمامي من لسانه بدلاً من الخلفي، ولفظها [d]. حظّاً أفضل في المرة القادمة، ستيڤن!

ولماذا لا يستطيع لفظ الصوت n في كلمة (gone)؟ هذا لأن، لفظ [n]، يتطلب منه أنْ يفعل شيئًا أكثر صعوبة.

كان عليه أنْ يترك الهواء يخرج من أنفه، فالصوت [n] هو صوت أنفي. هناك ثلاثة أصوات أنفية فقط باللغة الإنجليزية: [n]، و{m] كما في (mum)، و{ng] في نهاية كلمة (sing).

في كل حالة، لإحداث الصوت، لا يتدفق الهواء من الفم، بل يتسلل إلى داخل الأنف ويخرج بهذه الطريقة.

كيف نفعل ذلك؟ إذا فتحنا فمنا على نطاق واسع ونظرنا في المرآة إلى الجزء الخلفي من حنجرتنا، سنرى قطعة مستديرة من اللحم، معلقة على الجزء الخلفي من سقف الفم. يطلق عليها اسم: (uvula اللهاة وتلفظ هكذا you view la). ويمكننا رؤيتها بوضوح أكبر عندما نقول (آه)، لأن القيام بذلك يجعل لساننا يتدلى قليلاً. لهذا السبب، عندما يكون لدينا التهاب في الحلق ونذهب إلى الطبيب، يُطلب منا (قول آه). من الأسهل على الطبيب رؤية الجزء الخلفي من الحلق بهذه الطريقة.

لا يمكننا أنْ نرى أو نشعر بما يحدث، ولكن يمكننا تحريك ذلك الجزء من فمنا صعودًا وهبوطًا. عندما نتنفس بشكل طبيعي، فإننا نحافظ عليه، حتى ينتقل الهواء مباشرة إلى أنفنا وخارجه. عندما نرفعه، نضغط عليه في الجزء الخلفي من الحلق، بحيث لا يمكن للهواء أنْ يخرج من هذا الممر بعد الآن، ويجب أنْ يخرج من الفم.

إن كمية العمل التي يقوم بها الجزء الخلفي من الفم أمر مدهش فعلاً. إذا قلنا جملة مثل: (My Auntie Mary went running into town to get some bananas)، فإن الفم يصعد وينزل ما لا يقل عن إحدى عشرة مرّة، لكي يصنع كل تلك الأصوات. هل يمكنك تحديد جميع الأصوات الأنفية؟ لقد أبرزتها هنا:

My Auntie Mary went running into town to get some bananas.

يخرج الهواء من الأنف من أجل الصوت (M)، ثم يخرج من الفم لصوتي (y) و(Au)، ثم يخرج من الأنف لصوت (n)، ثم يخرج من الفم من أجل (tie)، وهلم جرا. بالنسبة إلى كلمة مثل (bananas)، يرتفع الجزء الخلفي من الفم إلى أعلى وأسفل مثلما لو كنت سأقول yo yo، ولكنه أسرع كثيرًا من ذلك.

عرف ستيڤن بالتأكيد كيفية القيام بذلك. يمكنه أنْ يقول (mama) بشكل جيد جدًا، فيرفع فمه ويخفضه مرتين في تتابع سريع. لكنه لم يفعل ذلك في نهاية كلمة (gone). لماذا؟ ربما كانت تلك هي مشكلته، إنه لا يستطيع سماع الصوت [n] بوضوح. إنه صوت هادئ إلى حد ما، وبعد كل شيء. فهو ليس وحشًا كبيرًا صاخبًا مثل صوتي [d] أو [s].

ربما هذا ما حدث. عندما نتمعن بعبارة aw daw لستيڤن، يمكننا أنْ نرى أنه حاول أنْ ينطق كلمة (all gone) بنبرة صوت عالية للغاية على قدر ما يستطيع. ولكنه لا ينطق صوتي [l] و{n] في نهاية الكلمة مع إنها أهدأ الأصوات فيها. معظم الأطفال الصغار يفعلون ذلك: إنهم ينطقون الأصوات الموجودة في بداية الكلمات وفي وسطها قبل أنْ ينطقوا الأصوات الموجودة في نهاية الكلمة.

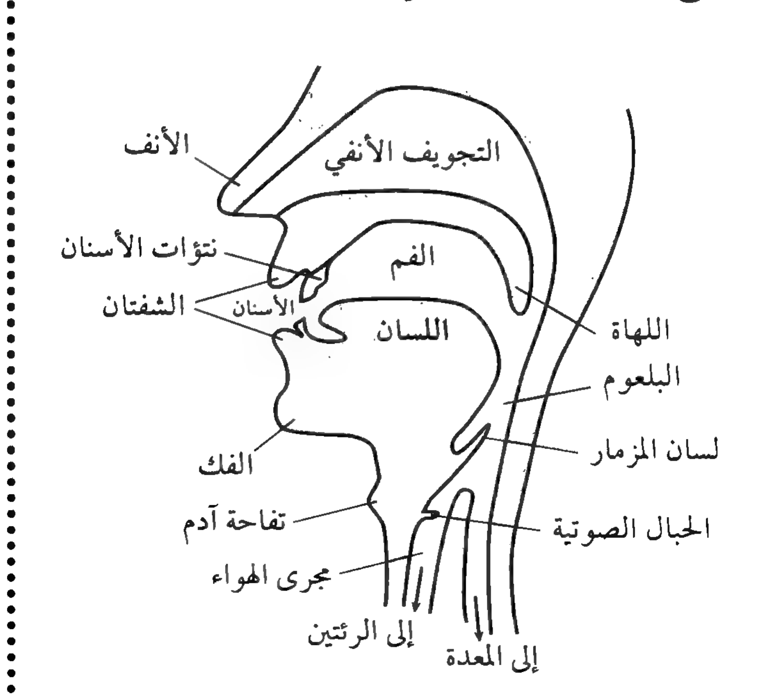
ومع ذلك، فقد بذل جهدًا كبيرًا يشكر عليه. فقد بدأ ستيڤن يشق طريقه لتعلّم النطق باللغة الإنجليزية. في غضون بضعة

أشهر كان قد التقط عدة أصوات أخرى، وبحلول سن الثالثة كان لسانه قد تعوّد عليها جميعًا وفي الوقت نفسه، كان ابن عمه الذي يعيش في باريس يفعل نفس الشيء، ولكن مع الأصوات الفرنسية. وكان صديقه في الدار المقابل يفعل نفس الشيء، ولكن مع الأصوات الويلزية والإنكليزية في نفس الوقت! سيتمكن من التحدث بلغتين في يوم من الأيام.

لكن ما الغاية من تعلم الأصوات؟ إن الأمر يبدو في حد ذاته لا معنى له. ليس من المنطقي أنْ نسأل (ماذا تعني؟) [t] أو (ماذا تعني؟) [s] فلا يوجد لها أي معنى. ولكن عندما نجمع الأصوات لتشكيل الكلمات، ونستمر في جمع هذه الكلمات معًا لتكوين جمل، عندها نفهم ذلك دعونا نرى كيف يحدث ذلك.

الأجهزة الصوتية

إليك هذا الرسم الذي يُظهر جميع الأجهزة الصوتية. يمكننا أنْ ننطق المئات من الأصوات المختلفة عن طريق تحريك شفاهنا وأسناننا ولساننا ولهاتنا بطرق مختلفة، وكذلك عن طريق تغيير اهتزاز الطيّات الصوتية. عندما نتحدث اللغة الإنكليزية، لا نستخدم سوى عدد قليل من هذه الأصوات؛ لكن يمكننا دراستها جميعًا، إذا تناولنا موضوعًا يسمّى علم الصوتيات. المتخصص بهذا العلم هو الشخص الذي يدرس جميع الأصوات المحتملة التي يمكن أنْ ينطقها الإنسان.



تنقسم هذه الأصوات عادة إلى نوعين: الحروف الساكنة والحروف المتحركة. الساكنة هي الأصوات التي نصدرها عندما يقوم لساننا أو شفاهنا بإيقاف خروج الصوت من الفم لفترة قصيرة، إما بشكل كامل، كما في [b] أو [m]، أو بشكل كامل تقريبًا، كما هو الحال بالنسبة لصوت (hissy) مثل [f] و {z]. والمتحركة (العلة) مثل [a] و {e] و {u]، والتي ننطقها عندما لا يمنع فمنا الصوت بهذه الطريقة.

عندما ننطق الكلمات، فإن أصوات العلة (V) هي تلك التي تظهر عادة في الوسط، والأصوات الساكنة (C) عند الحواف، على النحو التالي:

m a n c u p s s t r i n pig
CVC CVC CVCC CCCVCC

سنتحدث كثيرًا عن الحروف الساكنة وحروف العلة في الفصول اللاحقة.

الفصل السادس



اكتشاف قواعد اللغة

عندما يدرك الطفل، إن دمج الأصوات معًا بطريقة معينة، سيجعل الكلمات تبدأ بالانطلاق. فإنها ستكون لحظة ساحرة للغاية قل (Daddy)، سيتحدث الرجل معك. قل Mama، ستفعل المرأة ذات الشيء. قل (وداعًا)، سيلوح الناس بأيديهم. قل (all gone)، سيأخذ شخص ما طبقك أو يمنحك المزيد من الطعام. قل (تصبحون على خير)، سيمنحك الناس قبلاتهم.

وبمجرد أنْ يتعلم الأطفال أن الكلمات ممتعة ومفيدة، لن يتوقفوا عند حد. وعندما يصبحون بعمر 18 شهرًا، يتعلم معظمهم أنْ يقول حوالي 50 كلمة. ما الذي يتحدثون عنه، مستخدمو اللغة الصغار هؤلاء؟

إنهم يتحدثون عن ما يدور حولهم – ما يحدث (هنا والآن) – باستخدام كلمات مثل هذه (بطبيعة الحال، لن يستطيعوا لفظ الكلمات بشكل متقن في هذا العمر):

- كلمات للتحدث عن الأشخاص، مثل أفراد أسرهم وكذلك الزوار، (dada) و (grandma) الجدة و (Tom) و (milkman).
- كلمات للتحدث عن أحداث اليوم، مثل (hello) و (night night) ليلة سعيدة و (all gone) و (fall down) يسقط.
- كلمات للتحدث عن الأفعال التي يقوم بها الأشخاص، مثل (قبلة) و (دغدغة) و (حركة)، وكذلك الكلمات الرئيسة التي تمنع القيام ببعض الأفعال: (لا) و (كلا).
- كلمات للحديث عن الطعام، مثل (الحليب)، (العصير)، (الشراب)، din din (المقصود كلمة عشاء كما تقال للأطفال).
- كلمات لأجزاء الجسم، مثل (الأنف) و (أصابع القدم)، وما تفعله بعض أجزاء الجسم، مثل (wee wee). (التبول كما يقال للأطفال).
- كلمات للملابس، مثل (قبعة)، أو (حفّاظ) أو (حفّاظة) في أميركا، و (ملابس نوم)، عادة ما تنطق: (jamas) في هذا العمر.
- كلمات للحيوانات، بما في ذلك الكلمات المثيرة جدًا التي يتم مشاهدتها على التلفزيون أو قرص الـ DVD، مثل (dog) كلب و (bird) طائر و (Tigger) نمر؛ غالبًا ما تكون

ملائمة للأطفال من خلال إضافة لمسة إضافية (doggie) و (birdie) و (kitty) و (moo cow).

- كلمات للمركبات، عالم آخر مثير للغاية، مثل (سيارة)، (جرار)، (قطار)، و (حافلة)، ولا ننسى وسائل نقل غير اعتيادية، مثل (عربة يد) wheelbarrow (ينطقها ابني ستيڤن هكذا eeba في هذه السن).
- كلمات للعب والألعاب، مثل (الكرة) و (الكتاب) و (التصفيق).
- كلمات للأغراض المنزلية، مثل (الكأس) و (النور) و (الملعقة).
- وخاصة تلك التي تصدر ضوضاء، مثل (الساعة) و (التحليق).
- كلمات لتحديد المواقع، مثل: (أين) و (هناك) و (أنظر)، وكلمتين مهمتين جدًا هما (في) و (على).
- كلمات لوصف الأشياء، مثل (كبير) و (حار) و yum yum. (كلمة طعام كما تقال للأطفال).
- الكلمات التي تُظهر إنك تشارك في محادثة، مثل كلمة (نعم) و (تا).

هذه مجموعة رائعة من المفردات بالنسبة لشخص لم يكن يمتلك أية كلمات طوال الستة أشهر السابقة. وهي تبين كيف أنه بمجرد أنْ تنضج الأعضاء الصوتية بالشكل الكافي، فإن الأطفال الرُضّع يستخدمونها بسرعة للحديث عن العالم.

إنها سرعة التعلّم التي تثير إعجابي للغاية. إذا كان لدى الأطفال مفردات نشيطة من حوالي 50 كلمة في 18 شهرًا، فهذا يعني إنه يجب عليهم أن يتحدثوا بكلمة جديدة، في المتوسط، كل ثلاثة أو أربعة أيام! وهم يفهمون الكثير من الكلمات أكثر من ذلك العدد. قد تكون مفرداتهم السلبية التي تحدثت عنها في نهاية الفصل الثالث أكبر بثلاث أو أربع مرّات. ولكن يبدأ الأطفال بفهم الكثير مما يقال من حولهم.

لكن هناك حدودًا لما يمكنك قوله، إذا كنت مقيدًا بقول كلمة واحدة في كل مرة. من المستحيل تقريبًا إجراء محادثة معقولة إذا كان كل ما لديك متوفرًا عبارة عن جمل تتكون من كلمة واحدة. في الواقع يمكن أنْ يكون ما سأذكره لعبة مناسبة لأن تُمارس في حفلة أو تجمع عائلي، يتلخص الأمر. في أنْ يتحدث شخصان عن موضوع، مثل المكان الذي ذهبوا إليه في العطلة، ولكن يُسمح لهم فقط بقول كلمة واحدة: (عطلة)، (فرنسا)، (الطقس)، (جميل). يصبح الأمر مثيرًا جدًا، نظرًا لأنه يتم حظر الجمل التي يريدون قولها مثل: (ماذا فعلت؟) و(كان لدينا فندق رائع على الشاطئ).

من الواضح أن الأطفال الصغار يبدأون يشعرون بالحاجة إلى قول أشياء أكثر تعقيدًا عندما يبلغون من العمر 18 شهرًا تقريبًا، لأن هذا هو العمر الذي يبدأون فيه جمع الكلمات معًا. يتوقفون عن قول (ذهب) ويبدأون يقولون (ذهب تيدي)، وأشياء مثل (نفد العصير)، (ذهب بابا). لم يعودوا يقولون كلمة (حليب)

فقط بل بدأوا يقولون لنا أشياء عن الحليب (الحليب هناك)، (نفد الحليب)، (كوب الحليب) يعني: (الحليب في الكوب).

يشعر البالغون بالرضا عندما يصل الأطفال إلى هذه المرحلة، وذلك لأن التواصل مع أطفالهم قبل ذلك كان قليلاً جدًا. هذا هو نوع الشيء الذي يحدث. أتذكر، عندما كانت ابنتي سو (تصغير لاسم سوزان) تبلغ حوالي 16 شهرًا، دخلت إلى غرفة الجلوس وهي تحمل دمية الدب المفضلة لديها. وقفت أمامي وقالت (ادفع). فكرت للحظة ما قد تعنيه، ثم دفعتها ممازحًا. لم يكن ذلك ما تعنيه. فقالت غاضبة: (لا! ادفع). لذا خمنت تخمينًا آخر، فقلت لها: (هيا، إذن. ادفعيني أنتِ)، وانتظرت. لم يكن ذلك صحيحًا أيضًا. فقالت: (لا!! ادفع!) أسقط في يدي، وأدركت مدى حيرتي، لذلك مسكتني بيدها وأحضرتني إلى الغرفة الأخرى، حيث كانت هناك لعبة تتأرجح.

وضعت تيدي على المقعد ونظرت نحوي. (ادفع!) اضطررت لدفع تيدي على الأرجوحة.

سألتها: (لماذا لم تخبرني ذلك في البداية؟)، ولم أحصل منها سوى على نظرة لا مبالاة. أنا أعرف ما كانت تفكر. كان الأمر كالتالي: (أنظر، أنا لم أبلغ حتى الآن سنة ونصف من العمر حتى، وأنا أعرف فقط كيف أقول جملة بكلمة واحدة. لم أتعلم الكثير من القواعد! عليك أنْ تمنحني مزيدًا من الوقت!).

بالتأكيد، لتوضيح ما تريد أنْ تقوله، كان عليها أنْ تعرف قواعد أكثر بقليل مما لديها بالفعل. إذا كانت تعني تخميني الأول،

فيجب أنْ تقول شيئًا مثل (تدفعني) أو (أنتَ تدفعني). إذا كانت تعني تخميني الثاني، يجب أنْ يكون قال (أنا أدفع) أو (أدفعك). ولكن كما اتضح فيما بعد، كانت تقصد أنْ تقول (أنتَ تدفع تيدي)، أو حتى (تعال معي إلى الغرفة الأخرى وادفع تيدي على الأرجوحة).

كل هذا كان أبعد من إمكانياتها، وهي في عمر 16 شهرًا. لكن الأمور ستتغير قريبًا. بعد بضعة أشهر، ستتمكن من قول (تدفعني). بعد فترة وجيزة من بلوغها سن الثانية، ستتمكن من قول (أنتَ تدفع تيدي). وماذا عن العبارة الطويلة؟ قد يأتي ذلك بعد عيد ميلادها الثالث، بعد أنْ تتعلم كيفية التعامل مع كلمات الربط المهمة مثل (و).

إذن ما هي هذه القواعد التي تكتشفها؟ ما هي القواعد؟ فكر في (الدفع) مرة أخرى، للحظة. ما هو الخطأ في ذلك؟ إنها لم تكوّن جملة. لقد فهمت معنى الكلمة، لكني لم أستطع معرفة ما كانت تريده. هذا هو أول شيء يجب أنْ نقدر فيه قيمة القواعد. القواعد هي الطريقة التي نفهم بها الكلمات. بدون وجودها، ليس هناك سوى الغموض فقط.

المشكلة في الكلمات أن معظمها يحمل أكثر من معنى واحد، لذلك فهي غامضة. يمكننا أنْ ندرك ذلك على الفور إذا نظرنا في أي القاموس. معظم المدخلات تعطي أكثر من معنى للكلمة. خذ كلمة مثل (band). قد نعتقد أن معناها واضح (مجموعة من مغني موسيقى البوب). ولكن هذا فقط واحد من معاني

(الفرقة). يمكن أنْ تشير بسهولة إلى مجموعة من عازفي الموسيقى العسكرية. أو مجموعة من الجنود أو الخارجين عن القانون، مثل أتباع روبن هود. أو قطعة من البلاستيك المستخدمة لعقد الأشياء معًا. أو شريط مسطح من مادة تشكل جزءًا من فستان أو قبعة. إذا نظرنا إلى كلمة (band) في القاموس، فسنجد إنها تحتوي على اثنا عشر معنى. كيف نعرف أيهما؟

الجواب بسيط. نضع الكلمة في جملة. ونستخدم قواعد الجملة لتخبرنا بما تعنيه الكلمة. فمثلاً:

- يخبرنا قارئ الأخبار في التلفزيون «اشتبك الجنود في قتال مع عصابة من المتمردين في جنوبي البلاد. يجب أنْ يكون معنى الكلمة هنا هو مجموعة من الخارجين على القانون». وليس فرقة لأغاني البوب.
- يقول المذيع في الراديو ستطرح الفرقة أغنية جديدة هذا الشهر. يجب أنْ يكون المقصود فرقة أغاني البوب.
- تقدم لنا السيدة في المتجر خيارًا «يمكنك استخدام السترة مع شريط أحمر على الأكمام أو شريط أخضر». يجب أنْ يكون معناها هنا شريط الملابس.

في كلتا الحالتين، تساعدنا الكلمات الأخرى في الجملة على تحديد المعنى المناسب للكلمة.

هذه هي فائدة الجمل. تساعدنا على فهم الكلمات. بدون الجمل، فإن ما نقوله ببساطة لن يكون له معنى. يجب أنْ يتعلم

الأطفال الصغار هذا الدرس. وكذلك نحن، إذا أردنا أنْ نفهم كيف تعمل اللغة. نحتاج أنْ نتعلم كل شيء عن الطُرق التي تسمح بها لغتنا للكلمات أنْ تلتقي في الجمل. بعض الطُرق ممكنة:

طارد الكلب القطط.
والبعض الآخر ليس ممكنًا:
قطة بودل المطارد.
تغيير ترتيب الكلمات يمكن أنْ يغير المعنى: القطط تطارد الكلب.
وتغيير نهايات الكلمات يمكن أنْ يغير المعنى أيضًا: لقد طارد الكلب القطط.

هناك مئات الطرق لبناء الجمل من الكلمات، وإذا تعلم الأطفال معظمها في الوقت الذي يذهبون فيه إلى المدرسة. يمكنهم تأليف جمل تصف الأحداث، وتطرح الأسئلة، وتعطي الأوامر، وتفعل كل أنواع الأشياء الأخرى. يمكنهم ربطها معًا لإخبار القصص وإجراء المحادثات وإرسال الرسائل النصية. وبدون الجمل، فإنهم سيضيعون.

لذا، عندما ندرس لغة، نحتاج إلى معرفة كيفية بناء الجمل. كل لغة تفعل ذلك بطريقة مختلفة. بعض اللغات، مثل الفرنسية، تغيّر نهايات الكلمات أكثر من الإنكليزية. بعض اللغات، مثل الصينية، لا تحتوي على نهايات مثل الإنجليزية على الإطلاق. بعض اللغات، مثل الويلزية، تضع الكلمات في ترتيب مختلف.

إذا أردنا أنْ نفهم كيف يعبر الناس عن أفكارهم ويفهموا بعضهم البعض، فإننا نحتاج إلى دراسة طريقة بناء الجمل. ودراسة بنية الجمل هي ما نسميه القواعد.



التلاعب بالقواعد

واحدة من أسهل الطرق لصنع النكتة هي أنْ تختار كلمة وتستخدم القواعد لتتلاعب في معناها. يقوم الممثلون الكوميديون بفعل ذلك في المسلسلات التليفزيونية طوال الوقت. يقولون شيئًا يجعلك تفكر في كلمة ما بطريقة ما، ثم في الجملة التالية يفعلون شيئًا مختلفًا تمامًا. فتحدث المفاجأة، وهذا يجعلنا نضحك. إليك مثال على ذلك:

Soldiers were fighting a band of rebels in the south of the country. They didn't like their last album



اشتبك الجنود في قتال مع مجموعة من المتمردين في جنوبي البلاد. ولم يعجبهم ألبومهم الأخير. المقصود التلاعب بمعنى كلمة band.

لا يوجد حد لعدد النكات التي يمكن أنْ تروى بهذه الطريقة. (أنا لا أقول إنها نكت جيدة، تذكر!).

الفصل السابع



إجراء محادثة

لماذا نحتاج الأصوات والكلمات والجمل؟ عندما يصل الأطفال إلى سن الخامسة، يعني ذلك إنهم قد عاشوا لأكثر من 40 ألف ساعة، وقضوا بعض الوقت في تعلّم الكلام والحديث. لقد أتقنوا كل الأصوات في لغتهم ومئات الطُرق لتكوين الجمل وآلاف الكلمات. ملايين من الأطفال قاموا بهذه المهمة مرتين أو ثلاث مرّات، لأنهم نشأوا وهم يتكلمون بأكثر من لغة واحدة. لماذا؟ ما هي الغاية من اللغة؟

نحن نستخدم اللغة لمجموعة من الأسباب، ولكن السبب الرئيس الأول هو بلا شك حتى يمكننا التحدّث مع بعضنا البعض. نحن نستخدمها لإجراء محادثة، ولأجل أنْ نلعب، ونسمع الأخبار، ونروي النكات، ونطلب المساعدة، ونتصل

بأشخاص آخرين، ونقوم بآلاف الأشياء الأخرى. لا شيء من هذا يمكن أنْ يحدث بدون لغة. يتمثل الاستخدام العادي اليومي للغة في التحدّث مع بعضنا البعض.

يبدو إن التحدث هو أكثر شيء طبيعي في العالم. نحن لا نفكر مليًا به الآن. لكن الأمر لم يكن دائمًا هكذا. بل يجب علينا أنْ نتعلم كيف نفعل ذلك. وعلينا أنْ نتعلم قواعده.

ما القاعدة الأساسية لإجراء محادثة ناجحة؟ إنها التناوب. أنا أتكلم ثم تتكلم أنتَ ثم أتكلم أنا ثم تتكلم أنتَ. نحن لا نتحدث في نفس الوقت. وعند الجدال في قضية معينة، نسمع أحيانًا الكثير من الأشخاص يتحدثون في وقت واحد. ولكن بمجرد استقرار الأمور، يأخذ كلٌ دوره.

وهذا أمر مهم بشكل خاص إذا كان هناك عدة أشخاص يشاركون في محادثة. تخيل إنك تتواصل في الشارع مع ثلاثة أشخاص آخرين حول أحدث أفلام جيمس بوند. كل شخص لديه رأي يريد أن يقوله عن الفيلم. إذا كان الأمر يتعلق بإجراء محادثة ناجحة، فكل ما تحتاج إليه هو أنْ تحصل على فرصة لإبداء رأيك. إذا حدث ذلك، فسيكون الجميع سعداء.

إذا لم يحدث ذلك، فيمكن أنْ ينتهي بك الأمر إلى الشعور بالغضب والانزعاج تمامًا. تخيّل مثل هذا الموقف: أحدهما يتحدث باستمرار ولا يسمح لك أنْ تقول كلمة. يطلق على هذا الأمر اسم (احتكار المحادثة). أو عندما تبدأ في قول شيء ما، فإن أحدهم يقاطعك ولا يسمح لكَ بالانتهاء من حديثك. بعض

الناس معتادون دائمًا أنْ يقاطعوا حديث الأشخاص الآخرين. يبدو أن الرجال يقاطعون النساء أكثر وليس العكس.

إعطاء الفرصة للكلام لا يحدث بشكل طبيعي. علينا أنْ نتعلم كيف نفعل ذلك. ويبدأ الأطفال عملية التعلّم هذه مبكرًا جدًا، خلال السنة الأولى من الحياة. يسمعون أمهم تتحدث... فيغمغمون أو يناغون... فتجيبهم الأمّ... ثم يغمغمون أو يناغون مرة أخرى... فتستجيب الأمّ مرة أخرى. الاستماع - التحدّث - الاستماع - التحدّث - الاستماع. هذا هو أساس أي محادثة. علينا أنْ نتعلم أنْ نكون مستمعين وكذلك متحدثين.

خلال السنة الثانية من الحياة، تصبح المحادثات أكثر تطورًا. مع توفر إمكانية لغوية أوسع قليلاً، تبدأ المحادثة في الحصول على شكل ذي قابلية أكبر للتنبؤ بمعناه. لنأخذ هذه المحادثة بين طفلة اسمها سوزان قاربت السنة الثانية من عمرها ووالدها. كان الاثنان ينظران معًا في صورة في كتاب. سألها والدها (ما هذا؟). أجابت (كلب). فقال: نعم، هذا كلب، إنه كلب بني كبير، أليس كذلك. قالت سوزان: نعم. ثم أضافت: كلب بني. وتطلّب منها ذلك بذل جهدٍ كبيرٍ لتلفظ الكلمة الجديدة (brown) التي لفظتها هكذا: (bown).

دعونا نحلل هذا الحوار القصير. إنه محادثة مصغرة، في خمسة أجزاء. أولاً، سأل الأب سؤالاً، وأجابت سوزان. ثم وافق الأب، ولكن لاحظ كيف فعل ذلك. كان يمكن أنْ يقول

(نعم)، ويتوقف هناك. لكنه لم يفعل لقد أخذ جملة سوزان الصغيرة المتألفة من كلمة واحدة ووضعها في جملة أكبر من تلقاء نفسه: (هذا كلب). من خلال القيام بذلك، كان يُظهِر لابنته سوزان كيفية أخذ كلمة وإدخالها في جملة. ولن تمر فترة طويلة حتى تبدأ سوزان بتكوين الجمل بنفسها.

لكن والدها لم يتوقف عند جملة واحدة فقط. أضاف أخرى، ولفت الانتباه إلى بعض الأشياء الأخرى عن الكلب: كان كبيرًا وبنيًا. مرّة أخرى، لم يكن عليه أنْ يقول مثل هذه الأشياء. إذن لماذا فعل ذلك؟ الجواب واضح فيما قالته سوزان بعد ذلك. كانت هذه هي المرّة الأولى التي تحاول فيها قول كلمة (بني). لم تكن لتتضايق إذا لم تكن قد سمعت والدها يقول ذلك. لقد علّمها هذه الكلمة دون أنْ يدرك أي منهما ذلك.

عادةً ما تكون المحادثات بين الو الدين وأطفالهما الذين يبلغون من العمر عامين هكذا. يقدم الآباء والأمهات بشكل مستمر جملاً أكثر تعقيدًا من تلك التي يقولها الأطفال بأنفسهم. الآباء يتصرفون مثل المعلمين، فعلاً.

بعد مرور عام، بدأت المحادثات تأخذ اتجاهًا جديدًا. هنا تتحدث سوزان مع والدها عندما كان عمرها ثلاث سنوات ونصف. سألته: « هل يمكنني الحصول على بسكويت؟ » ثم قام والدها بشيء يبدو غريبًا في البداية. تناول البسكويت وأمسك به، لكن لم يعطه لها. ثم قال: « هل أستطيع الحصول على بسكويت... » بنبرة تساؤل. انسجمت سوزان مع الأمر

على الفور. وقالت: «هل أستطيع الحصول على بسكويت من فضلك! » فقال والدها (فتاة شاطرة)، وهو يعطيها البسكويت. أضاف (ta) (يقصد thank شكرًا) لإجراء حوار جيد.

ماذا يفعل الأب الآن؟ إنه يُعلِّم سوزان كيفية القيام بمحادثة مهذبة. يجب على الأطفال أنْ يتعلموا قول (من فضلك) و(شكرًا): (ta)، في البداية، وهذا ما يفعله الآباء الذين يعيدون قول الكلمات مرارًا وتكرارًا حتى يلتقطها الطفل. يستغرق الأمر بعض الوقت، ولكن في عمر الرابعة يتعلّم معظم الأطفال بعض السلوكيات اللغوية الأساسية.

يجب على الأطفال أنْ يتعلموا كل أنواع الأشياء حول كيفية التحدّث مع الآخرين. يجب أنْ يتعلموا قول (مرحبًا) و(وداعًا) و(صباح الخير) و(ليلة سعيدة). ويتعلمون مناداة البالغين بعبارات (السيد) و(السيدة). عندما يعطس شخص ما، يتعلمون أنه يجب أنْ يقولوا (باركك الله!) ويتعلمون إنه عندما يؤذون أنفسهم أو يغضبون، هناك (كلمات فظّة) معينة لا يفترض أنْ يقولوها أو على الأقل ليس أمام أسماع والديهم!

يجب أنْ يتعلم الأطفال أيضًا الاستماع. وهذا يعني أكثر بكثير من البقاء هادئًا والانتباه. عندما يقوم شخصان بإجراء محادثة، يتكلم أحدهم ويستمع الآخر. لكن المستمع لا يصمت وكفى على العكس، يجب على المستمعين أنْ يكونوا نشطين دائما يميلون برؤوسهم أو يهزوها أو يرسمون على وجوههم تعابير تظهر الاتفاق أو الخلاف، أو يصدرون أصواتًا مثل (mhm) أو (tut,

tut)، ويقولون كلمات مثل (نعم) أو (عجيب) أو (كلا، حقًا؟) ما يفعلوه هو إخبار المتحدث برد فعل معين. فهم يجعلون المتحدث يعلم إنهم يفهمون ما يقال لهم. من المهم للغاية القيام بذلك. يحتاج المتحدثون إلى معرفة إنهم يتواصلون مع من يسمعهم. إذا لم يتلقوا أي تعليقات، فلن يكونوا قادرين على الاستمرار في التحدّث.

لا يقدم الأطفال الصغار هذا النوع من التعليقات. ولذلك عندما نتحدث مع الأطفال الصغار، لا يمكننا في بعض الأحيان معرفة ما، إذا كان ما ذكرناه قد وصلهم أم لا. إنه شيء يتعلمه الأطفال، بالتدريج، مع تقدمهم في السن. وهو إشارة إلى أنهم وصلوا إلى مرحلة النضج التحادثي عندما يتعاونون بنشاط مع المتحدثين أثناء الاستماع بهذه الطريقة.

ميزة أخرى للمحادثة يجب على الأطفال تعلمها هي (كيفية قراءة ما بين السطور)، أي، كيفية تحديد ما يعنيه الناس فعلاً بالكلمات التي يستخدمونها. لا يقول الناس دائمًا ما يقصدونه، خصوصاً عندما يحاولون أن يكونوا مهذبين. تخيل انني اقف في غرفة بابها مفتوح، وهي باردة بعض الشيء. قد يقول لي أحدهم (هل يمكنك إغلاق الباب، من فضلك؟) (إذا كان مهذبا) أو مجرد (أغلق الباب) (إذا لم يكن كذلك). لكن فكر في بعض الطرق الأخرى التي قد يحاول البعض من خلالها إغلاق الباب:

الجو أخذ يبرد هنا

يا إلهي، هنالك تيار من الهواء

برررر

لماذا يقولون أشياء كهذه؟ ربما لأنهم قلقون من أنني قد أظنهم غير مهذبين إذا طلبوا مني مباشرة إغلاق الباب. فعندما يعبّرون بشكل غير مباشر عن إحساسهم بالبرد، يتركون لي أمر معرفة مشاعرهم، وتقدير ضرورة أنْ أقوم بغلق الباب أم لا. لقد استخدموا هذه الطريقة لكونهم مهذبين. وإذا كنت حسّاسًا لمشاعرهم، فسوف أذهب وأغلق الباب.

يجب على الأطفال أنْ يتعلموا كل هذا أيضًا. ويستغرق ذلك بعض الوقت. أتذكر ذات مرّة أن معلمة، في مدرسة ابتدائية، قالت لأحد الأطفال - وكان في حوالي السابعة من العمر - : «جيمس، هناك قطعة من الطباشير على الأرض». فنظر جيمس إلى الأسفل، ورأى الطباشير، وقال: «نعم ست، أستطيع رؤيتها» وتركها هناك. لم يكن هذا هو الجواب الذي توقعته المعلمة! فانفجرت غاضبة: «حسنًا، إذن التقطها!». سرعان ما تعلم جيمس قراءة ما بين السطور.

محادثات غريبة

يتحدث الناس في بعض الأحيان مع أنفسهم أو إلى نباتاتهم أو غسالاتهم (خصوصًا عندما تعمل بشكل سيئ)، أو إلى لا شيء على وجه الخصوص. ويتحدث الأطفال إلى ألعابهم. يمكن للأطفال في سن ثلاث سنوات متابعة محادثة وهمية لمدة طويلة. كثيرًا ما تسمع الأمهات الطريقة التي يتحدثن بها مع أطفالهن تتكرر في اللغة التي يستخدمها الأطفال أنفسهم عند التحدث إلى ألعابهم. يمكن أنْ يكون ذلك محرجًا جدًا.

في هذه الأيام، تتيح لنا تقنية الكمبيوتر إجراء محادثة مع عدة أجهزة مختلفة، مثل مجموعة الهاتف التي تعمل بدون استخدام اليدين في السيارة، أو غسالة الملابس. يتعرف الجهاز على صوتنا (طالما نتحدث بوضوح) ويقوم بتنفيذ الإجراء : (غسيل بارد عند 30 درجة) نحن نأمر وهو ينفذ.

مع قيادة السيارات عبر جهاز التتبُّع الذي يعمل من خلال الأقمار الصناعية، يحدث العكس: الأجهزة تتحدث إلينا. تقول السيدة في الجهاز: « سر بالسيارة مسافة خمسة كيلومترات ثم ثلاثة كيلومترات، ثم استدر لليسار ». من الصعب جدًا عدم التحدث إليها. عادة ما أرد قائلا: نعم، سيدتي، إلّا إذا قالت لي أنْ أذهب في اتجاه أعرف أنه سيكون مسارًا كارثيًا. فاقوم بتنبيهها.



الفصل الثامن



تعلُّم القراءة والكتابة

انتهيت في الفصل الأخير من الحديث عن ضرورة تعلم جيمس (القراءة بين السطور). وبالطبع فإنه لم يكن يقرأ، بل كان يستمع. هذا التعبير هو مثال مثير للاهتمام للطريقة التي نستخدم بها في بعض الأحيان اللغة المكتوبة لمساعدتنا في التحدّث عما يحدث في الكلام. من الصعب رؤية العديد من الأصوات التي نتحدث عنها، كما أشرت في الفصل الخامس. ولكن من السهل رؤية العلامات التي نكتبها. فهي موجودة، على الصفحة وفي الشاشة.

يتعلّم الأطفال القراءة في وقت مبكر جدًا، إذا كانوا محظوظين بما يكفي لأن يعيشوا في جزء من العالم حيث تحيط بهم الكتب والشاشات. قرأ العديد من الآباء قصصًا لأطفالهم قبل أنْ يبلغوا

عامين من العمر. البعض يضع طفله على ركبتيه أثناء تصفح الإنترنت. أعرف طفلاً في الثانية من عمره تعلّم كيفية التعرّف على بعض الحروف في لوحة مفاتيح الكمبيوتر ويمكنه الضغط عليها عند الطلب. لن أكون مندهشًا إذا ما قابلت طفلاً يبلغ من العمر عامين ويستطيع كتابة الرسائل النصّية في مكان ما!

إذا تعرّف الأطفال على الكتب، فسرعان ما يتعلمون حقائق الحياة الأساسية عن القراءة. وسيعرفون أن الكتب فيها صفحات، ويجب أنْ يتم تقليب تلك الصفحات في ترتيب معين. في بعض اللغات، مثل الإنجليزية، يقوم الأشخاص بتقليب الصفحات من اليمين إلى اليسار. في حالات أخرى، مثل العربية، يقلبونها من اليسار إلى اليمين. ويتعلمون أن الكتب يجب أنْ تُمسك بطريقة معينة، حيث تبدو الصفحات (وخاصة الصور) غريبة إذا كانت مقلوبة رأسًا على عقب. ويجدون بسرعة صورًا رائعة، لا سيّما عن الأشياء التي يعرفونها في عالمهم الخاص، مثل الناس والحيوانات والسيارات.

كما إنهم يلاحظون الخربشات السوداء الصغيرة التي تملأ الكثير من الصفحات (المقصود الكلمات المطبوعة على الصفحات حيث أنها بنظر الأطفال الذين لم يتعلموا القراءة مجرد خربشات). وعندما يكبرون، يدركون أن هذه هي الأجزاء المهمة منه. إذن القصة مثيرة حقًا، وقد تم وضعها هناك لأن القارئ يقوم بطريقة ما باستخراج الأشياء المهمة من هذه الخربشات السوداء. هنا وهناك أيضًا قواعد يجب تعلُّمها. يتم تنظيم الخربشات في

سطور، ويجب أنْ تتم قراءتها (باللغة الإنكليزية) من أعلى إلى أسفل، ومن اليسار إلى اليمين. الأطفال الذين تعرفوا إلى الكتب المكتوبة باللغة العربية أو الصينية عليهم تعلم أن القراءة تسير في اتجاهات أخرى.

لا يتطلب الأمر من الأطفال وقتًا طويلاً، حتى يدركوا أن الكتاب يبقى كما هو، في كل مرّة تتم قراءته. ونتيجة لذلك، وبعد قراءة متكررة، يحفظون القصة المفضلة عن ظهر قلب. والويل والثبور للوالد الذي قرر ترك صفحة أو اثنتين قبل النوم! ذات مرّة، بعد يوم متعب، كنت أقرأ قصة ما قبل النوم لأبني وحاولت اختزال قصة (الخنازير الثلاثة الصغيرة) بالانتقال مباشرة من بيت القش إلى بيت الطوب. اعتقدت أنه لن ينتبه إذا جعلتها قصة (الخنزيران الصغيران). لم يترك لي أية فرصة. تعرضت إلى توبيخ قاسي، واضطررت إلى بدء القصة من جديد، مع إيلاء اهتمام خاص لبيت الأغصان. (قصة عن ثلاثة خنازير بيت أحدهم مصنوع من القش والثاني بيته من الطوب والثالث مبني من أغصان الأشجار).

لا ندرك في بعض الأحيان مدى تفاعل الأطفال مع اللغة المكتوبة من حولهم. إنهم يرونها في كل مكان على لوحات الإعلانات التجارية، في محلات السوبر ماركت، على واجهة وجوانب الحافلات، على الصحف والمظاريف، على العُلب والزجاجات في خزائن المطبخ، في الإعلانات التلفزيونية وعروض الأفلام، وبالطبع على شاشات الكمبيوتر والهواتف المحمولة. ليس من

المستغرب، إذن، أنْ يكون العديد من الأطفال البالغين من العمر ثلاثة أو أربعة أعوام قد تدربوا على ما يجري، ومن الممكن إجراء بعض التجارب البسيطة لإظهار ذلك.

أجمع بعض الصور لأشياء، بعضها فيه كتابة والأخرى لم يكتب فيها شيء. ومن الأمثلة على الحالة الأولى الحافلة التي تحمل رقمًا في المقدمة واسم الشركة على طول الجانب، أو متجرٌ يحمل اسمًا أعلى النافذة. مثال على المشهد الثاني هو مشهد الريف أو مجموعة من الناس يقفون حوله. ثم اطلب من الطفل أنْ ينظر إلى كل صورة وقل له (أرني) شيئًا يمكنك قراءته. يستطيع العديد من الأطفال القيام بذلك، حتى قبل أنْ يتمكنوا من قراءة أي شيء بأنفسهم.

يمكننا القيام بتجربة مماثلة مع صور مثل هذه: امرأة تنظر إلى صحيفة، رجل يحفر حديقة، صبي يبعث رسالة نصية، وفتاة تركب دراجة. نسأل هذه المرّة: (أرني شخصًا يقرأ). إذا كان الأطفال في مرحلة الاستعداد للقراءة، فسيشيرون إلى المرأة والصبي.

الجزء الثاني هو الشيء الصعب، التعرّف على العلامات المختلفة على الصفحة. في اللغة الإنكليزية، هناك حروف وعلامات ترقيم يجب تعلّمها. وفي اللغتين الصينية واليابانية، هناك علامات تصويرية يجب تعلّمها. هذا غير معتاد عليه إلى حد كبير في اللغة الإنكليزية، التي لا تحتوي إلّا على عدد قليل من العلامات المصورة، مثل £ و& و@.

يتم كتابة الإنكليزية – مثل معظم اللغات الأخرى – باستخدام الأبجدية. (الأبجدية) هي كلمة أصلها من أسماء الحرفين الأولين في نظام الكتابة اليوناني: (alpha) و(beta). في الأبجدية، يشير الحرف إلى صوت. لذا، يشير الحرف <b> إلى الصوت [b]. الحرف <s> يشير إلى الصوت [s]، وهكذا. لاحظ كيف نحتاج إلى استخدام أنواع مختلفة من الأقواس لإظهار ما إذا كنا نتحدث عن حرف أو صوت.

في الأبجدية المثالية، فان كل حرف يرمز لصوت واحد فقط. وهذا ما يُطلق عليه (الأبجدية الصوتية)، واللغات التي تحتوي على أبجديات صوتية سهلة القراءة. اللغة الإنكليزية، للأسف، ليست كذلك. تحتوي الأبجدية الإنكليزية على 26 حرفًا، ولكن هناك أكثر من 40 صوتًا في اللغة الإنكليزية. هذا يعني إن بعض الحروف ترمز لأكثر من صوت واحد. كيف تنطق الحرف <o>، على سبيل المثال؟ كل هذا يتوقف على الكلمة. قل هذه الكلمات وستلاحظ ما يلي: women، woman، son، go، got. في بعض الأحيان، يكون الأمر قصيرًا جدًا، كما هو الحال في (got). أحيانًا تكون طويلة، كما هو الحال في (go). في بعض الأحيان يبدو وكأنه [i]، كما هو الحال في كلمة (women).

تزداد الأمور سوءًا. في بعض الأحيان حين يرمز حرفان لصوت واحد. ما هو الصوت الذي يقال لشخص ما ليكون هادئًا. إذا قمنا بكتابتها، يجب أنْ نستخدم حرفين: (sh). أو أكثر من أثنين، إذا قمنا بعمل ضوضاء طويلة حقًا: (shhhh). ويمكننا

إضافة علامة تعجب إذا أردنا إظهار إننا نقوله بصوت عالٍ حقًا: (sh!) لكن ما يزال هناك المزيد من الاحتمالات. يمكننا كتابة (Sh!)، بحرف كبير. أو (SHHH!)، كلها بحرف كبير. أو يمكننا تحويلها إلى كلمة واحدة، وكتابة (Shush).

الحروف الكبيرة (Capital letters) تضيف تعقيدًا إضافيًا. على الرغم من وجود 26 حرفًا في الأبجدية الإنجليزية، عندما نكتبها، تبين أن هناك 52 حرفًا، لأن كل حرف يظهر في شكلين. إذ لدينا حرف كبير (A) وصغير (a)، وهكذا. ولا تستخدم الطابعات كلمات مثل (كبير) و(صغير). وإنما تسمى الأحرف ذات الصيغة العليا (upper case) أو (الحروف الكبيرة Capital letters)، والأحرف ذات الصيغة الدنيا (lower case) أو (الحروف الصغيرة Small letters). تعود هذه المصطلحات إلى الأيام التي اعتاد فيها الطباعون الاحتفاظ بالحروف التي يحتاجونها للطباعة في صندوقين كبيرين، أو (صناديق cases). يتم خزن الأحرف الكبيرة منها في خانات في المربع العلوي، أو الـ (upper case)؛ والحروف الصغيرة في الصندوق السفلي (lower case). كما أن هناك تعقيد آخر. حيث يمكن أنْ تظهر كل هذه الحروف، الكبيرة والصغيرة، في عدد من الأشكال والهيئات المختلفة.

وإليك بعضًا من هذه الأشكال التي يظهر بها الحرف (A) في المطبوعات أو على شاشة الكمبيوتر:

A A A A A A A A A A A A A

هذه كلها من تصاميم الطباعة المختلفة، وتسمى الخطوط. نتعلم تدريجيًا أنْ ندرك إنه على الرغم من جميع الاختلافات، فإن ما لدينا هنا هو الحرف الأول (A). لكن باديء ذي بدء، يمكن لهذه الاختلافات أنْ تعيق تعلم القراءة.

ومع ذلك، على الرغم من كل هذه الصعوبات، فإن معظم الأطفال يتعلمون القراءة جيدًا بعد مرور عامين. غالبًا ما يقوم الأهل بتعليمهم الحروف الأبجدية قبل الوصول إلى المدرسة. يمارس الكثيرون كتابة بعض الحروف، مثل حروف أسمائهم. باديء ذي بدء، فإنهم يعتقدون إن الحروف تعني اسمهم. (L) تعني (لوسي). (M) تعني (Mateo). وهناك حروف تعني معانٍ أخرى أيضًا. مثل حرف (X) يعني (قبلة kiss). و(K) تعني (vrhzr) . (cornflakes الذرة) و P تعني (Parking موقف للسيارات). (M) تعني سلسلة مطاعم (ماكدونالدز).

ويحتاج الأمر خطوة قصيرة من هنا حتى نتعلم قراءة تسلسلات الحروف، مثل (Ben) أو (Dad)، وقولها في نفس الوقت. يتعلم الأطفال أن (الكلمات) هي أشياء لها فراغات على كلا الجانبين. ويلاحظون أشكال بعض هذه الكلمات البارزة في الصفحة. عند قراءة قصة Winnie the Pooh، على سبيل المثال، يمكن للعديد من الأطفال الإشارة إلى أسماء مثل (Pooh) و(Tigger) و(Owl) عندما يُطلب منهم ذلك، على الرغم من أنهم لا يستطيعون قراءة الكلمات الأخرى على الصفحة.

ثم، يحدث الانعطاف. فيتعلمون إن تسلسل الحروف <<d <g> + <o> +> يناظر تسلسل الأصوات التي يصدروها عندما يقولون [dog]. ويكتشفون إن معظم الكلمات هي مثل هذا. ولكن ليس جميعها. يجب تعلم الكلمات الغريبة مثل (the) و(cough (the cough السعال بطريقة مختلفة، عن ظهر قلب. لكن كلمات مثل (cat قطة) و(top قمة) و(swim سباحة) و(strong قوي) و(tomato طماطم) يمكن نطقها بتتابع حرف بعد آخر. وبعد أنْ يتوصل الأطفال إلى أنْ يدركوا إن حرفين يندمجان في بعض الأحيان للحصول على صوت واحد، يمكن أنْ يتعرفوا إلى كلمات مثل (Tree الشجرة) و(Look المظهر) والآلاف من الكلمات الأخرى. في نهاية المطاف، لن يحتاجوا إلى نطق الكلمات حرفًا تلو الآخر. يصبحون قارئين لها بطلاقة.

لكن (نطق الأصوات) هي مهارة ليست بلا فائدة أبدًا. إنه شيء نفعله جميعًا عندما نتعرّف على كلمة جديدة وطويلة. إليك مثال على ذلك. حاول أنْ تقول بصوت عالٍ أصل كلمة الحامض النووي (DNA)، وهو مفهوم مهم في علم الأحياء: (deoxyribonucleic acid). والطريقة الوحيدة للقيام بذلك هي المرور على حروفها ببطء، شيئًا فشيئًا (de oxy ri bo nu cle IC). ثم انطلق في نطق كل الحروف في وقت واحد. بعد بضع دقائق، ستتمكن من قول ذلك بدون تفكير.

بعض الأطفال يقومون بكل هذا من تلقاء أنفسهم، وينتهون إلى قراءة قصص بسيطة قبل أنْ يصلوا إلى المدرسة، وحتى كتابة

الكلمات القصيرة. ولكن بالنسبة لمعظم الناس، فإن تعلم القراءة والكتابة يحدث في المدرسة. وعادةً ما يكتشف بعض الأطفال في المدرسة أن لديهم مشكلة خاصة في تعلم القراءة. يجدون صعوبة في فهم العلاقة بين الأصوات والحروف. لا يمكنهم الاحتفاظ في عقولهم بالترتيب الذي تظهر به الحروف على الصفحة. وحتى بعد محاولة صعبة للغاية، ما تزال الصفحة تبدو لهم مثل خليطاً من تمايلات. الأطفال الذين يشعرون بهذا مصابون بعسر القراءة، ويحتاجون إلى مساعدة إضافية للتغلب على المشكلة.

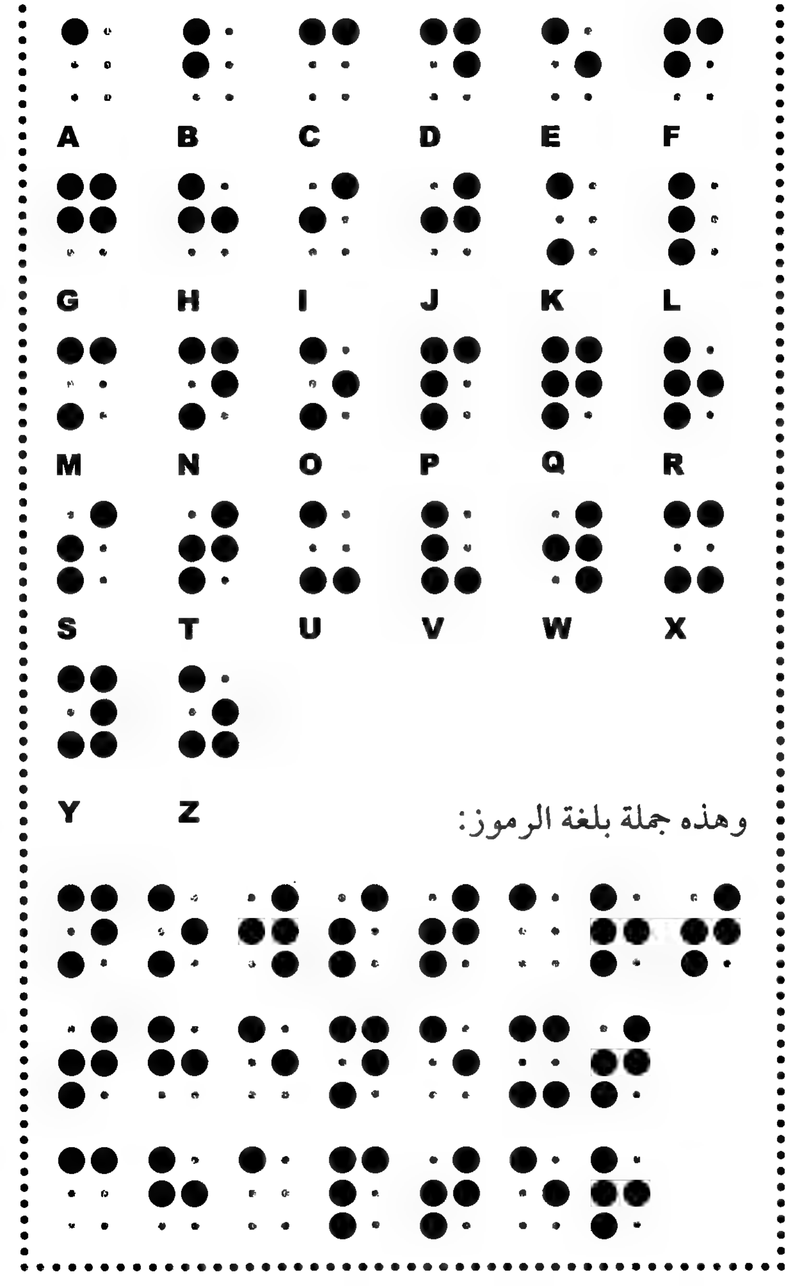
وحالما نتعلم القراءة والكتابة، يقال علينا إننا متعلمون. ويسمى الشخص الذي لم يتعلم القراءة والكتابة أمياً. هناك الملايين من الناس في جميع أنحاء العالم من الأميّين. لم يكونوا قادرين على التعلّم، ربما بسبب عدم وجود مدرسة قريبة عندما كانوا صغارًا، أو ربما كانت المدرسة تحتوي على القليل من الكتب أو مواد الكتابة. حتى في بلدان مثل المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأميركية، فإن عددًا مفاجئًا من الأشخاص إما لا يستطيع القراءة أو يواجه صعوبة كبيرة في القراءة. ويواجه كل من يتحدّث الإنكليزية عاجلاً أم آجلاً مشكلة التهجئة. لماذا تمثل تهجئة الإنكليزية كابوسًا؟

حروف خاصة

كيف تتعلم القراءة والكتابة إذا كنت أعمى؟ واحدة من أكثر الطرق استخداماً على نطاق واسع تسمى طريقة برايل تلفظ (brayl)، سميت نسبة إلى الشخص الذي اخترعها في بداية القرن التاسع عشر، الفرنسي لويس برايل. وهي في أبسط أشكالها، تعني أنْ يظهر كل حرف في خلية مستطيلة من خلال مجموعة من البروزات التي يمكن الشعور بها باستخدام أطراف الأصابع. هناك أشكال خاصة للأرقام أيضًا، ولعلامات الترقيم وحروف اللهجات (في لغات مثل الفرنسية).

في الصيغة الأكثر تطورًا، نجد أشكالاً لبعض الكلمات، وهي الكلمات التي تتكرر كثيرًا، مثل: (you)،(and)، و(have)، وأجزاء من الكلمات، مثل ing كما في: (jumping) و(going). هذا يوفر الكثير من المساحة، خصوصًا في الأماكن التي لا يوجد فيها الكثير من المساحة، مثل اللافتات العامة أو قوائم المطاعم.

تتوفر مساحة فارغة لست نقاط في كل خلية، والنقاط السوداء تُظهر رمز كل حرف. بالنسبة للغة الإنكليزية، يتم تعيينها عادة في مجموعتين من عشر نقاط، ومجموعة أخيرة من ست. إذا نظرت بعناية، سترى إن الحروف من K إلى T هي نفسها تلك من A إلى J، ولكن بنقطة إضافية في الأسفل. الحروف U و V و X و Y و Z هي نفسها مثل A إلى E، ولكن بنقطتين في الأسفل. W هو الشيء الغريب، لأن الفرنسيين لم يستخدموا هذا الحرف في أبجديتهم في الوقت الذي ابتكر فيه برايل نظامه.


A B C D E F
G H I J K L
M N O P Q R
S T U V W X
Y Z
وهذه جملة بلغة الرموز:

الفصل التاسع



تعلم التهجئة الصحيحة

يمكننا أنْ نكون قُرّاءً جيدين ومع ذلك ما نزال نجد صعوبة في التهجئة. لماذا؟

السبب الرئيس هو إنه عندما نقرأ شيئًا ما، يكون هناك شخص آخر قد قام بتهجئة الكلمات. لقد تمّ فعلاً القيام بكل ذلك العمل الشاق. وهذا يعني إننا نستطيع تخطي بعض الكلمات وعدم الاهتمام الكامل بجميع الحروف. ومن الممكن أيضًا قراءة الجمل رغم حذف بعض الحروف منها.

I xpct yu cn read ths sntnce

تعني هذه الجملة (أنا أتوقع إنك تستطيع قراءة هذه الجملة) وهي جملة من رسالة نصية. يقوم مدونو الرسائل النصية بكتابة مثل هذا النوع من الرسائل، كما سنرى (في الفصل الثلاثين).

ولكن عندما يتعين علينا تهجئة كلمة، لا يمكننا تكوين أي اختصارات. يجب على المتهجّين أنْ يتعاملوا مع كل الحروف، لكي يحصلوا على الكلمة الصحيحة.

إذا طلب منا شخص ما أن نتهجى كلمة بصوت عالٍ فستكون عملية شاقة للغاية، فكر فقط بما يجب علينا القيام به. لنفترض إنها كلمة TOMATOES (طماطم). أولاً علينا أنْ نتذكر الشكل المنطوق للكلمة في رأسنا. ثم يتعين علينا أنْ نتذكر الشكل الذي كتبت فيه، على افتراض إننا رأينا ذلك مكتوبًا من قبل. ومن ثم يتعين علينا أنْ نتمعن في الكلمة، حرفًا حرفًا، ونقول أسماء الحروف بصوت عال، وفق الترتيب الصحيح.

إذا لم نتذكر اننا رأينا الكلمة من قبل، فلدينا مهمة إضافية يتعين علينا القيام بها. علينا الآن أنْ نحاول العمل على تهجئتها في دماغنا، وذلك باستخدام إحساسنا بها وكيف تبدو. إذا تمت تهجئتها بطريقة منتظمة، سنقوم بذلك بشكل صحيح. لكن الناس لا يطلبون منا عادة تهجئة الكلمات السهلة. فهم يخرجون عن المألوف، لا سيّما أثناء المسابقات، بحثًا عن الكلمات الصعبة المهولة مثل accommodation (الإقامة) و bureaucratic (البيروقراطية) و rhinoceros (وحيد القرن).

أي شخص شارك في مسابقة تهجئة يعرف مدى سهولة حدوث الأخطاء. قد نعرف تهجئة الكلمة، ولكن وسط حالة الهلع التي تنتابنا خوفًا من الفشل في تهجئتها بشكل صحيح، قد نذكر أحد الحروف خطأ، أو نخلط الحروف. نأتي إلى كلمة

TOMATEOS. لقد كنا حريصين جدًا على تذكر أن هناك حرفَ E في النهاية إلى حد إننا قلناه في البداية! ليس من الحكمة تقديم شكوى إلى القاضي. مع التهجئة، علينا التمكّن منها منذ المرّة الأولى.

لماذا نحتاج إلى التهجئة بشكل صحيح؟ لأنه خلال الـ 300 سنة الماضية أو نحو ذلك، أصبحت التهجئة جزءًا من الطريقة التي يصدر بها الناس أحكامًا عنا. إذا لم نقمْ بها بشكل صحيح، فإننا نعطي انطباعًا بأننا جهلة أو مهملين أو كسالى. ويمكن أن تُحدِث فرقًا كبيرًا. إذا كان هناك شخصان يتقدمان للحصول على وظيفة، وملأ أحدهما نموذج التقديم بالإملاء الصحيح، والآخر لا، مَنْ برأيك سيحصل على الوظيفة؟

من المهم أيضًا الحصول على التهجئة الصحيحة عند استخدامنا للإنترنت. إذا قمنا بكتابة عنوان إلكتروني بطريقة خاطئة، فلن نصل إلى الموقع الذي نريده. وإذا أردنا البحث عن موضوع معين في أحد محركات البحث، وأخطأنا في كتابة كلماته، يمكن أن ينتهي بنا الأمر إلى مواجهة كل أنواع الترهات. فمحرك البحث جوجل Google مثلا ذكي للغاية، حيث أنه يلاحظ الأخطاء الإملائية الشائعة ويطلب منا التحقق من الكتابة. ذات يوم أردت بعض المعلومات عن ولاية فلوريدا وكتبت كلمة (فلورديا) عن طريق الخطأ. سألني (هل تقصد فلوريدا؟) عفوًا، نعم. شكرًا جزيلاً.

في معظم أجهزة الكمبيوتر هناك مدقق إملائي، وقد يكون ذلك مفيدًا في بعض الأحيان إذا قمنا بكتابة شيء ما بشكل غير

صحيح. يتم تمييز الكلمة الخطأ على الشاشة بطريقة ما، كما هو الحال مع التسطير الأحمر. ولكن يجب ألّا نعتمد على المدقق الإملائي مطلقًا. سيتم الإبلاغ عن الكلمات فقط إذا لم تكن موجودة في القاموس. إذا كانت أخطاؤنا الإملائية تبدو وكأنها كلمات حقيقية، فلن يشرحها المدقق. كتب البروفيسور جيرولد زار، ذات مرة، قصيدة بعنوان (قصيدة إلى المدقق الإملائي)، وتبدأ هكذا:

Eye halve a spelling check her
It came with my pea sea.
It plane lee marks four my revue
Miss steaks aye kin knot sea

لن يجد أي مدقق إملائي في الكمبيوتر أي شيء خطأ في هذه الأبيات الشعرية.

إذا لم نعتني بتهجئتنا، يمكن أنْ تسوء كل الأمور. لن نُضيّع طريقنا في الإنترنت فحسب، بل سنجد صعوبة في إرسال رسائل نصية عبر الهواتف الذكية. إذا كان (من الرائع) حذف بعض الحروف، حين نكتب رسائل نصية، فيجب علينا أنْ نعرف الحروف في المقام الأول! أفضل مدوني الرسائل النصية هم دائمًا أفضل المتهجين. أو فكر في طريقة اشتراكنا في المواقع التي تطلب منا اسم مستخدم وكلمة مرور. إذا ارتكبنا خطأً إملائيًا، لن يتم السماح لنا بالدخول. ويدفعنا ذلك إلى بذل جهود مضنية لكتابة الإملاء بشكل صحيح قدر الإمكان.

هناك عدد قليل جدًا من الأماكن التي لا يعترض فيها الناس علينا إذا قمنا بتهجئة الكلمات بشكل خاطئ. يمكننا الابتعاد عن بعض التهجئات الغريبة عندما نتحدث عبر الإنترنت في أحد مواقع التواصل الاجتماعي، مثل فيسبوك أو تويتر، أو نتبادل الرسائل الفورية أو الرسائل النصية أو البريد الإلكتروني. ولكن حتى هناك يجب أنْ نكون حذرين. إذا كانت تهجئات الكلمات غريبة جدًا، فلن يفهم الآخرون ما نقوله.

هذا هو السبب في تطوير نظام الإملاء القياسي في المقام الأول، بالطبع. إذا تكلمنا جميعًا بنفس الطريقة، فسيفهم كل منا ما يكتبه الآخر. إذا استخدمنا جميعًا نظام الإملاء الشخصي الخاص بنا، فلن يحدث ذلك. في العصور الوسطى، لم يكن هناك نظام إملاء قياسي. يتهجى الناس الكلمات بشكل أطول أو أقصر كما يحلو لهم، مما يجعله يعكس الطريقة التي تحدثوا فيها في خطاباتهم اليومية. شخص ما من شمالي إنكلترا سوف يتهجى الكلمات بطريقة معينة، تعكس لهجته الشمالية. أما إذا كان الشخص من الجنوب فسيصفها بطريقة مختلفة، ويعكس لهجته الجنوبية. ولدى الناس أيضًا طريقة الهجاء المفضلة الخاصة بهم. لكن لا أحد سينزعج كثيرًا إذا ما أصبحت هناك طريقة ثابتةً. في المخطوطات التي تعود إلى القرون الوسطى، نجد في كثير من الأحيان نفس الكلمة مكتوبة بطرق مختلفة في نفس السطر. حتى كتابة الأسماء الشخصية لم يكن بشكل ثابت. هناك ستة توقيعات لشكسبير يعتقد أنه كتبها بنفسه. منها هذه:

(Shaksper) و(Shakspere) و(Shakspeare).

تغيرت الأمور في القرن الثامن عشر، عندما اكتسح المزاج الجديد المجتمع. أصبحت التهجئة إحدى الطرق التي يمكن للناس أنْ يميزوا فيها الشخص المتعلم عن غير المتعلم. ومنذ ذلك الحين، أصبح واجبًا على الأطفال في المدارس الإنكليزية أنْ يتعلموا التهجئة بشكل صحيح. وكانوا يأخذون قوائم بتهجئة الكلمات معهم إلى المنزل كل يوم ليذاكروها، ويتم اختبارهم في اليوم التالي. وقد بذلت أجيال من الأطفال جهودًا جبارة لتتعلم التهجئة الصحيحة.

لماذا أصبحت التهجئة الإنكليزية صعبة هكذا؟ يعود السبب في ذلك إلى مجموعة من التأثيرات المختلفة التي تعرضت لها اللغة، على مدى آلاف السنوات الماضية. كتب الرهبان اللغة الإنكليزية لأول مرة في العصور الإنكلو ساكسونية، في حوالي القرن السابع، وقاموا بأفضل ما يمكنهم فعله، في محاولة لجعل هجاء الكلمات يعكس الأصوات بدقة. على سبيل المثال، كلمة (queen)، التي - إذا استمعنا لها بعناية - سنكتشف إنها تحتوي على أربعة أصوات، عادة ما يتم تهجئتها بأربعة أحرف، في أغلب الأحيان كـ (cwen). لكن هذا تغير بعد الفتح النورمندي في عام 1066. جاء الكتّاب الفرنسيون إلى بريطانيا، وأحضروا معهم طرقهم المفضلة في تهجئة الكلمات. واحد هذه الطرق كانت استخدام <qu>. وبدأوا في تهجئة صوت العلة الطويل كـ <ee>.

كان يتم تهجئة المئات من الكلمات بهذه الطريقة. وهذا ما حدث مع حرفي <gh> في كلمة (night). ولماذا نكتب كلمتي (circle) و(cell) بـ <c> وليس <s>؟ الفرنسيون من بدأ ذلك أيضًا.

وماذا عن حرفي <gh> في كلمة (ghost)؟ لم يكن هناك سوى حرف <g> في الأزمنة الإنكلوسكسونية. لم يكن الفرنسيون مسؤولين عن ذلك. هذه المرة جاء التغيير من جزء مختلف من العالم: بلجيكا وهولندا. عندما أنشأ أحد سكان لندن وكان يدعى ويليام كاكستون، مطبعته عام 1476، وظف أشخاصًا من شمالي أوروبا، حيث تعلّم تجارته. وجلبوا هؤلاء بعضًا من طرق هجائهم المفضلة الخاصة بهم، وكانت واحدة من هذه الطرق إدخال حرفي <gh>. وكلمة (ghost) كانت هي (gheest) باللغة الهولندية.

بمجرد بدء طباعة الكتاب، أصبحت هناك تهجئة ثابتة للعديد من الكلمات. هذا هو الخبر السار. الأخبار السيئة كانت هي أن الناس غيّروا الطريقة التي تحدثوا بها تدريجيًا، بحيث توقف الهجاء في النهاية عن التعبير عن نطقهم. في العصور الإنكلوساكسونية، نطق الناس حرف <k> في كلمات مثل (know) و(knight)، واستمروا في القيام بذلك في العصور الوسطى. لذا كان من الطبيعي أنْ يطبع كاكستون تلك الكلمات مع حرف<k>. لكنهم توقفوا عن نطق <k> (سنرى لماذا في فصل لاحق)، مما منحنا النطق الذي ما زال لدينا اليوم. كان

من اللطيف أنْ يتغير الإملاء ليعكس النطق الجديد، لكن هذا لم يحدث. وظلت تهجئة كاكستون هي السائدة. واليوم، علينا أن نتعلم (الحروف الصامتة) بعدة كلمات مثل تلك.

بعد ذلك بقليل، في القرن السادس عشر، تسللت حروف صامتة أكثر. يعتقد عدد من الكتاب أنه سيكون من المفيد أن تظهر التهجئة الإنكليزية للقراء أصل الكلمات. خذ كلمة مثل (debt) دين. نحن نلفظها [det]، وهكذا كانت تتم تهجئتها في العصور الوسطى. نجد مثل هذه التهجئات كـ <det> و<dett>. إذن من أين جاء الحرف b؟ جاءت كلمة (debt) من الكلمة اللاتينية، (debitum). وأضاف الكتاب حرف <b> من أجل إعطاء لمحة حول أصول الكلمة، وبالممارسة تثبت هذا الشيء. نحن جميعًا نكتبها بهذه الطريقة الآن.

وعلى مدى 400 سنة تلت ذلك التاريخ، سافر أناس من بريطانيا إلى جميع أنحاء العالم، وعادوا بأشياء، وخبرات وأفكار وكلمات جديدة. وصلت كلمات جديدة من العديد من اللغات، مثل البرتغالية والإيطالية والعربية والصينية، وكان على الناس أنْ يقرروا كيفية نطقها. وكانت النتيجة بعض التهجئات الغريبة جدا، هجاء لم يسبق له مثيل في اللغة الإنكليزية من قبل. إليك مجموعة صغيرة منها:

grotesque, pizza, gymkhana, karate, tattoo, llama, bazaar, guitar

مع بعض هذه الكلمات، استغرق الأمر وقتًا طويلاً قبل أنْ يقرر الناس ما هي أفضل طريقة لتهجئتها. حتى اليوم، هناك بعض الكلمات التي لم يتخذ الكتّاب رأيهم بشأنها. كيف نكتب كلمة (زبادي yogurt)، أو (yoghourt)، أو (yoghurt)؟ ستجد كل التهجئات الثلاثة هذه الأيام.

إذن، فإن التهجئة الإنكليزية معقدة، لأن نظامًا أصليًا بسيطًا قد تم تغييره إلى العديد من الاتجاهات على مدى آلاف السنين الماضية. لقد حاول بعض الناس إصلاحه، لجعله أكثر بساطة، ولكن دون أي نجاح يُذكر. لذلك علينا أنْ نقضي الكثير من الوقت والطاقة في التعلّم. ولكن بمجرد أنْ نتمكن من فعل ذلك، سنكتسب مهارة مفيدة للغاية تكون تحت تصرفنا متى نشاء. سنثق أننا سنكون قادرين على قراءة أي شيء مكتوب باللغة الإنكليزية في جميع أنحاء العالم. وأن ما نكتبه سيكون قابلاً للقراءة من قبل أي شخص آخر في البلدان الناطقة بالإنكليزية. بمجرد أنْ يتعلم الجميع التهجئة بنفس الطريقة، فإن ذلك يجعل مهمة التواصل أسهل بكثير. في الواقع، إنه أساس بعض طُرق التواصل. وبدون الاعتماد على نظام الهجاء القياسي، فان الإنترنت سينهار.

التلاعب بالهجاء

بمجرد أنْ أصبح هناك نظام تهجئة قياسي، تمكّن الناس من التلاعب فيه لإحداث تأثيرات خاصة. نجد متاجر تتخذ أسماء لها بطرق مميزة، مثل QuikTrip و SuperValu و Toys (R) Us غالبًا ما يتم مشاهدتها مع (R) من الخلف إلى الأمام. العديد من المنتجات لها هجاء خاص، مثل Nu Skin. والتهجئات الغريبة شائعة بشكل خاص على مواقع الإنترنت، لأننا إذا أردنا تكوين اسم نطاق جديد، فسنجد على الأرجح أن جميع الكلمات التي تحتوي على تهجئات عادية قد استخدمت من قبل. لهذا السبب نرى أسماء مثل Flickr.

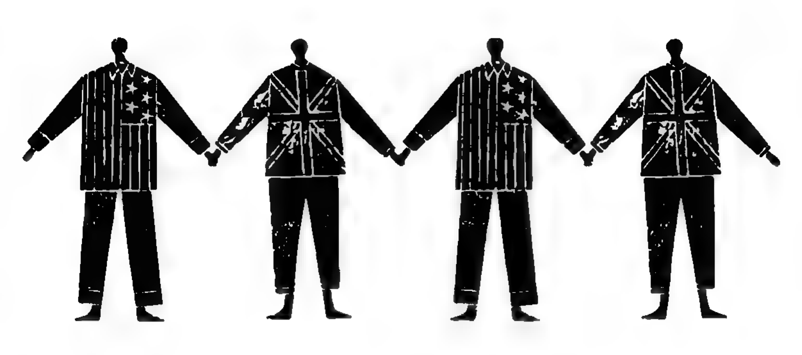
تفضل فرق موسيقى البوب التلاعب بالكلمات أيضًا. إليك مجموعة صغيرة من أسمائها:

the Beatles	**Outkast**	**Siouxsie Sioux**
Rob da Bank	**Sugababes**	**the Monkees**
Eminem	**Gorillaz**	**Boyzone**

ليس من الصعب تكوين أسماء جديدة، باستخدام هذه الطريقة. لنفترض إنك أسست فرقة لموسيقى البوب وفكرت في تسميتها (cool dudes). قد يبدو هذا الاسم مملاً بعض الشيء، لأن عبارة (Cool Dudes) غالبًا ما تستخدم في الكلام اليومي. ولكن بمجرد بدء التلاعب بالتهجئة، توجد جميع أنواع الاحتمالات المثيرة للاهتمام. ماذا عن (Cool Dudes)؟

لا يحدث التأثير إلّا لأننا نعرف التهجئة (الحقيقية) التي تكمن وراءها. أي شخص يظن إن التهجئة العادية لـ (Cool) هي (kool) لن يهتم. على مغنيّ الراب أنْ يعرفوا كيف يتهجوا أيضًا.

الفصل العاشر



القواعد والاختلافات في التهجئة

لقد أشرت إلى كلمة (الزبادي) yogurt، في الفصل التاسع، لأنها تحتوي على أكثر من تهجئة واحدة. هل هناك كلمات أخرى تشبهها؟ هناك عدد غير قليل، في الواقع.

إذا قرأنا محتويات قاموس ما، فغالبًا ما نجد كلمات يمكن كتابتها بأكثر من طريقة. ومعظمها يرجع إلى الاختلافات بين الإنكليزية البريطانية والأميركية. في أوائل القرن التاسع عشر، قام كاتب أميركي، يدعى نوح ويبستر، بتغيير تهجئة كلمات معينة لجعل اللغة الإنكليزية تبدو أكثر أميركية، ولم يفلح. لذا عندما يقرأ البريطانيون اليوم صحيفة أمريكية، يلاحظون الكثير من الاختلافات.

كما يفعل الأميركيون بالطبع عندما يقرأون صحيفة بريطانية. هذه بعض الأمثلة:

الإنكليزية الأمريكية	الإنكليزية البريطانية
colour	color
centre	center
pretence	pretense
traveller	traveler
jewellery	jewelry
grey	gray
pyjamas	pajamas
tyres	tires

وهناك غيرها الكثير.

قد يعتقد الناس الذين يعيشون في أجزاء من العالم خارج الولايات المتحدة الأميركية أن الطريقة التي يكتب بها الأميركيون لا تؤثر بهم. للأسف، الحياة ليست بهذه البساطة! فبسبب أن الولايات المتحدة الأميركية أصبحت دولة قوية ومؤثرة، فإن الناس في بريطانيا وأستراليا وكندا وأجزاء أخرى من العالم يصادفون الكلمات الأميركية في كل مكان. في الأفلام والكتب وأغاني البوب وجميع مواقع الإنترنت. لقد كتبت ذات مرة كلمة (color) في محرك البحث Google وحصلت على 867 مليون نتيجة. ثم كتبت كلمة (colour) وحصلت على 163 مليون،

وعندما نستعرض قائمة النتائج، نرى كلا التهجئتين نظرًا للطريقة التي يعمل بها البرنامج.

ونتيجة لذلك، على مدى المئتي سنة الماضية، بدأت التهجئة الأميركية تؤثر على طريقة تهجئة الناس في أجزاء أخرى من العالم. في الماضي، كنا سابقًا نرى كلمة (encyclopaedias الموسوعات) بالتهجئة البريطانية فقط والتي تحتوي، على حرفي ae. أما اليوم، فكثيرًا ما نصادف كلمة (encyclopedias)، مع حرف <e> فقط. هذا هو الاستخدام الأميركي للكلمة الذي انتشر حاليًا. عند استخدام أجهزة الكمبيوتر، يستخدم معظم البريطانيين (التهجئة) الأميركية لكلمات مثل برنامج (program) و(hard disk) و(analog) بدلاً من التهجئة البريطانية (programme) و(hard disc) و(analogue).

عندما كان نوح ويبستر يحاول ترتيب الهجاء الأميركي، كان الناس في بريطانيا يحاولون فهم التهجئة البريطانية. في القرن الثامن عشر، كانت وما تزال هناك أكثر من طريقة لتهجئة الكلمات، مثل (raindeer) و(reindeer) و(error) و(errour) أو (music) و(musick). في عام 1755 ألف صموئيل جونسون قاموسًا ضخمًا، وأصبح كثيرًا من خياراته في التهجئة مقبولاً نظرًا لاستخدامه في المطابع. على سبيل المثال، بفضله، نكتب اليوم كلمة (receipt) بـ <p> (وليس receit) و(entire) بـ <e> (وليس intire). من ناحية أخرى، لم يتم الأخذ بجميع خياراته. فقد أراد أنْ تنتهي جميع الكلمات التي تنتهي بالحرف<c> بالتعبير

<ck>، وهذا بالتأكيد لم يأخذ به أحد. نحن نكتب اليوم (comic) و(music)، وليس (comick) و(musick).

كما أن للطريقة التي يستخدمها الناشرون وأصحاب المطابع لتهجئة الكلمات تأثيرًا كبيرًا على ما إذا كنا نعتقد أن التهجئة صحيحة أم لا. مع إنهم لا يتفقون دائمًا! خذ كتابًا سترى تهجئة معينة؛ خذ كتابًا آخر سترى كتابةً مختلفةً. فيما يلي بعض الأمثلة على الاختلافات:

judgment	judgement	
recognise	recognize	
flower pot	flower pot	flowerpot
biased	biassed	
movable	moveable	
enthral	enthrall	
the equator	the Equator	

في بعض الأحيان يعتمد الهجاء الذي نستخدمه على المعنى. نحن لا نشتري (theatre programme) ولكن (computer program).

عندما تقرأ كتابًا، لن تلاحظ هذه الاختلافات. ذلك لأن محرر النسخ قد مرّ بالنص، قبل نشره، للتأكد من ظهور أي كلمات ذات تهجئات بديلة في نفس النموذج. لنفترض إنني كنت أكتب رواية وكتبت جملة مثل هذه، ربما تلاحظ وجود شيء غريب بشأنها:

I realised John was upset and he realized I was

أدركت إن جون كان مستاءً وأدرك إنني كنت

قد تسأل. ألَا يمكنك أن تعمل عقلك نظرًا لأن كلا النموذجين موجودان باللغة الإنكليزية، فمن السهل جدًا، عند تأليف كتاب – أو كتابة مقالة – استخدام تهجئة معينة ثم تستخدم واحدة أخرى. ويعمل محررو النسخ على التخلص من هذه التناقضات. في هذا الكتاب، سيتم دائمًا تهجئة كلمات مثل (realize) باستخدام حرف (z).

لذلك، عندما يتحدث الناس عن مدى أهمية استخدام التهجئة الصحيحة، فهم على حق، لأننا إذا استخدمنا أي طريقة قديمة، فلن نحصل على معناها. ولكن يتعين علينا أيضًا إدراك أنه يوجد أحيانًا أكثر من (تهجئة صحيحة). كيف نقرر ماذا نستخدم؟ معظم الناس ببساطة يفعلون ما تعلموه من معلمهم في المدرسة. وهكذا تسير الأمور دائمًا بهذه الطريقة.

التهجئة هي واحدة من الطرق التي تجعلنا نضع فيها الأشياء في نصابها الصحيح، إذا لم نرغب في أن تتعرض الطريقة التي نكتب بها إلى الانتقاد. ما هي الطرق الأخرى؟

نحن بحاجة إلى معرفة علامات الترقيم الصحيحة كذلك. وهذه مهمة سهلة، لأنه لا يوجد سوى اثنتي عشرة أو أقل من علامات الترقيم ينبغي علينا تعلّمها – مقارنة مع الآلاف من علامات التهجئة – ولكن في الواقع هنا توجد تعقيدات أيضًا. ليس من الصعوبة البالغة معرفة إننا نحتاج إلى علامة من نوع

ما لكي نبين إننا وصلنا إلى نهاية الجملة. هذه هي الخيارات في اللغة الإنكليزية:

Mary went into the garden.
Mary went into the garden?
Mary went into the garden!
Mary went into the garden…



وبالطبع، في كتابة غير رسمية فعلاً، كما هو الحال في غرفة الدردشة أو كتابة رسالة نصية، يمكننا القيام بأشياء مثل هذه:

Mary went into the garden!!!!!!!!!!
Mary went into the garden???

يتعلم الأطفال قيمة هذه العلامات المختلفة عندما يتعلمون القراءة، وعادة ما يفعلون ذلك بسرعة لأن معنى كل علامة واضح إلى حد ما. نحن نستخدم علامة استفهام لطرح سؤال. نستخدم علامة التعجب عندما نريد التعبير عن مشاعر قوية. نستخدم ثلاث نقاط أو علامات حذف عندما نريد أنْ نوضح جملة لم تنته بعد. ونستخدم علامة التوقف الكامل فقط عندما نريد الإشارة إلى أن الجملة قد انتهت، دون إضافة أي معنى خاص.

ومع ذلك، فإن بعض علامات الترقيم الأخرى أكثر صعوبة في تعلّم استعمالاتها. ولا يتفق الجميع على كيفية استخدامها. خذ مثلاً الفواصل. الفاصلة هي علامة مفيدة، لأنها تساعدنا على تبيان الكلمات التي تنتمي إلى بعضها البعض. إذا ترك لك شخص ما رسالة كهذه، فكم عدد الأشياء التي يجب عليك شراؤها؟

Get some Fruit, juice, tomatoes and eggs.

أربعة، بالطبع. لكن كم أصبح عددها الآن؟

Get some Fruit juice, tomatoes, and eggs.

الآن أصبح ثلاثة. لقد أحدثت الفاصلة كل ذلك الفرق.

ولكن هل سيحدث أي فرق إذا كنت قد رأيت هذه الرسالة، دون أي فاصلة بعد كلمة (الطماطم) tomatoes؟

Get some Fruit, juice, tomatoes

هذا لن يشكل فرقًا على الإطلاق. وعندما ننظر إلى الطريقة التي تُنقّط فيها هذه الجمل في الكتب والمجلات، نجد أن بعض الأشخاص يضعون فاصلة قبل كلمة (و) في قائمة، والبعض الآخر لا يفعل ذلك.

هناك عنصر شخصي قوي في الطريقة التي يُنقّط بها الأشخاص كتاباتهم. أعرف روائية كانت تضع الفواصل في كل مكان. وتكتب جملا مثل هذه:

Fortunately, the bus was on time, so Sheema wasn't late for the concert

لحسن الحظ، كانت الحافلة في الموعد المحدد، لذلك لم تتأخر شيما عن الحفل الموسيقي.

وأنا أعرف كاتبًا آخر يعزف عن استخدامها كلما كان ذلك ممكنًا. فيكتب الجمل هكذا:

Fortunately the bus was on time so Sheema wasn't late for the concert

لحسن الحظ جاءت الحافلة في الموعد المحدد لذلك لم تتأخر شيما عن الحفل.

بعض الناس ينزعجون كثيرًا من مثل هذه الأشياء. يقولون: يجب أنْ يكون هناك **دائمًا** فاصلة بعد كلمة مثل (لحسن الحظ). ولكن لا يتفق الجميع. ونجد كتّاب مشهورين يقومون بالأمرين.

يعتمد تحديد ما إذا كنا نستخدم الفواصل أو لا على جميع أنواع الأشياء. في بعض الأحيان ليس لدينا خيار في هذه المسألة. في اللغة الإنكليزية الحديثة، يضع الجميع فواصل هنا:

They were playing trumpets, clarinets, violins, oboes.

ولا أحد يضع فاصلة هنا:

The musicians, went home.

ولكن عند استخدمنا فواصل في أمثلة مثل (fortunately)، يعتمد المرء على الطريقة التي نريد أنْ تظهر بها الجملة. يمكن للإضافة انْ تغير تدفق أو إيقاع الجملة. بعض الكتاب يقضون دهرًا ليقرروا ما إذا كانوا يستخدمون فاصلة أم لا. يقول الكاتب المسرحي أوسكار وايلد: كنت أعمل على تنقيح إحدى قصائدي ذات صباح، وكتبت فاصلة. لكني حذفتها بعد الظهر!

ليست اللغة الإنكليزية فقط هي التي تحتوي على قواعد الإملاء وعلامات الترقيم، فهناك جدل حول طرق استخدامها. نجد ذلك في كل اللغات التي تمّ تدوينها. قد لا تكون القواعد هي نفسها الموجودة في للغة الإنكليزية. عندما نقرأ اللغة الأسبانية، فإن أول ما نلاحظه هو الطريقة التي تظهر بها الأسئلة والتعجب

في بداية الجملة ونهايتها، وتلك التي في البداية تكون مقلوبة رأسًا على عقب وهذه أمثلة من كلا اللغتين:

الأسبانية	الإنكليزية
¿Cómo está?	How are you?

وتلفظ: (kohmoh esta)

¡Qué lástima!	What a shame!

وتلفظ: (kay lasteema)

عندما نكتب بالأسبانية، علينا أنْ نتعلم إتباع قواعدها وليس قوانيننا الخاصة.

حتى في لغتنا الخاصة، علينا أحيانًا أنْ نتعلم قواعد جديدة، لأن نظام العلامات يتطور دائمًا. وقد أدخل الإنترنت، على وجه الخصوص، بعض الأنواع الجديدة من علامات الترقيم انظر إلى طريقة كتابة عناوين المواقع الإلكترونية:

http://www.thisisanexample.com/chapter10

إذا قرأنا ذلك العنوان بصوت عالٍ، فيجب أنْ نقول (نقطة) و(شرطة مائلة للأمام) أو (شرطة مائلة) فقط. هذا أمر جديد، في تاريخ علامات الترقيم باللغة الإنكليزية.

لذلك، هناك الكثير لتتعلمه حول التهجئة وعلامات التنقيط، ويستغرق الأمر عدة سنوات لتعلّم جميع القواعد، وكل الاستثناءات من القواعد، وجميع أوجه الشك بشأن الاستخدام. ولكن بمجرد أنْ نتقن ذلك، يصبح موقفنا قويًا. نصبح أعضاءً في نادٍ عالمي يضم أشخاصًا، يفعلون جميعهم الشيء نفسه. فنتأكد

إننا سنتمكن من قراءة ما كتبوه؛ وإنهم سيكونون قادرين على قراءة ما نكتبه.

نحن بحاجة إلى كلمة لتلخيص تلك الحالة، وهذه الكلمة هي (القياسية).

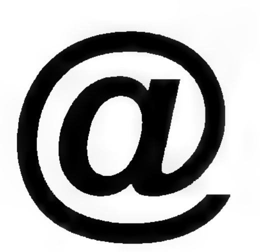
ما قمنا به، عندما تعلمنا التهجئة وعلامات التنقيط والترقيم، هو تعلّم الإنكليزية القياسية، أو الأسبانية القياسية، أو الفرنسية القياسية، أو أي لغة نتعلمها. إن وجود طريقة قياسية للكتابة يعني أن الناس سيكونون قادرين على فهم بعضهم البعض. والتهجئة وعلامات التنقيط هما اثنتين من الأدوات المهمة لإمكانية أنْ يحدث ذلك.

اثنتين من الأدوات المهمة؟ هذا يشير أن هناك أدوات أخرى. وبالفعل هناك أدوات أخرى يجب أنْ نراقب مفرداتنا أيضًا. وقبل كل شيء، علينا أنْ نتعلم قواعد النحو القياسية.

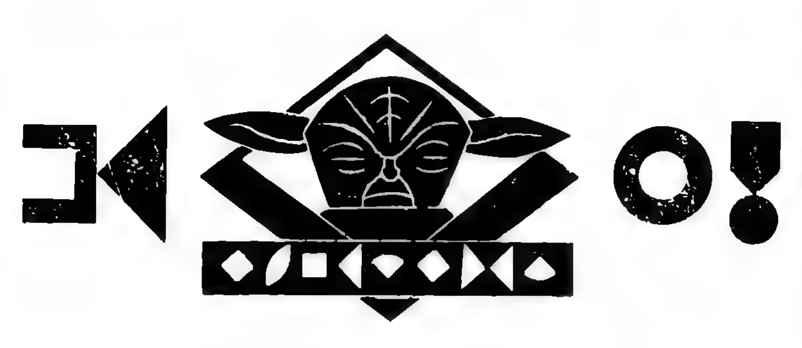
كيف نقول @ ؟

في عام 1971، أرسل مهندس كمبيوتر أميركي يدعى راي توملينسون أول رسالة بريد إلكتروني. لقد احتاج إلى رمز لتحديد موقع مرسل البريد الإلكتروني داخل نظام الكمبيوتر الذي يرسل ويستقبل الرسائل، واختار @، تنطق (at). ونسميها اليوم، (علامة at) باللغة الإنكليزية.

لكن اللغات الأخرى تعطيها أحيانا أسماء مختلفة. ينظر الناس إلى شكلها الممتع ويقارنونها بكل أنواع الأشياء، مثل الدودة، أو جذع الفيل، أو ذيل القرد. يطلق عليها اسم (مالبا) في بولندا وتعني (قرد) باللغة البولندية، و(سوباكا) في روسيا وتعني (كلب) باللغة الروسية، و(باباكا) في اليونان وتعني (البطة باليوناني). لكن الاسم المفضل عندي هو ما موجود في اللغة الفنلندية: (miukumauku مياو مواء).



الفصل الحادي عشر



القواعد والاختلافات في النحو

القواعد، كما تتذكر من الفصل السادس، هي الطريقة التي نبني بها الجمل من الكلمات. وعندما نتعلم كيف نتحدث لغة ما، نكتشف القواعد التي تتحكم في الطريقة التي نتحدث بها، نسمع في اللغة الإنكليزية الكثير من مثل هذه الجمل:

اشتريت معطفًا I bought a coat

كسر جوني الصغير نافذة Little Johnny broke a window

قام ساعي البريد بتسليم بعض الرسائل The postman delivered some letters

يمكن أنْ نستنتج من هذا إن كل جملة تتكون من ثلاثة أجزاء. قام شخص ما (أنا) و(جوني الصغير) و(ساعي البريد)

بشيء (اشترى) و(كسر) و(قام بتسليم)، وتأثر شيء ما بنتيجة هذا الإجراء.

تمّ شراء (معطف)، تم كسر (نافذة)، تم تسليم بعض الرسائل. الجميع يتحدث ويكتب على هذا المنوال في اللغة الإنكليزية. ويجب أنْ توضع الكلمات بهذا الترتيب لفهمها. إذا بدأ شخص ما يقول أشياء مثل هذه:

اشترى معطف أنا

نافذة كسر جوني الصغير

سلمت بعض الرسائل ساعي البريد

كنا ننادي على الرجال ذوي المعاطف البيض

وعلى نفس المنوال، نتعلم أن أجزاء الجمل لها قواعد أيضًا. نحن نقول (معطف a coat)، و(ساعي البريد the postman)، و(بعض الرسائل some letters)، وليس (coat a)، و(postman the)، و(letters some). نقول (little Johnny)، ولا نقول (Johnny little). يتفق الجميع على ذلك أيضًا.

هذه بعض القواعد الأساسية للغة الإنكليزية القياسية. وإذا كنا نعرف بعض المصطلحات النحوية، يمكننا أنْ نحدد ما هي هذه القواعد. تسمى (The) أداة تعريف. وتسمى كلمات مثل (ساعي البريد) و(النافذة) أسماء. لذا يمكننا أنْ نذكر القاعدة التالية: (في اللغة الإنكليزية، تأتي أداة التعريف دائمًا قبل الاسم).

هل كل اللغات لها نفس القاعدة؟ كلا على الإطلاق. في بعض اللغات، تأتي أداة التعريف بعد الاسم. في اللغة الرومانية،

كلمة hotel (فندق) هي نفس ما موجود في اللغة الإنكليزية، وكلمة (the) هي (ul). ولكن إذا أردنا أنْ نقول (الفندق) باللغة الرومانية، فيجب أنْ نقول (hotel the) ، (hotelul).

اللغة الإنكليزية فيها مئات القواعد النحوية التي تهدف إلى مساعدتنا على قول ما نريد. إذا كنا نريد أنْ نتحدث عن أكثر من شيء واحد، فإن اللغة تسمح لنا بذلك من خلال صيغ المفرد والجمع (بيضة egg) و(بيض eggs) و(فأر mouse) و(فئران mice). إذا أردنا وصف الأشياء، تعطينا اللغة أدوات للمقارنة (كبير big)، (أكبر bigger)، و(الأكبر biggest). إذا كنا نريد أنْ نتحدث عما يحدث في المستقبل، فإن اللغة تعطينا عدة خيارات، لكل منها معنى مختلف قليلاً (سأذهب I will go) (قد أذهب I might go)، (أنا على وشك الذهاب I am about to go)، وهكذا.

هذه كلها أمثلة تظهر كيف يقوم كل مستخدم للغة الإنكليزية بعمل نفس الشيء. بمعنى آخر، إنها جزء من اللغة الإنكليزية المعيارية. لكننا نصادف من حين لآخر جملاً لا يقوم فيها الجميع بنفس الشيء. على سبيل المثال، كيف تعبر عن فكرة عدم وجود مكتب بريد في إحدى القرى؟ في ما يلي بعضًا من الطرق:

1 – The village does not have a post office.

2 – The village has no post office.

3 – The village doesn't have a post office.

4 – The village hasn't got a post office.

5 – The village hasn't got no post office.

6 – The village ain't got no post office.

كل الجمل تعبر عن نفس الشيء، لكنها لا تمنح جميعًا الشعور نفسه، أليس كذلك؟ الأمثلة 1 و2 تبدو سليمة ورسمية إلى حد ما. الأمثلة 3 و4 تبدو قريبة أكثر قليلاً إلى الاستعمال اليومي وبالعامية. الأمثلة 5 و6 هي جمل جاءت مباشرة من الشارع.

أيهما ستراها موجودة في تقرير صحفي أو تسمعها في أخبار التلفزيون؟ الأمثلة 1 و2 هي الأكثر احتمالاً. قد نسمع الأرقام 3 و4 من مراسل متنقل كان يزور القرية. وقد نسمع الرقمين 5 و6 من سكان القرية حينما يقابلهم المراسل. ولكننا لن نرى أبدًا المثالين 5 و6 في إحدى الصحف، إلّا إذا كان المراسل يقتبس ما قاله أحدهم. وهل سنسمعهما يخرجان من فم قارئ الأخبار؟ حاول وتخيل ذلك:

هذه هي أخبار الساعة السادسة. خرج آلاف الأشخاص إلى الشوارع اليوم في قرية بلوبتون في يوركشاير، احتجاجًا على إغلاق متجرهم المحلي. القرية ليست لديها مكتب بريد. لا أعتقد أن ذلك ممكن الحدوث.

إن استخدامات مثل (لا ain't و hasn't got لا تمتلك) هي أمثلة على الإنكليزية غير القياسية. كلاهما يستخدمهما الملايين من الأشخاص في أحاديثهم اليومية، لكن لا يشعرون بأنهم (يتحدثون الإنكليزية بشكل جيد). لأكثر من 200 عام، عاش المجتمع الناطق باللغة الإنكليزية بفكرة أن بعض طرق التحدّث والكتابة (جيدة) وبعضها (سيئ). تنطبق النقطة نفسها على أنواع السلوك الأخرى، مثل آداب المائدة. من العادات السيئة

وضع سكين في فمنا. أو أنْ نحدث صوتًا عندما نتناول الحساء. من العادات السيئة أنْ نرفع صحننا ونرتشف الحساء. من ناحية أخرى، من العادات الحميدة أنْ نرفع سلطانيتنا قليلاً ونستخدم ملعقتنا لأكل الحساء (بهدوء).

لماذا يكون من المناسب: أن تتناول الحساء الخاص بك بطريقة معينة دون أخرى؟ إنها الطريقة التي تسير بها الأمور. في وقت ما في الماضي البائس والبعيد كانت هي الموضة، السائدة بين عليّة القوم في المجتمع، وبقيت على هذا النحو. وإذا كنا لا نرغب في أنْ ينتقدنا أحد، يجب أنْ نتصرف بهذه الطريقة.

لماذا من (المناسب) أنْ نقول hasn't got any (ومن المعيب أنْ نقول) ain't got no؟ إنه نفس السبب. في وقت ما في الماضي – خلال القرن الثامن عشر، على وجه الدقة – بدأ أكثر الناس نفوذًا في المجتمع يتحدثون ويكتبون بطريقة اعتقدوا بأنها أنيقة بشكل خاص. سمعوا الناس العاديين في الشوارع يقولون أشياء مثل (aint got no)، لذلك قرروا إنه يجب عليهم أن يتحدثوا ويكتبوا بشكل مختلف. وتأثرت بذلك عدة أنواع أخرى من الجمل أيضًا. لم يكن أي شخص من عليّة القوم يقول أشياء مثل (I were sat down) أو (we was eating)، لأن هذه هي الطريقة التي يتحدث بها الناس العاديون.

حسنًا، بمجرد أنْ تختار العائلة المالكة، والأرستقراطيون، والأساقفة، والأساتذة، وجميع الأشخاص المهمين الآخرين أنماطًا مثل (does not have any) كطريقة عادية للتحدّث

والكتابة، سيكون لزامًا على أي شخص يريد أنْ يكون شخصًا مرموقًا في المجتمع أنْ يفعل الشيء نفسه. لذلك حدثت فجوة كبيرة بين الطبقات. وباتت الطبقات العليا في المجتمع تصف أي شخص يستخدم المثالين 5 و6 أعلاه، أو جمل مثل (I were sat down)، بمجموعة كاملة من الأسماء السيئة، بأنه (يتكلم بصورة مشوهة)، أو (يفتقر إلى القواعد اللغوية)، (مهمل). وفي المقابل، كانت الطبقات الدنيا تصف كلام أي شخص يستخدم المثالين 1 و2، أو جمل مثل (I was sitting down)، بمجموعة مختلفة من النعوت، مثل (الفاخر)، و(الجذاب)، (والفخم).

الفجوة ما تزال موجودة حتى اليوم. تعتبر جميع الأمثلة 1 و2 و3 و4 من الإنكليزية القياسية، 1 و2 أسلوبها رسمي أكثر، و3 و4 أساليب عادية. لكن المثالين 5 و6 يعتبران من الإنكليزية غير القياسية. وهذا يعني إننا يجب أنْ نكون حذرين. لا مشكلة إذا استخدمنا الأمثلة 5 و6 في الشارع مع زملائنا. ولكن إذا استخدمناها في مقالة، أو في اختبار، أو أثناء التحدّث في محفل عام، أو في أي مكان آخر يتوقع فيه الناس أنْ نتصرف وفق أفضل سلوك لدينا، فمن المحتمل أنْ نحصل على بعض النظرات الغريبة، وبعضها منخفض العلامات!

لذلك يتسع نطاق اللغة الإنكليزية القياسية إلى إبعاد تفوق ما نعتقده عنها حينما نعرفها للوهلة الأولى. إنها ليس مجرد نوع من اللغة الإنكليزية المفهومة على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم. إنها أيضًا النوع الأكثر فائدة بين أنواع اللغة الإنكليزية في حال

أردنا الحصول على وظيفة جيدة أو مكانة مؤثرة في المجتمع. وهذا الأمر لا يحدث بشكل تلقائي. علينا جميعًا أنْ نتعلم كتابة اللغة الإنكليزية القياسية. وهو ما يحدث عندما نذهب إلى المدرسة. هناك عدد قليل جدًا من الناس يكبرون وهم يتكلمون الإنكليزية القياسية منذ الصغر. على الآخرين أنْ يتعلموا التكلم بها، وهو ما يحدث أيضًا عندما يذهبون إلى المدرسة. أما خارج المدرسة، فمعظم الأطفال يتكلمون نوعًا من اللغة الإنكليزية يكون فيه التحدث بالجمل المذكورة في الأمثلة 5 و6 أمرًا عاديًا. وهذا ما يفعله والديهم ومعظم الناس في مجتمعهم. ستسمع كلمة ain't في جميع أنحاء بريطانيا، أو أيرلندا، أو الولايات المتحدة الأميركية، أو كندا، أو أستراليا، أو جنوب إفريقيا... في أي مكان، في الواقع، حيث يتم التحدث باللغة الإنكليزية كلغة أمّ.

ما يحدث في المدرسة، إذن، هو أن الأطفال يتعلمون أن هناك طريقة بديلة للتحدّث مع الآخرين غير تلك التي يستخدمونها في المنزل وفي الشارع. في الأزمان السابقة، كان يخبرهم المعلمون أن أسلوبهم في التحدث في المنزل (سيئ) وإن الطريقة القياسية فقط هي الأسلوب (الجيد) للحديث. وجعل ذلك ببساطة أجيالا من الناس يشعرون بالدونية من الطريقة التي يتحدثون بها. اليوم، معظم المعلمين يتخذون وجهة نظر أكثر توازنًا. يرون أن كلا الأسلوبين له أهميته.

نحن بحاجة إلى قواعد النحو العامية والمدرسية على حد سواء، إذا أردنا أنْ نتعامل مع جميع المواقف التي تواجهنا في الحياة

سيتم انتقاد الأطفال (من قبل معلميهم) إذا كانوا يستخدمون قواعد النحو العامية في غرفة الصف، ولكن سيتم انتقادهم أيضًا (من قِبل زملائهم) إذا استخدموا قواعد النحو المدرسية في الشارع. من المهم إذن فهم الاختلافات بين هذين النوعين من اللغة، حتى لا نخلط بينها. بعد ذلك، وبمجرد أنْ نسيطر عليها، يمكننا البدء في استخدامها بطرق ذكية، تمامًا كما نفعل مع التدقيق الإملائي وعلامات الترقيم.

بعض الصحف والمجلات تتلاعب بكلمات الإنكليزية غير القياسية. فنحن نرى بين الحين والآخر عناوين مثل هذه:

WE AIN'T SEEN NOTHING YET نحن لم نرَ شيئاً بعد

هذا يكسر قواعد اللغة الإنجليزية القياسية التي كنت أتحدّث عنها في هذا الفصل. لكن يمكننا أنْ نرى على الفور أن الصحيفة تمارس لعبة معنا. نفس النوع من الشيء يحدث مع هذا العنوان:

DON'T FIX IT IT AIN'T BROKE IF

هنا، فان الكاتب إضافة إلى استخدامه تعبير ain't، كعنوان رئيس يستخدم شكلاً غير قياسي لكلمة (break). فلو أردنا أن نكتبه بأسلوب اللغة الإنكليزية القياسية، سوف يكون هكذا:

DON'T FIX IT IT ISN'T BROKEN IF

لذلك فان النتيجة ليست (ain't) واحدة.

قلت في وقت سابق أن معظم الناس لا يتحدثون الإنكليزية الفصحى في المنزل مع أسرهم وأصدقائهم. إذا ماذا يتحدثون؟ هنا يأتي دور اللهجات.

عودة الجيداي

غالبًا ما يستخدم الأجانب ترتيب الكلمات الإنكليزية غير القياسي. أفضل مثال أعرفه هو شخصيات، Yoda يودا معلم الجيداي، في سلسلة أفلام حرب النجوم، الذي يتحدث بشكل غير عادي للغاية في اللغة الإنكليزية. الترتيب المتوقع لأجزاء من جمله سيكون بالمقلوب.

Killed not by clones, this Padawan. By a lightsaber, he was. To fight this Lord Sidious, strong enough you are not

إنها قطعة مكتوبة بذكاء من قبل كتاب السيناريو. نمط الجملة قريب جدًا من ذلك المستخدم في الإنكليزية العادية، لذلك يمكننا فهمها بسهولة. وفيها أيضًا بعض أصداء من اللغة الإنكليزية التي كانت سائدة قبل عدة قرون مضت، لذلك فهي تناسب العصر الذي عاش فيه يودا العظيم (إحدى شخصيات سلسلة أفلام حرب النجوم). لكن اللغة الإنكليزية لم تستخدم أبدًا كلمات في صيغة أوامر مثل هذه، لذا يتكون لدينا انطباع بوجود شيء غريب تمامًا. ونتساءل مَنْ هو يودا. لا أحد يعرف من أين أتى. عند البحث في الموقع الخاص بسلسلة أفلام حرب النجوم، يُقال لنا ببساطة أنه من (الأنواع غير المعروفة).



الفصل الثاني عشر



اللهجات واللكنات

إنها واحدة من أولى الأشياء التي نلاحظها. نلتقي بشخص يتكلم لغتنا قادم من جزء مختلف من البلاد، أو من منطقة مختلفة من العالم، ونكتشف إنه لا يتكلم بنفس الطريقة التي نتكلم بها. طريقته تبدو مختلفة. يستخدم كلمات مختلفة وقواعد مختلفة. قد تكون الاختلافات كبيرة جدًا حتى نواجه صعوبة في فهمها. لماذا يحصل هذا؟

الجواب هو أن الأمر عائد برمته إلى اللهجات واللكنات. من المهم أنْ نفهم الفرق بين هذين المصطلحين، لذا سأتحدث عنها واحدة بعد الأخرى.

فاللهجة هي طريقة للتحدّث تنتمي إلى جزء معين من البلد. باستخدام الكلمات والعبارات المحلية، وغالبًا ما تكون معروفة

في أجزاء أخرى من البلاد. على سبيل المثال، إذا سمعنا شخصًا يتحدث عن (طفل صغير Wee Child) أو (bonny coat معطف جميل)، فسنكون على يقين من أنه قادم من اسكتلندا. (Wee تعني little) و(bonny تعني pretty). إذا سمعنا أحدهم يقول إنهم كانوا يهرولون (jigger) أو كانوا يرتدون (cozzy)، فإن من المحتمل أنه من ليفربول (jigger) هو الزقاق الذي يمتد خلف صف من المنازل؛ (cozzy) هو زي، وخاصة للسباحة. ومن يقول (nowt) (لا شيء) ربما يكون من يوركشاير.

هناك الكثير من اللهجات الإنكليزية في كل كيلومتر مربع في بريطانيا أكثر من أي جزء آخر من العالم الناطق بالإنكليزية. وذلك لأن بريطانيا لديها تاريخ متنوع، عاش فيها أناس ذوي أصول جرمانية قدِموا من أجزاء مختلفة من أوروبا ليستقروا في أجزاء مختلفة من البلاد، وبعضهم اختلط مع أقوام السلت من ويلز وإسكتلندا وأيرلندا. لم يمر وقت طويل قبل أنْ يقوم المستوطنون في منطقة صغيرة واحدة بتطوير طريقة خاصة بهم للتحدّث. لكن جميع البلدان فيها لهجات ورطانات. في الولايات المتحدة الأميركية، إذا سمعنا شخصًا ينادي مجموعة من الأشخاص بكلمة (y'll) وتعني (you all أنتم جميعًا)، فسنعلم أن المتحدث جاء من ولاية جنوبية، مثل تكساس، أو كان يقلد الكلام الجنوبي. إذا قال أحدهم (dropped eggs) بدلاً من (pached eggs) وهو يعني (البيض المسلوق)، فسيكون من الشمال الشرقي، في نيو إنغلاند. وإذا جلسنا على (stoop

ممر) (الخطوات المؤدية إلى مقدمة المبنى) يمضغ (hero البطل) (نوع من الساندويتش)، يمكننا أنْ نكون متأكدين إلى حد ما من وجودنا في نيويورك أو حولها.

هناك المئات من الكلمات المحلية في بعض اللهجات، وقد تم جمع العديد منها في قواميس متعددة. وكثيرًا ما نشاهد كتبًا بتلك اللهجات تباع في المراكز السياحية في جميع أنحاء البلاد، ويمكننا العثور على قوائم بها على الإنترنت أيضًا. كل ما علينا فعله هو كتابة (لهجة نيويورك) أو (لهجة يوركشاير) (أو أي شيء) في محرك البحث على الإنترنت، وسوف نحصل على الكثير من النتائج. أو يمكننا إعداد قوائمنا الخاصة من الكلمات المحلية التي نستخدمها بأنفسنا. تتغير اللهجات دائمًا، وتختلف الكلمات التي يستخدمها الشباب أحيانًا عن تلك التي يستخدمها كبار السن.

اللهجات لديها أيضًا أنماط مميزة من القواعد. على سبيل المثال، لدى الاسكتلنديين طريقتهم الخاصة في قول (not كلا). الأشخاص الذين يقولون (I canna come)، (أنا لن أذهب)، و(I dinna ken) لا أعرف من المحتمل إنهم من إسكتلندا. في اللغة الإنكليزية العادية، يجب أنْ نقول: (I can't come لا يمكنني القدوم)، و(I am not going لن أذهب)، و(I don't know لا أعرف). وتذكر العديد من اللهجات المحلية حول بريطانيا أشياء مثل five mile (خمسة أميال) (بدلاً من five miles) أو (I saw thee رأيتك) حينما يُراد القول (I saw you).

لاحظ إن كلمات وجمل اللهجة يمكن أنْ تخبرنا أن شخصاً ما يأتي من بلدة أو مدينة معينة (مثل نيويورك)، أو محافظة أو ولاية معينة (مثل يوركشاير أو تكساس)، أو جزء كبير من البلاد (مثل الشمال الشرقي أو إسكتلندا). عندما ننظر إلى الطريقة التي يتم بها استخدام اللغة الإنكليزية في جميع أنحاء العالم، يمكننا حتى التحدّث عن دول بأكملها. يتحدّث الناس عن (الإنكليزية الأسترالية) أو (اللغة الإنكليزية الأيرلندية). تحدثت في الفصل العاشر عن الإنكليزية البريطانية والأميركية. هنا لدينا اختلافات باللهجة على نطاق واسع.

يقول الناس في بريطانيا: We walked along the pavement (مشينا على طول الرصيف). في معظم الولايات المتحدة الأميركية يقولونها هكذا (We walked along the sidewalk). فكر في أجزاء السيارة. في بريطانيا، ننظر من خلال windscreen (الزجاج الأمامي للسيارة) hgn bonnet (غطاء المحرك). في الولايات المتحدة نقول، ننظر من خلال (windshield) إلى (hood). في مقدمة السيارة البريطانية يوجد (bumper مصد) وفي الخلف يوجد (boot حذاء). في الولايات المتحدة الأميركية يقولون عنها (fender الحاجز) و(trunk الجذع). نحدد السيارات البريطانية من خلال number plates (لوحات أرقام)، لكن السيارات الأميركية تحمل license plates. نحن نشعل (sidelights) مصابيح الإضاءة الجانبية في بريطانيا، ولكن نسميها (parkinglights) في الولايات المتحدة. داخل

السيارات البريطانية هناك (accelerator مسرع) و(gear stick عصا تروس) وmilometer (عداد). داخل السيارات الأميركية هناك (gas pedal دواسة الوقود)، و(gear shift ناقل الحركة)، و(odometer عداد المسافات).

هناك أيضًا اختلافات في القواعد بين الإنكليزية البريطانية والأميركية. اسأل شخصا بريطانيا عن الوقت عند 3:45 سيكون الجواب: « It's a quarter to four ». الرابعة إلّا ربع أما في أجزاء كثيرة من الولايات المتحدة، سيكون الجواب (It's a quarter of four). (الفرق في to وof) قد يقول شخص ما من بريطانيا (I've just got a new coat لقد حصلت للتو على معطف جديد). ستكون العبارة الأميركية المشابهة لها: (I've just gotten a new coat). في بريطانيا، يقولون: (The bus hasn't arrived لم تصل الحافلة بعد)؛ في الولايات المتحدة، نسمعهم يقولون: (The bus didn't arrive yet).

إذن جميع الاختلافات في اللهجات لها علاقة بالمفردات والقواعد. وهذه هي النقطة الأساسية التي يجب تذكرها عند التفكير في المصطلح المهم الآخر: اللكنة. فالاختلافات في اللكنات تتعلق بالنطق. فهي مثل اللهجات، تخبرنا من أي جزء من البلد، أو من أي بلد، يأتي شخص ما، لكن تمييزها يتم من خلال الأصوات وليس من خلال الكلمات والجمل. كل اللهجات التي ذكرتها لها لكنة. الناس من إسكتلندا يتحدثون بلكنة اسكتلندية. الناس من ليفربول يتحدثون بلكنة ليفربول

أو (Scouse). الناس من أميركا يتحدثون بلكنة أميركية. وهلم جرا.

في الواقع، يجب أن نكون أكثر دقة. قليلاً من الأفضل أنْ نقول أن الناس من إسكتلندا يتحدثون واحدة من العديد من اللهجات الاسكتلندية المتوفرة. تختلف الطريقة التي يتحدثون بها في غلاسكو تماماً عن الطريقة التي يتحدثون بها في أدنبره، ويختلف حديث الناس في الأجزاء الأخرى من إسكتلندا أيضًا. الأمر نفسه يحدث في إنكلترا، أو الولايات المتحدة الأميركية، أو في أي مكان. لا يوجد بلد فيه لهجة واحدة فقط.

وفي الواقع، لا يوجد شخص واحد أبدًا يتحدّث بلكنة واحدة، تتغير لكنتنا بمرور الوقت، حسب المكان الذي عشنا فيه ومن نتحدّث معه. لقد عشت في ويلز وليفربول وجنوبي إنجلترا، لذا فإن لكنتي هي مزيج من الأصوات في جميع الأماكن الثلاثة. عندما أكون في ويلز، فان لكنتي الويلزية البسيطة تغلب على طريقة نطقي. وعندما أزور ليفربول، أتكلم لكنتها التي تسمى (Scouse) وعندما أذهب إلى لندن، أبدو جنوبيا أكثر.

تتغير لهجتي أيضًا، اعتمادًا على نوع المناسبة التي أشارك فيها. إذا كنت ألقي محاضرة باللغة الإنكليزية لمجموعة من الطلاب في ألمانيا، فعندئذ سأتحدث ببطء أكثر وبصورة أكثر من المعتاد، سوف تبدو مشابهة أكثر للهجة شخص يقرأ الأخبار في محطة هيئة الإذاعة البريطانية. BBC وعندما أتحدث في الراديو، تصبح الملامح الإقليمية لطريقة نطقي ملحوظة بشكل أقل. في إحدى

المرّات، أوقفني في الشارع شخص من مدينتي، سمعني أتحدث في المذياع، وقال لي: «إن طريقة كلامك في المذياع لا تشبهك على الإطلاق!».

لكن كل هذه اللهجات موجودة عندي. كلها في رأسي، ويمكن لأجهزتي الصوتية أنْ تتعامل مع كل منها. غالباً ما يحدث أنْ أتحول إلى لهجة أخرى دون وعي مني. في الواقع، الجميع يفعل هذا. تلتقي بشخص له لهجة مختلفة عنك، وتبدأ بالتآلف معه. بعد فترة، ستجد نفسك تتحدّث قليلاً مثله. وفي نهاية المطاف سوف يجد نفسه يتحدّث مثلك، كل واحد منكما، يتقاسم أجزاء من لهجاتك. ثم، عندما تفترقان، تعود مرة أخرى إلى لهجتك الاعتيادية.

لماذا أصبح لدينا كل هذا العدد من اللهجات؟ لقد قلت من قبل إنها تخبرنا عن أجزاء البلد التي جاء الأشخاص الآخرين منها. لكن الأمر لا يتعلق فقط بأي جزء من البلاد. يمكن للهجات أنْ تخبر الآخرين أيضًا عن نوع الخلفية الاجتماعية التي نمتلكها أو نوع العمل الذي نقوم به. استمع إلى الأشخاص الذين يقرأون الأخبار في المذياع. تجدهم في بعض الأحيان يتكلمون لهجة إقليمية، ويمكننا أنْ نقول إنها تأتي من جزء معين من البلاد. لكن في كثير من الأحيان لا يفعلون ذلك. إذا استطعنا سماع لهجتهم، سنحزرها بسهولة بغض النظر عن المكان الذي جاءت منه.

في إنكلترا، هناك لهجة محايدة تسمى بالنطق الموروث أو القياسي (Received Pronunciation)، أو RP للاختصار. إنها لهجة نشأت في نهاية القرن الثامن عشر بين أفراد الطبقة العليا. سوف تتذكر كيف تحدّثت في الفصل الحادي عشر عن الطريقة التي بدأ بها هؤلاء الناس في استخدام قواعد اللغة الإنكليزية القياسية؟ كانت تلك واحدة من الطرق التي ابتكرت للحفاظ على تميزهم عن أفراد الطبقات الدنيا، التي يتحدّث معظمهم اللهجة الإقليمية. وكانت هناك طريقة أخرى هي نطق كلماتهم دون أنْ يكون هناك أي أثر للهجة إقليمية. إذا حذف الناس العاديون في جميع أنحاء البلاد صوت h في كلمات مثل hospital (المستشفى) و hand (اليد)، فبالتأكيد سيلفظها الأفراد الذين يتحدثون باللهجة المحايدة أو ما يسمى بالنطق القياسي (RP) إذا كان الناس العاديون في جميع أنحاء البلاد ينطقون صوت (r) في مثل هذه الكلمات كـ car (سيارة) و heart (قلب)، فإن من يستخدم النطق القياسي (RP) لن ينطقه.

ونتيجة لذلك، ظهر نوع جديد من اللهجة. في البداية كان يستخدم من قبل الناس في مناصب قيادية في المجتمع، مثل العائلة المالِكة والأساقفة والأساتذة والأطباء والقضاة. ثم بدأ المعلمون في استخدامها في المدارس العامة الكبرى (مثل إيتون وهارو ووينشستر)، ويقومون بتعليمها للأطفال. هناك العديد من القصص عن الأطفال ذوي اللهجة الإقليمية الذين يلتحقون لأول مرة في إحدى هذه المدارس ويجدون الأطفال الأكبر سنًا

منهم (أو حتى المدرسين) يضحكون من الطريقة التي يتحدثون بها. حينها يغير القادمون الجدد لهجاتهم إلى اللهجة المحايدة (RP) خلال أيام! كان هذا يحدث منذ 200 عام. وما يزال يحدث في بعض الأحيان في الوقت الحاضر.

عندما كبُر هؤلاء الأطفال، أصبح العديد منهم محامين وموظفين مدنيين، أو شغلوا مناصب أخرى في الدولة. انضمّ الكثيرون منهم إلى سلك الجيش أو البحرية أو سافروا إلى الخارج. كان القرن التاسع عشر هو الزمن الذي نمت وازدهرت فيه الإمبراطورية البريطانية. وكلما يتم احتلال مستعمرات جديدة في جميع أنحاء العالم، يتمّ تعيين البريطانيين مسؤولين عنها، وكانوا كلهم يتحدثون باللهجة القياسية (RP) ولم يمر وقت طويل، حتى كانت تلك اللهجة هي (صوت بريطانيا). وأصبحت صوت البي بي سي. وحتى يومنا هذا، لذا فإن اللهجة التي يتعلمها معظم الأجانب، عندما يتعلمون التحدّث بالإنكليزية البريطانية، هي اللهجة القياسية (RP).

منذ عام 1800، أصبحت لهجة (RP) هي اللهجة الرئيسة (للثقافة) في بريطانيا. وبات كثير من الناس يسمونها ببساطة اللهجة (الفخمة). لم يكن يتكلمها عدد كبير من الناس – لم تتجاوز نسبتهم على الأكثر، حوالي 5 في المائة من السكان – ولكن كانت هذه اللهجة هي التي يتواصل بها الأفراد من الطبقات الاجتماعية العليا أو الذين حصلوا على أفضل تعليم. هذا هو السبب في أنه

كان يطلق على هذا النطق received (موروث). كان ينظر إليه على أنه نوع من الميراث الذي ترثه من أسلافك.

وهناك لغات أخرى أيضًا فيها لهجات للمثقفين. هناك طرق رائعة للتحدّث في فرنسا وأسبانيا، وفي أي بلد شهد انقساما للمجتمع إلى طبقة عليا وأخرى دنيا. كما أن هناك أجزاء أخرى من الدول الناطقة باللغة الإنكليزية فيها لهجات مثقفة أيضًا. إذا كنت شاهدت فيلم Crocodile Dundee، فستسمع أن Paul Hogan يستخدم إحدى اللهجات في أستراليا. لا يتحدث الجميع في هذا البلد كما كان يفعل. الكثير من الأستراليين لديهم لهجات مثقفة أيضًا.

بدأت الأمور تتغير في بريطانيا. لم يعد التقسيم حادًا بين الطبقات العليا والدنيا كما جرت العادة من قبل. حصل بعض الأشخاص الذين يتكلمون بلهجات إقليمية على بعض من أفضل الوظائف في المجتمع. رئيس الوزراء جوردون براون كان يتكلم بلهجة اسكتلندية. هوو ادواردز يقرأ أخبار البي بي سي باللهجة الويلزية. إذا كان الأشخاص يتصلون بمركز اتصال للحصول على معلومات حول مواعيد القطارات، أو كيفية القيام بالتأمين على السيارات، فمن المرجح أن يتحدّث الشخص الموجود على الطرف الآخر من الهاتف لهجة إقليمية في هذه الأيام. سمعت مرة واحدة فقط شخصًا يتحدث اللهجة القياسية (RP). قبل بضع سنوات، قام علماء اللغة بإجراء مسح لكافة اللهجات التي تستخدم في مراكز الاتصال في بريطانيا، ووجدوا أن لهجات أدنبرة

ويوركشاير كانت هي الأكثر استخداما. وبعض اللهجات، مثل تلك التي من برمنغهام أو نيوكاسل، نادرًا ما استخدمت على الإطلاق.

الناس لديهم تصنيفات عديدة لتلك اللهجات. يصنفونها على أنها (جميلة) و(قبيحة) و(ذكية) و(غبية) و(موسيقية) و(فظة) وغير ذلك الكثير. لكن لا يمكن تصنيف اللهجات بهذه الطريقة. ما يسمعه شخص ما رخيمًا، يسمعه آخر مزعجًا. وبعض من اللهجات التي يشعر الناس بعدم الرضا عنها داخل بلد ما تعتبر لطيفةً من قبل أشخاص من الخارج. تصنّف لهجة برمنغهام في كثير من الأحيان تصنيفا منخفضًا من قبل بعض الأشخاص في إنكلترا. ولكن عندما درست عدة لهجات لمجموعة من الأجانب الذين لا يعرفون الكثير عن اللغة الإنكليزية، ظنوا إن لهجة برمنغهام كانت إحدى أجمل اللهجات.

لماذا لدينا كل هذه المشاعر القوية حول اللهجات واللكنات أيضًا؟ كل ذلك جزء من قصة أكبر تتعلق بأسلوب تعبير اللغة عن هويتنا.

من هناك؟

كانت هناك دائما لهجات ولكنات. تحتوي أوائل الكتابات باللغة الإنكليزية على اختلافات في التهجئة والمفردات والقواعد التي توضح أن مَنْ كتبوها جاءوا من أجزاء مختلفة من البلاد. وإذا عدنا إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى الوقت الذي بدأ فيه البشر يتحدثون، يمكننا أنْ نخمن أنه كانت هناك لهجات أيضًا.

تخيل، إنك جالس في كهفك، وتسمع ضجة في الخارج مما قد يجعلك تعتقد أن خطرًا سيداهمك، لذلك سوف تصيح (بلهجتك البدائية طبعا) (من هناك؟) إذا كنت تعرف لهجة الصوت وظهر إنها تنتمي إلى قبيلتك لحسن الحظ، فسوف تذهب إلى الخارج لمعرفة ما يريدون. ولكن إذا صحت (من هناك) ولم تميز اللهجة، فمن الأفضل أنْ تأخذ سلاحك معك عندما تذهب إلى الخارج، وأنْ تكون على حذر. فهذا الصوت الغريب ربما يكون للعدو.

إذا كان التطور هو قضية (البقاء للأصلح)، فأعتقد أن اللهجات ربما تكون قد ساعدت في هذا الأمر. قد يكون أولئك الذين استمعوا إلى أفضل اللهجات قد عاشوا عمرًا أطول. وفي الواقع، عندما تفكر في الأمر، فهو مختلف تمامًا اليوم. أستطيع أنْ أتخيّل بعض الأماكن حيث يجعل صوت اللهجة الغريبة الناس يأخذون حذرهم. ربما يمكنك أنتَ أنْ تفعل ذلك أيضًا.



الفصل الثالث عشر



حينما تتكلم لغتين

أعرف رجلاً من إسكتلندا فخور جدًا بكونه إسكتلنديًا. وهو يرتدي كلتية (تنورة ذات مربعات تمثل الزي الوطني في إسكتلندا)، وقبعة من الترتان (قماش صوفي مزخرف بمربعات ملونة يتميز به الأسكتلنديين)، ويعلق شارة مكتوب فيها بفخر (أنا من غلاسكو). من الواضح أن لديه إحساس قوي بالهوية. لكن هناك مشكلة. إذا أدرت له ظهري، لن يمكنني رؤية التنورة أو القبعة أو الشارة. وإذا التقيت به في الظلام، لا يمكنني رؤيتها أيضًا. وإذا نزع كل ثيابه لكي يسبح، فلن تسنح لي فرصة اكتشاف مكانها.

سؤال: كيف يمكنك أن تبين لشخص ما إنك إسكتلندي إذا لم تكن لديك أية ملابس أو شارات تعينك على ذلك؟ الجواب: عن طريق. الكلام فهو الشيء الوحيد الذي يساعدنا على تمييز

الشخص الذي يقترب منا. ويمكننا سماعه في الظلام. وإذا كان الماء باردًا عندما يسبح، فسنسمع على الأرجح صوتًا صاخبًا بلهجة اسكتلندية قوية.

تنتقل اللهجات بسهولة. كما إنها تتطور بشكل طبيعي، يمكننا سماعها في الأطفال الصغار منذ عامهم الثالث. وهي لا تكلفنا أي شيء. يجب أنْ نشتري الملابس والشارات التي تظهر أننا من اسكتلندا، أو من ويلز، أو من نيويورك. ولكن عندما نتكلم، لا يتعين علينا شراء أي شيء على الإطلاق لإظهار المكان الذي جئنا منه.

وماذا لو كان شخص ما من اليابان أو روسيا أو البرازيل؟ نفس الشروط تنطبق عليه. يمكن للناس اليابانيين أنْ يرتدوا أزياءهم اليابانية وأنْ يفعلوا الأشياء التي تربطهم باليابان، مثل أكل السوشي. لكن أسهل طريقة لإظهار إنهم من اليابان هي التحدّث باللغة اليابانية. إذا كانت اللهجات تخبرنا عن أماكن عيش الناس، فاللغات تفعل ذلك بقوة أكبر. املأ الفراغات:

إنها تتحدث الدنماركية. لابد أن تكون من—

إنه يتكلم البولندية. لابد أن يكون من—

إنهم يتكلمون الويلزية. لابد أن يكونوا من—

الأجوبة على الأرجح ستكون: الدنمارك وبولندا وويلز.

لاحظ إنه إذا قمت بهذا التمرين بطريقة معكوسة، فإنك لن تخمن ما ستكون عليه الإجابات إلى درجة كبيرة. لنجرب ذلك:

إنها من ويلز. لذلك تتحدث—

بالنسبة للبعض، سيكون الجواب هو الويلزية. بالنسبة للآخرين، سيكون الجواب باللغة الإنكليزية. وأولئك الذين يتحدثون اللغة الويلزية يمكنهم الإجابة بالإنكليزية أيضًا، لأنهم جميعًا يتحدثون كلتا اللغتين، وبعبارة أخرى، فهم ثنائيو اللغة bilingual. جاء هذا المصطلح من اللغة اللاتينية: كلمة bi تعني (ثنائي)، كما هو الحال في كلمة bicycle الدراجة (فيها عجلتان)، وكلمة lingua تعني كلمة (لغة).

إذا كنا نتحدّث لغتين، فنحن ثنائيو اللغة. إذا كنا نتحدّث ثلاثًا، فنحن ثلاثيو اللغات. إذا كنا نتحدث ثلاث لغات أو أكثر، فعادةً ما يُطلق علينا متعددو اللغات، على الرغم من أنه غالبًا ما يتم استخدام مصطلح (polyglot). تعلّم كبار اللغويين في العالم عشرات اللغات. لنتذكر هارولد وليامز، الذي تحدّثنا عنه في الفصل الثالث؟ كان يتحدّث 58 لغة!

من الطبيعي أنْ يكون البشر ثنائيي اللغة، كما رأينا عندما تحدثنا عن الطريقة التي يتعلّم بها الأطفال اللغات بسهولة. حوالي ثلاثة أرباع أفراد الجنس البشري يكبرون وهم يتحدّثون لغتين أو أكثر. إنه من أكثر الأشياء العادية في العالم. يستخدم الناس لغة واحدة في المنزل. يذهبون إلى السوق ويتحدثون واحدة مختلفة هناك. يذهبون إلى المدرسة أو الكنيسة ويستخدمون واحدة أخرى هناك. في أجزاء من العالم حيث تتمازج العديد من الثقافات، تكون الشوارع مزيجًا من لغات مختلفة، ويعرف السكان قدرًا بسيطًا من جميع تلك اللغات.

عادة ما تكون هناك في كل بلد لغة يتحدّث بها معظم الناس، الدنماركية في الدنمارك، الفرنسية في فرنسا، وهلم جرا. لكن الكثير من هؤلاء الناس سيتعلمون لغات أخرى. وسيكون العديد من الأشخاص الذين يعيشون هناك مهاجرين، يتحدّثون بلغة البلد الذي نشأوا فيه. كل البلدان متعددة اللغات. والبعض منها مثير للدهشة. على سبيل المثال هناك المئات من اللغات المستخدمة في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأميركية.

حتى بريطانيا تتميز بتعدد اللغات فيها بشكل كبير في وقتنا الحاضر. كثيرًا ما ننظر إلى إنكلترا على إنها جزءٌ منعزلٌ من العالم. لكنها منذ سنوات نشأتها الأولى كانت بلدًا متعدد اللغات. عندما وصل الإنكلو ساكسون إلى البلاد، في القرن الخامس، وجدوا أشخاص يتكلمون اللاتينية (أيام كان الرومان في بريطانيا) واللغات البريطانية المختلفة، مثل الويلزية والكورنية البدائية (لغة منطقة كورنوول التي انقرضت في أواخر القرن الثامن). وربما كان هناك من يتكلم اللغات القارية الأخرى في الجزيرة أيضًا، نتيجة للعلاقات التجارية التي كانت قائمة بين بريطانيا وبقية أوروبا.

لقد ارتفع حجم التعددية اللغوية في بريطانيا في الوقت الحاضر، بسبب موجات الهجرة الضخمة، التي قدمت خصوصًا من دول الاتحاد الأوروبي. في عام 1999 أجرِي مسح تناول اللغات الأمّ لـ 850 ألف طفل في مدارس لندن. وكانت النتيجة إنهم يستخدمون أكثر من 300 لغة وبالطبع كانت اللغة الأكثر

شيوعًا هي اللغة الإنكليزية، وجاءت بعدها عدة لغات يتكلمها الأشخاص الذين جاءوا من جنوبي آسيا، البنغالية، البنجابية، الغوجاراتية، الهندية، الأوردية. ثم جاءت بعدها لغتان من حوض البحر الأبيض المتوسط، هما التركية والعربية. وجاءت بعدها لغتان من أفريقيا، اليوروبا (التي يتحدث بها في نيجيريا) والصومالية. ثم جاءت واحدة من لغات الصين، الكانتونية.

يمكنني التوسع في الشرح، لكن المسألة واضحة. لندن هي الآن واحدة من عواصم العالم متعددة اللغات، جنبًا إلى جنب مع نيويورك وبوسطن والعديد من المدن الأميركية الأخرى. لا يتحدّث أكثر من نصف التلاميذ في نصف المدارس الابتدائية في وسط لندن، اللغة الإنكليزية كلغة أمّ. وفي المدارس الثانوية، النسبة ليست أقل بكثير، 40 في المائة. هذه الإحصاءات من عام 2006.

الأرقام ربما تكون أعلى قليلاً الآن (2013).

ورغم أن مدينة لندن حالة خاصة، لكنها ليست وحدها. يبلغ المعدل الوطني فيها ستة في المائة أي إن ستة من كل مائة طفل يتحدثون لغة أخرى غير الإنكليزية كلغة أمّ. تحتوي كل مدينة كبيرة في المملكة المتحدة على عشرات اللغات. ونجد ذلك حتى في البلدات والقرى الأصغر، لأن الناس الذين جاءوا من الخارج وجدوا عملاً هناك، مثل قطف الثمار، أو العمل في تجارة الفنادق. إذا ركبت قاربًا من بلدة هولي هيد في شمالي ويلز إلى دبلن في أيرلندا، فقد تسمع اللغة الليتوانية والبولندية واللاتفية من

بين لغات العاملين على متن القارب. وقد تسمع حتى الويلزية الأيرلندية أيضًا، إذا كنت محظوظًا. لكنك ما ستسمعه غالبًا هي لغات بلدان وسط أوروبا.

لماذا يحتفظ الناس بهذه اللغات؟ لماذا لا يترك المهاجرون لغتهم القديمة ويتعلمون اللغة الجديدة فقط، عندما يسافرون إلى جزء جديد من العالم؟ كثيرون يفعلون ذلك بالطبع، كما سنرى في فصل لاحق. ولكن يبذل الكثيرون قصارى جهدهم للحفاظ على لغتهم الأولى على قيد الحياة، والتكلّم بها متى أمكن، وتشكيل المجتمعات المحلية التي يتم فيها استخدامها، وتعليمها لأطفالهم. وغالبًا ما يبذل البلد المضيف كل جهد لتعزيز التعددية اللغوية أيضًا، وتوفير الخدمات بأكبر عدد ممكن من اللغات.

تخيل، إذا ذهبت للعيش في بلد آخر، هل تريد أنْ تترك وراءك لغتك الأمّ بشكل كامل؟ من الواضح أنك لن تفعل ذلك. ما يزال لديك أصدقاء وأقارب في بلدك القديم وتريد التحدّث إليهم أو الكتابة إليهم. وحتى لو لم يكن لديك، فإنك تحتفظ في رأسك بكل معرفتك وذكرياتك عن ثقافتها، الكتب التي تقرأها، وأغاني البوب التي تعلمتها، واللغة العاميّة التي كنت تتكلمها. تشكل لغتك الأمّ جزءًا من هويتك، إحساسك بمن أنت. وتشكل جزءًا من هوية مجموعة الأشخاص الذين تعرفهم أفضل، هؤلاء الذين نشأت معهم.

لهذا السبب يشعر الناس بالانزعاج الشديد عندما يتم إهمال لغتهم أو تجاهلها أو - في أسوأ الحالات - يمنعون من

استخدامها. ليس من النادر العثور على الحكومات التي تمنع استخدام الجمهور للغات المحلية. عندما كان الجنرال فرانكو حاكمًا لأسبانيا، في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، كانت اللغة الأسبانية هي اللغة الوحيدة المسموح بها للاستخدام العام. تم حظر اللغات المحلية في أسبانيا، مثل الكاتالونية، الباسك، وغاليسيان. لا يمكنك حتى تسمية طفلك باسم محلي. قد يرغب شخص ما من برشلونة، حيث يتحدّث سكانها اللغة الكاتالونية، في تسمية أطفاله الجدد بياتريو ولويس (Beatriu و Lluis)، لكنه سيضطر إلى تبني الهجاء الأسباني، بياتريس ولويس (Beatriz و Luis). الأمور مختلفة الآن.

في كثير من الأحيان نقرأ في الصحف إن الناس في أحد البلدان يسيرون في مظاهرة لدعم لغتهم. قد تحدث حينها أعمال شغب وإضرابات عن الطعام. حدث ذلك في كيبيك في كندا، حيث يرغب الأشخاص الذين يتكلمون الفرنسية في منح لغتهم حضورًا عامًا أكبر. لقد حدث هذا في بلجيكا، حيث غالبًا ما يحدث صراع بين من يتكلمون الفرنسية وأولئك الذين يتكلمون الفلمنكية. وحدث ذلك في ويلز والهند وعدة بلدان أخرى. لماذا تحدث هذه الأشياء؟ ذلك لأن الناس يشعرون بقوة بأهمية لغتهم وهم على استعداد لبذل التضحيات من أجل الحفاظ عليها.

وقعت واحدة من أكثر الأحداث شهرة في 21 شباط عام 1952 في دكا، في ما كان يعرف حينذاك بباكستان الشرقية. (وهي حاليًا

بنغلاديش). نظمت مجموعة من الطلاب مظاهرة لدعم استخدام اللغة البنغالية كلغة رسمية في باكستان إلى جانب اللغة الأردية. فتحت الشرطة النار، وقتل العديد من الأشخاص. لم تُنسَ تلك اللحظة. وعندما قررت اليونسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، في عام 2000 تخصيص يوم عالمي للغة الأمّ، للاحتفال بجميع اللغات الأمّ في العالم، تم اختيار يوم 21 شباط. تذكرنا الأعياد بأهمية الأشياء. لهذا السبب لدينا أعياد ميلاد ومهرجانات. ليس لدينا العديد من الاحتفالات السنوية باللغة، لذا من الجيد تذكّرها عند حدوثها. لا يوجد سوى يومين كبيرين كل عام: 21 شباط و26 ايلول، اليوم الأوروبي للغات. إنهما يتشاركان في نفس الهدف: جعل الناس يدركون أهمية التنوع اللغوي وتعزيز تعلّم اللغة وثنائية اللغة. وسوف نستكشف لماذا هذا مهم جدًا في فصل لاحق.

تعد ثنائية اللغة مشكلة كبيرة في أماكن مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وأوروبا الغربية. هذا لأن هذه هي الأماكن التي يتحدّث فيها معظم الناس لغة واحدة منذ قرون، وكانوا ينظرون إلى اللغات الأخرى على أنها أقل شأنا. الأسبانية هي لغة أسبانيا. الفرنسية هي لغة فرنسا والإنكليزية هي لغة بريطانيا. أي لغات أخرى موجودة في تلك البلدان تم إهمالها واعتبارها غير مهمة. بل ربما تم منعها، كما هو الحال في حالة فرانكو في أسبانيا. فعلت دول أخرى أشياء مماثلة. منذ أكثر من مئة عام، إذا سمعك شخص ما تتحدث الويلزية في مدرسة في ويلز، يتم

عقابك. يحدث الشيء نفسه إذا تم القبض عليك تتكلم البريتونية في المدارس في مقاطعة بريتاني في شمال غربي فرنسا. واليوم، ترغب هذه المجتمعات، وتكافح من أجل احترام لغاتها مرة أخرى. أصبحت ثنائية اللغة قضية سياسية.

نفس الشيء حدث في أجزاء من العالم حينما بنت البلدان إمبراطوريات عظمى فعندما تستولي دولة على بلد آخر، تكون النتيجة عادة أن يعتمد البلد المهزوم لغة الغزاة ويجعلها اللغة الرسمية التي تستخدم في البرلمان والمحاكم، والمدارس. هذا هو السبب في أن معظم بلدان أمريكا الجنوبية والوسطى تستخدم اللغة الأسبانية أو البرتغالية، والسبب في استخدام الفرنسية والإنكليزية في العديد من البلدان الأفريقية، والسبب في انتشار اللغة الإنكليزية على نطاق واسع في أمريكا الشمالية وجنوب آسيا وأستراليا ونيوزيلندا. يمكن أن تكون ثنائية اللغة قضية سياسية أيضًا، خصوصًا عندما تهدد اللغات الجديدة وجود القديمة.

إذا أردنا أن نصبح متعددي اللغات، فلدينا جميع لغات العالم للاختيار من بينها. لكن كم هي عدد اللغات الموجودة في العالم؟



THE EUROPASS

لا يتعين علينا أنْ نتحدّث عدة لغات مختلفة بطلاقة لتطلق علينا تسمية متعددي اللغات. ربما لا يتطلب الأمر سوى تعلمنا ما يكفي لمجرد إجراء محادثة أساسية، أو قد نكون قادرين على قراءة لغة ما دون التحدّث بها. أعرف العديد من الأشخاص الذين يمكنهم التحدّث عن المسائل اليومية بلغات مختلفة، ولكنهم لن يكونوا قادرين على استخدامها للتحدّث أو المشاركة في مناقشة سياسية على التلفزيون.

يُعتبر التعرف على مستويات اللغة المختلفة لدى شخص ما ميزة رئيسة في طريقة تفكير الناس حول اللغات، في أوروبا هذه الأيام. فكرت منظمة تدعى مجلس أوروبا بفكرة (جواز سفر لغوي)، يمكن لأي شخص ملئه. يمكنك مشاهدة بعض الأمثلة على الإنترنت. ابحث عن مفردة Europass.

نستطيع في هذا الموقع أنْ نعرف ما إذا كنا نستطيع فهم اللغة فقط، أو ما إذا كنا نستطيع التحدّث بها أو كتابتها كذلك. نتحدّث عن نوع التجربة التي لدينا في استخدام لغاتنا، ومدى اعتقادنا بأننا نستطيع استخدامها، على نطاق يبدأ من (مبتدئ) إلى (محترف). قد يكون لدى شخص ما مستوى أولي من اللغة الأسبانية، ومستوى متوسط من اللغة الفرنسية، ومستوى متقدم في اللغة الإنكليزية والألمانية، على سبيل المثال.

إنها فكرة رائعة، لأنها تجعل من السهل مقارنة المهارات اللغوية للأشخاص من مختلف البلدان. آمل، إلى جانب جوازات السفر المعتادة لدينا، أنْ نحصل على جواز سفر لغوي في يوم من الأيام.

الفصل الرابع عشر



لغات العالم

كم هي عدد اللغات الموجودة في العالم؟ إنها تبلغ حوالي ستة آلاف لغة. ربما أكثر من ذلك بقليل. أو ربما أقل. من الصعب التأكد.

أحد أسباب ذلك هو أن اللغات تضمحل بسرعة، في أجزاء عديدة من العالم، ربما بسرعة واحدة كل بضعة أسابيع. سنرى في فصل لاحق لماذا يحدث هذا. ولكن من الواضح إنه عندما تختفي اللغات بمثل هذا المعدل، فإن ذلك يجعل من الصعب الوصول إلى مجموع محدد لها.

لا تزال هناك أجزاء قليلة من العالم يتم اكتشاف لغات جديدة فيها. يمكن أنْ يحدث مثل هذا. عندما تنتقل رحلة استكشافية إلى وادي معزول في وسط غابات بابوا غينيا الجديدة وتجد مجتمعًا صغيرًا يعيش هناك. عندما يحاولون التحدّث مع

الناس، فإنهم يدركون إن لغتهم لا تشبه أية لغة أخرى في المنطقة. فيرتفع مجموع اللغات العالمية بمقدار لغة واحدة.

أو يحدث هذا الأمر. يحصل عدد من اللغويين بعد طول عناء على فرصة للبحث في لغة مجموعة من السكان تعيش في قرية ساحلية في إندونيسيا. إنهم يفترضون أن الطريقة التي يتكلم بها سكان هذه القرية ستكون مشابهة للطريقة التي يتكلم بها الآخرون الذين يعيشون في القرى على طول الساحل، وقد تكون مختلفة قليلاً، ربما، ولكن ليس كثيرًا. بعبارة أخرى، إنهم يعتقدون أن الناس سوف يتكلمون لهجات مختلفة لنفس اللغة، بنفس الطريقة التي نجد بها لهجات إنكليزية مختلفة عند انتقالنا على طول الساحل من يوركشاير إلى لينكولنشاير. ولكن عندما يبدأ اللغويون دراسة لغتهم، يكتشفون أن الناس في القرية الجديدة يتحدثون لغة مختلفة، ربما، مثل الإنكليزية التي يتحدّث بها الفرنسيون أو الألمان. إنها مفاجأة كبيرة، والنتيجة هي أن الإجمالي العالمي لعدد اللغات ارتفع من جديد بمقدار لغة واحدة.

تواجهنا دائمًا مشكلة تحديد ما إذا كانت مجموعة من الناس تتحدث لهجة أو لغة، ما هو الفرق الأساسي بين الاثنين؟ فكر في ذلك من خلال متابعة هذا الموقف.

يوجد أربعة رجال في غرفة. واحد من ليفربول، والآخر من لندن، وواحد من باريس، والآخر من بوردو. كل منهم يتحدث بلغة المكان الذي نشأ فيه. فقط من منهم سوف يكون قادرًا على فهم الآخر؟

لا يتكلم الرجل القادم من ليفربول والآخر القادم من لندن بالطريقة نفسها تماماً، لكنهما سيكونان قادرين على فهم بعضهم البعض في معظم الأوقات. وسيقول كلاهما إنهما يتكلمان الإنكليزية. والرجلان القادمان من باريس ومن بوردو لا يتكلمان بنفس الطريقة تماماً، ولكن سيتمكنان أيضًا من فهم بعضهما البعض في معظم الأوقات. وسيقول كلاهما إنهما يتكلمان (الفرنسية).

يتحدث الرجل القادم من ليفربول والآخر القادم من لندن لهجات مختلفة من اللغة الإنكليزية. يتحدث الرجل من باريس ورجل بوردو لهجات مختلفة من الفرنسية. عندما يتكلم الناس لهجات مختلفة، فهم في الغالب يفهمون بعضهم البعض.

سيقول الرجلان الإنكليزيان: «أنا لا أفهم ما يقوله الآخران لأنني لا أتحدّث الفرنسية»، وسيقول الفرنسيان: «لا أفهم ما يقوله الآخران لأنني لا أتحدّث الإنكليزية». وبعبارة أخرى، يدركون أنهم يتحدثون لغات مختلفة. عندما يتحدث الناس لغات مختلفة، فهم لا يفهمون بعضهم البعض.

هذا هو الفرق الأساس بين اللهجة واللغة. تتكون اللغة من عدة لهجات، والأشخاص الذين يتحدثون هذه اللهجات يفهمون بعضهم البعض بشكل عام (حتى إذا كانت لديهم صعوبة عرضية مع اللهجات أو الكلمات المحلية). لا أحد يعرف فقط عدد اللهجات الموجودة في العالم. أود أنْ أقول إنه توجد على الأقل عشرون ألف لهجة. لكنها تتجمع في حوالي ستة آلاف لغة. يمكننا التحدّث عن عائلة من اللهجات التي تشكل لغة.

والقصة لا تتوقف عند هذا الحد. هناك لغات تشكل عائلات أيضًا.

كيف يمكننا أنْ نقول إن مجموعة من الناس تنتمي إلى نفس العائلة؟ أفضل دليل هو إذا بدوا مثل بعضهم البعض. لديهم جميعًا أنوف كبيرة أو شعر أحمر، أو لديهم جميعًا أصوات عميقة. يمكننا أنْ نقول إن اللغات تنتمي إلى نفس العائلة بنفس الطريقة. إنها تشبه أو يظهر إنها تبدو مثل بعضها البعض. لديها نفس الأصوات أو الكلمات أو قواعد النحو:

مثال على ذلك. ما هي كلمة (الأب) باللغة الأسبانية؟ إنها كلمة (padre)، تُنطق بشيء مثل (pah dray). ما هي كلمة (الأب) باللغة الإيطالية؟ أيضًا (بادري)، ولكن مع نطق مختلف قليلاً. ما هي بالبرتغالية؟ باي وتلفظ تقريبًا مثل كلمة pie (فطيرة) باللغة الإنكليزية. وباللغة الفرنسية؟ تمّ نطق (Père) تقريبًا مثل (pear) باللغة الإنكليزية.

يمكننا أنْ نرى المزيد من الاختلافات عندما نستكشف لهجات بلد ما. إذا سافرنا عبر إيطاليا، فسنسمع عدة أمثلة أخرى. في Veneto سوف نسمع (pare) (تنطق بـ pa ray)؛ في ميلانو، ستكون (pader) تلفظ (pa dare)؛ في نابولي، الأب هو (بات) (pa tay) وفي صقلية (patri) تنطق بـ (pa tree).

من السهل رؤية نمط مشترك بينها فكل الكلمات تبدأ بصوت [p]. معظمها فيها حروف [t] أو [a d] في الوسط.

معظمها لديهم [r]. وتقريبًا كل منهم لديهم [a] في الجزء الأول و{e] في الثاني.

عندما نرى هذا النوع من التشابه، يمكننا أنْ نستخلص الاستنتاج الواضح هذا. كل هذه الكلمات يجب أنْ يكون لها أصل مشترك. وفي زمن مضى، يجب أنْ تكون هناك كلمة – دعنا نفترض أنها (pater) – يتحدث بها مجموعة من الناس. ثم بدأ هؤلاء الناس يتنقلون في جميع أنحاء أوروبا، وبدأ كلامهم يتغير تدريجيًا. وقاموا بتطوير نطق جديد، لكنات جديدة، كما أسميناها في الفصل الثاني عشر. الناس الذين دخلوا أسبانيا غيروا [t] إلى [a d] وغيروا ترتيب الأصوات، بحيث أصبح [er]. والأشخاص الذين دخلوا فرنسا حذفوا t تمامًا، وجمعوا [a] و{e] في صوت طويل واحد، وهو يكتب اليوم حرف <è>.

وهذا هو بالضبط ما حدث. يمكننا أنْ نكون واضحين، في هذا المثال، لأننا نعرف ما هي الحقائق التاريخية. كانت هناك كلمة أصلية، (pater). جذورها في اللغة اللاتينية، كان يتكلمها الرومان. ونعلم أن الرومان كانت لهم إمبراطورية، وسافروا إلى جميع أنحاء أوروبا الغربية، وأخذوا لغتهم اللاتينية معهم. في نهاية المطاف، بدأ الأشخاص العاديون في فرنسا وأسبانيا وأماكن أخرى باستخدام الكلمة، وغيروها من الطريقة التي رأيناها. نفس الشيء حدث لكل الكلمات الأخرى في اللاتينية. وتغيرت قواعد اللغة اللاتينية أيضًا. والنتيجة هي هذه اللغات الحديثة المستخدمة في هذه الأماكن.

استغرق الأمر عدة مئات من السنين ليحدث كل هذا. تتغير اللغات ببطء شديد. لكن بمجرد أنْ يحدث ذلك، ينتهي بنا الأمر إلى عائلة من اللغات. أعطى اللغويون اسمًا للعائلة، في هذه الحالة، العائلة الرومانية. ونحن نتحدث عن اللغة الأمّ (اللاتينية) واللغات الابنة (الفرنسية والأسبانية والإيطالية، وهلم جرا). نقول أيضًا إن الفرنسية والأسبانية والإيطالية هي لغات شقيقة. إنها حقًا عائلة. وفي الإجمال، عندما نجمع جميع اللغات المحلية واللهجات الرئيسة في فرنسا وأسبانيا وإيطاليا، تكون لدينا عائلة تضم أكثر من 30 فردًا.

يمكن تجميع جميع لغات العالم – ستة آلاف أو نحو ذلك – في أسر مثل هذه. المشكلة هي إنه في أجزاء كثيرة من العالم لا توجد حقائق تاريخية لمساعدتنا. إذا وجدنا إن بعض اللغات في وسط إفريقيا لها كلمات متشابهة، فيمكننا استخلاص نفس الاستنتاجات، ولكننا غالبًا ما نخمن، لأننا لا نعرف شيئًا عن تاريخ الشعوب، أو كيف تطورت لغاتهم.

في أوروبا، نحن محظوظون للغاية، لأن هناك وثائق وسجلات مكتوبة لمعظم البلدان يعود تاريخها إلى أكثر من ألف عام، لذلك يمكننا أنْ نرى في الواقع كيف تغيرت اللغات على مر القرون. نلاحظ في كل مكان نفس نوع التغييرات في الأصوات التي رأيناها في حالة العائلة الرومانية، t تصبح [d]، أو [a] تصبح [e]، أو العكس.

هذه التغييرات لها معنى، عندما نفكر في كيفية صنع الأصوات. كما رأينا في الفصل الرابع، لا يتطلب الأمر الكثير لتغيير [t] إلى [d]. كل ما علينا القيام به هو جعل الحبال الصوتية تهتز. ولن يتطلب الأمر الكثير لتغيير [p] إلى [f]، لأن هذه الأصوات مصنوعة بطريقة متشابهة جدًا. نضمّ شفتينا لننطق صوت [p]، ونضع الشفة السفلى فوق الأسنان العلوية لننطق الصوت [f]. ثم، بدلاً من تثبيت الشفتين ببعضهما البعض بإحكام، كما هو الحال في [p]، نقوم بتخفيف الشفة قليلاً والسماح للهواء بالاندفاع، مما ينتج عنه نطق [f]. حدث هذا التغيير من [p] إلى [f] في الواقع خلال سنوات من تاريخ اللغة الإنكليزية، كما سنرى حالاً.

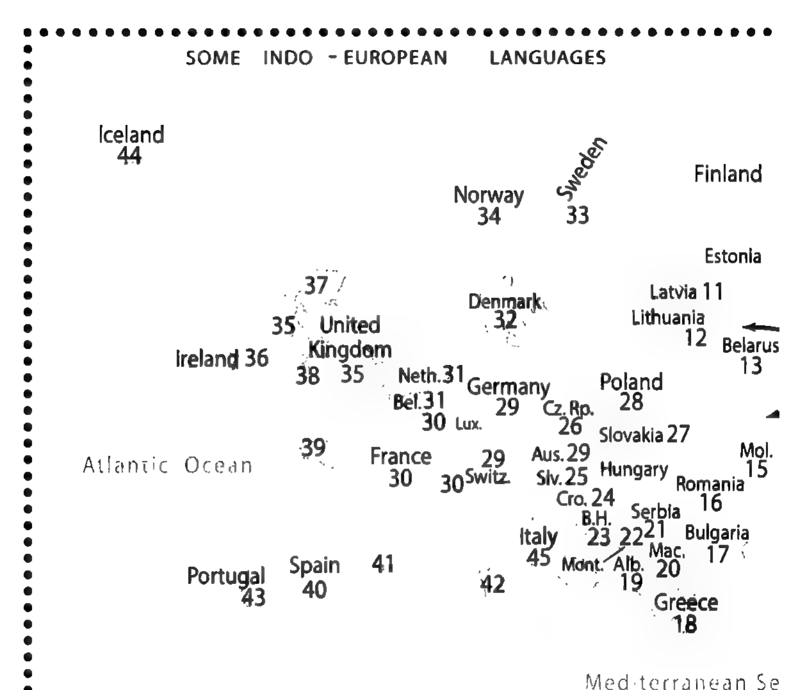
عندما كان الرومان ينقلون اللاتينية إلى غربي وجنوبي غرب أوروبا، كانت مجموعات أخرى من الناس تنقل لغاتها في جميع أنحاء شمالي أوروبا، وكانت هناك تغيرات أيضًا هناك. على وجه الخصوص، كان الشعب الجرماني يقوم بهذه الخطوة. كانوا يعيشون في الأصل في جنوب الدول الاسكندنافية، وخاصة في المنطقة التي تمثل اليوم جنوبي السويد والدنمارك. في وقت ما حوالي سنة 1000 قبل الميلاد بدأوا التحرك جنوبا، إلى وسط أوروبا وعلى طول الساحل الأوروبي الشمالي. بعد أكثر من ألف عام، وصل بعضهم إلى بريطانيا.

مع انتشار الجرمانيين في جميع أنحاء أوروبا، تغيرت لغتهم، تمامًا كما حدث في الجنوب مع لغة الرومان القدماء. اليوم، نحن

نسمي أول لغة تكلمها الجرمانيون في الدول الإسكندنافية باللغة القديمة. لغة الجرمانيين الذين ذهبوا إلى ألمانيا تسمى اللغة الألمانية العليا القديمة. لغة أولئك الذين ذهبوا إلى الساحل الأوروبي

1 Sanskrit
2 Hindi/Urdu
3 Bengali
4 Gujarati
5 Sinhalese
6 Panjabi
7 Pashto
8 Persian
9 Armenian
10 Russian
11 Latvian
12 Lithuanian
13 Belarussian
14 Ukrainian
15 Moldovan
16 Romanian
17 Bulgarian
18 Greek
19 Albanian
20 Macedonian
21 Serbian
22 Montinegrin
23 Bosnian
24 Croatian
25 Slovenian
26 Czech
27 Slovak
28 Polish
29 German
30 French
31 Dutch/Flemish
32 Danish
33 Swedish
34 Norwegian
35 English
36 Irish Gaelic
37 Scots Gaelic
38 Welsh
39 Breton
40 Spanish
41 Catalan
42 Sardinian
43 Portuguese
44 Icelandic
45 Italian/Latin

الشمالي هي الفريزية القديمة. لغة أولئك الذين جاءوا إلى بريطانيا هي اللغة الإنكليزية القديمة.



Country abbreviations

Alb.	Albania	Cz. Rp.	Czech Republic
Arm.	Armenia	Lux.	Luxembourg
Aus.	Austria	Mac.	Macedonia
Bel.	Belgium	Mont.	Montenegro
B.H.	Bosnia-Herzegovia	Neth.	Netherlands
Cro.	Croatia	Slv.	Slovenia
		Switz.	Switzerland

لم يكن هؤلاء الناس قادرين على فهم الرومان الذين يتحدثون اللاتينية، ولا يفهم الرومان اللغات الجرمانية. ولكن عندما ننظر إلى بعض الكلمات الأقدم المراد كتابتها بهذه اللغات، نجد بعض التشابه اللافت للنظر مع الكلمات الموجودة في اللاتينية. إذا نظرنا إلى الوثائق الأولى المكتوبة باللغة الإنكليزية القديمة، عند سنة 800 قبل الميلاد فسوف نجد كلمة father (الأب). تكتب هكذا (feder) أو (fæder) (كانت <æ> طريقة لكتابة صوت [a]). في الألمانية العليا القديمة، هي (fater). في الفريزية القديمة، تكون (fadar) أو (feder). لقد تغيرت الكلمات قليلاً اليوم، ولكن ما يزال بوسعنا رؤية أوجه التشابه (father) في الإنكليزية الحديثة، و(Vaterv) في الألمانية الحديثة (الكلمة تكتب بحروف كبيرة بالألمانية)، (vader) في الهولندية الحديثة.

من الواضح إن هذه هي عائلة أخرى: عائلة اللغات الجرمانية. وبينما ننظر حول أجزاء أخرى من أوروبا، سنجد العديد من العائلات الأخرى. تشكل اللغات الويلزية، والجيليك، والبريتون، وبعض اللغات الأخرى مجموعة من اللغات السلتية. أما اللغة الروسية والبولندية والتشيكية، والعديد غيرها فتكون الأسرة السلافية. وهناك بعض اللغات التي لا يوجد لديها فروع أبدًا. مثل اليونانية التي تكوّن لغة لوحدها، كما هو حال لغتي أرمينيا وألبانيا.

درس اللغويون لفترة طويلة اللغات من خلال النظر إلى مجموعات صغيرة بهذه الطريقة. ثم في عام 1785، قدم السير

وليام جونز، القاضي الذي يعمل في الهند، اقتراحًا رائعًا. كان يتكلم بلغات متعددة، وكان يستطيع التفاهم بأكثر من 40 لغة، ويتحدثً العديد منها بطلاقة. ولكنه لم يكن يتكلم ويفكر بها فقط. بل لاحظ التشابه بينها. وفي النهاية، اقترح إن العديد من هذه اللغات قد تنتمي في الواقع إلى نفس العائلة، على الرغم من أن الأشخاص الذين يتكلمونها يعيشون على بعد آلاف الأميال عن بعضهم البعض.

درس لغات الهند، وخاصة اللغة السنسكريتية. ودرس أيضًا اللغة اليونانية واللاتينية. وكذلك اللغة الفارسية واللغات السلتية وغيرها. وخلص إلى أن التشابهات كانت كبيرة لدرجة إنه لم يكن من الممكن إنتاجها عن طريق الصدفة. من المؤكد أن جميعهم جاءوا من لغة أمّ قديمة، ربما لم تعد موجودة؟

لقد كان على حق. هذه اللغة القديمة هي التي نطلق عليها الآن الهندو أوروبية. لا أحد يعرف بالضبط أين يعيش الشعب الهندو أوروبي. يعتقد البعض إنه كان في أراضي السهوب في جنوبي روسيا. ويعتقد البعض الآخر إنه كان يعيش أبعد جنوبًا، أقرب إلى تركيا. واقترح آخرون مختلف المواقع الأخرى. ولا يوجد أحد يؤكد متى بدأ الهندو - أوروبيون بالتحرك. ربما كان حوالي 3000 سنة قبل الميلاد، ولكن كان يمكن أنْ يكون قبل ذلك بكثير. ومع ذلك، مهما يكن الزمان والمكان، فإنهم رحلوا في النهاية شرقًا إلى الهند وغربًا إلى أوروبا. وتغيرت لغتهم بشكل كبير على طول الطريق.

ومهما كانت الكلمة الهندو - أوروبية لـ (الأب)، فمن الواضح إن مجموعة واحدة من الناس انتهى بها المطاف في إيطاليا، حيث تكونت اللغة اللاتينية، وأصبحت كلمة (father أب): (pater). وانتهت مجموعة أخرى في الدول الاسكندنافية، حيث نشأت اللغة الجرمانية، وأصبحت كلمة (الأب fater). وانتهت مجموعة أخرى في الهند، حيث أصبحت كلمة الأب (باللغة السنسكريتية) (piter). وانتهت مجموعة أخرى في أيرلندا، حيث أصبحت كلمة الأب (athir). من خلال مقارنة كل هذه الأمور، فقد توصل اللغويون إلى أن الكلمة الأصلية ربما كانت تشبه pəter الرمز [ə] هو رمز خاص يمثل صوتًا مثل (e) من (the). والعلامة النجمية موجودة لإظهار أننا نخمن!

يتعين علينا القيام بالكثير من التخمين عندما نبحث في لغات العالم. هل جاءت جميع لغات السكان الأصليين في أستراليا من مصدر واحد؟ هل كل لغات أميركا الشمالية كذلك؟ هناك 2000 لغة في أفريقيا. لا يمكن أنْ تكون جميعها قد أتت من لغة أصلية واحدة، أو يمكن لها ذلك؟ هذه أسئلة رائعة، وبالطبع فإنها تقود إلى أكثر الأسئلة إثارةً: هل يمكن أنْ يكون مصدر جميع اللغات هو لغة أصلية واحدة فقط؟

الفصل الخامس عشر



أصل الكلام

عندما نبحث عن أماكن انتشار العائلات اللغوية، نجد في عدة أجزاء من العالم – مثل أوروبا – أدلة واضحة لا تقبل التشكيك. إن حقائق التاريخ واللغة تعزز بعضها البعض، ويمكننا القول على وجه اليقين بوجود عائلة تضم مجموعة من اللغات. ولكن هذا لا يعني أن كل لغة في أوروبا تنتمي إلى العائلة الهندو أوروبية.

في شمالي أسبانيا، وحول جبال البيرينيه إلى جنوب غربي فرنسا، هناك لغة تسمى الباسكية. تختلف تمامًا عن اللغات الأخرى في أسبانيا أو أي من اللغات الأخرى في أوروبا. إنها لغة منعزلة. وهي لا تنتمي بالتأكيد إلى العائلة الهندو أوروبية. قواعدها مختلفة جدًا، ومعظم كلماتها تبدو كما لو أنها تأتي من

كوكب آخر. إليك كيفية قول عبارة (لقد شاهَدَتْ المرأةُ الرجلَ)، في منطقة الباسك: emakumeak gizona ikusi du، وهي تترجم حرفيًا إلى: امرأةٌ، الرجلَ، الذي تمت مشاهدته.

كيف ظهرت هذه اللغة في شمالي أسبانيا؟ يجب أنْ تكون لغة الباسك هي آخر لغة باقية على قيد الحياة في الوقت الذي سبق وصول الهندو أوروبيون إلى المنطقة. منذ وقت ليس ببعيد، لم نكن متأكدين من هو أول من عاش في هذا الجزء من أوروبا، أو اللغات التي كانوا يتكلمونها. لقد كانوا صيادين وملتقطي ثمار يتجولون في أوروبا باحثين عن نباتات وحيوانات صالحة للأكل. لكنهم لم يتركوا أي دليل على لغتهم، لأن هذا حدث في وقت لم يكن فيه الجنس البشري قد عرف الكتابة بعد (كما سنرى في فصل لاحق).

إذا حاولنا مقارنة لغة الباسك بلغات أخرى في أوروبا، كما فعلنا عندما كنا نجمع لغة الرومان القدماء واللغة الجيرمانية معًا في الفصل الرابع عشر، فلن نذهب بعيدًا جدًا. سنجد العديد من الكلمات التي اقتبسها شعب الباسك من جيرانه على مر القرون، مثل (eliza)، التي تعني كلمة church (كنيسة)، التي جاءت بشكل واضح من الكلمة اللاتينية (cclesia). لكن هذه لن تكون كافية لجعلنا نعتقد إن اللغات لها أصل مشترك. معظم كلمات الباسك لا تشبه الكلمات اللاتينية أو لغة الرومان القدماء. إذن، سوف نستنتج، بحق، إن الباسك شعب معزول.

عندما ننظر إلى لغات العالم، نجد مئات اللغات المنعزلة. وهناك مئات أخرى حيث العلاقة بين اللغات المختلفة غير مؤكدة. لدى اللغتين اليابانية والكورية تشابهات كافية لدى بعض الأشخاص ليعتقدوا أن بينهما علاقة وثيقة، ولكن الاختلافات بينهما كبيرة أيضًا، لذا فإن القضية مثيرة للجدل. في الواقع، عندما ننظر إلى جميع العوائل اللغوية في العالم، فإن الاختلافات بينهما تبرز أكثر بكثير من أوجه التشابه. يبدو أن هناك القليل من القواسم المشتركة بين اللغات الهندو أوروبية، ولغات مثل الصينية أو لغات أستراليا الأصلية. هل يمكن أنْ تكون جميعًا من مصدر واحد؟ انه أمر ممكن. ولكن من الممكن أيضًا إنه عندما تعلّم الإنسان لأول مرة أنْ يتحدّث، فقد فعل ذلك في أجزاء مختلفة من العالم بطرق مختلفة، وربما في أوقات مختلفة.

متى بدأ الكلام؟ قبل أنْ تتمكن المخلوقات من الكلام، يجب أنْ يكون لديها شيئان. إنها تحتاج إلى مجموعة من الأعضاء الصوتية التي يمكنها صنع كل الأصوات التي ستستخدمها لتكوين الكثير من الكلمات المختلفة. وهي بحاجة إلى دماغ قادر على معالجة كل هذه الأصوات، وتحويلها إلى كلمات وجمل ذات معنى. لا يستطيع أقرب أقربائنا في المملكة الحيوانية، مثل القرود، التحدّث. لذا عندما حدث ذلك كان قد جرى في سياق التطور الطويل من القرد إلى الإنسان، حدث ذلك عند الكائنات الشبيهة بالإنسان التي كانت تعيش في أوروبا في سنوات ما بين مئة ألف إلى ثلاثين ألف سنة قبل الميلاد يمكن أنْ يكون لديهم

نوع من الكلام البدائي. وقد تمّ العثور على العديد من الهياكل العظمية لهم، وقد قام الباحثون بعمل قوالب جصية من التجاويف العظمية داخل جماجمهم، مما يدل على أن حجم أدمغتهم مماثل لتلك الموجودة في الإنسان الحديث. لا يوجد أي من الأدمغة الفعلية على قيد الحياة، بطبيعة الحال، لذلك لا يمكن القول أكثر من ذلك. لكنها فكرة مهمة.

ماذا عن أعضائهم الصوتية؟ هنا أيضًا ليس لدينا الكثير من المعلومات، لأن الهيكل العظمي لا يعطينا سوى العظام. يمكننا أنْ نرى شكل الفكين والهياكل العظمية المحيطة بالفم وفي الرقبة؛ لكن كل الأنسجة الرخوة التي تتكون منها اللسان والحنجرة قد اختفت منذ زمن طويل. ومع ذلك، قارن الباحثون شكل عظام الجمجمة والرقبة مع تلك الخاصة بالأطفال والبالغين الحديثين، وقد توصلوا إلى أن هذه الكائنات قد تكون قادرة على إنتاج بضعة أصوات تشبه الكلام. لم تكن الأصوات كثيرة أو منظمة مثل تلك التي نجدها في اللغات الحديثة. لكن من المؤكد أن هذه الكائنات كانت قادرة على صنع أصوات أكثر بكثير مما يمكن أنْ تفعله القردة. لذا، على الأرجح، في حدود 30 ألف سنة قبل الميلاد، كانوا في طريقهم إلى أنْ يبدأوا بالكلام، وربما كانت لديهم بعض الكلمات البسيطة التي تعبر عن العواطف والاحتياجات الإنسانية الأساسية، مثل صيحات التحذير. ربما كان لديهم بعض أدوات لغة الإشارة أيضًا. لكنهم لم يعد يسيرون على البراجم (مفردها برجمة وهي مفاصل الأصابع في

اليد والرِجل)، مثل القردة. كانت أيديهم الآن حرة في القيام بكل أنواع الأشياء الجديدة المثيرة، مثل صنع الأدوات، أو رسم الصور داخل كهوفهم. وسرعان ما تعلموا كيفية استخدام أيديهم في عمل إيماءات، مثل (أحضروا إلى هنا) أو (ابتعدوا). فإذا ابتكروا أصواتًا في نفس الوقت الذي كانوا يبتكرون فيه هذه الإيماءات، ربما ستقوم هذه الأصوات بعد فترة من الزمن بأداء نفس وظيفة الإيماءات، في الأماكن التي لا يمكن رؤية الإيماءات فيها (كما هو الحال في وقت الظلام أو عندما يدير الأفراد ظهورهم لبعضهم البعض).

بحلول سنة 8000 قبل الميلاد وكما سنرى في الفصل التالي، كان هناك دليل واضح على قدرة تعلّم اللغة لدى البشر من العلامات الأولى للكتابة في أجزاء مختلفة من العالم. لذلك، ومنذ حوالي 100 ألف سنة قبل الميلاد، وربما في وقت سابق قليلاً، وبالتأكيد قبل 8000 سنة قبل الميلاد، بدأ الناس في الكلام. هذه في الواقع فترة قصيرة من الزمن، عندما نفكر في مئات الآلاف من السنين التي عاشها الجنس البشري وهو يتطوّر عن أقرب أشكاله. يبدو أن الكلام كان أحد آخر الأمور التي يجب تطويرها. ولكن بمجرد أنْ تمّ ذلك، أصبح لزامًا على الجميع أنْ يعترف بقيمته بسرعة كبيرة.

فكر في كل الأشياء التي يمكنك القيام بها، بمجرد أنْ تتكلم، وكنت لا يمكنك أنْ تفعلها من قبل. يمكنك إخبار الآخرين بالأخطار التي لا يمكنهم رؤيتها. إذا كان هناك حيوان

خطير يختبئ في بعض الصخور على بعد ميل واحد، يمكنك تحذير الآخرين بشأنه قبل الوصول إلى هناك. بدون الكلام، كل ما يمكنك فعله هو الإشارة والتهويش، وهذا ليس واضحًا إذا لم يتمكن الآخرون من رؤية ما كنت تشير إليه. وإذا كنت تقضي وقتًا في تعلم جميع أنواع الأشياء المفيدة، مثل صناعة الأدوات، فمن الأسهل بكثير تمرير هذه المعرفة إلى أطفالك إذا كان بإمكانك التكلم.

وفكّر في مدى سهولة محاربة عدوك إذا كان بإمكانك التحدّث مع صديق. يمكنك التخطيط لإستراتيجيتك مقدمًا. ستقول له (سننتظر حتى تغرب الشمس. ثم نختبئ وراء الأشجار، وتنتظر هناك حتى أنادي... سنذهب خلف الصخرة في أسفل التل...) وبدون تلك الخطة، سيذهب الجميع إلى أسفل التل ويأملوا في حدوث الأفضل.

من السهل أنْ نرى، إذن، كيف يفيد الكلام، بمجرد أنْ يبدأ البشر الأوائل في تجربته. لا نعلم ما إذا كانت القدرة على التحدّث تبدأ في مجتمع صغير واحد فقط، وتنتشر إلى الآخرين، أو ما إذا كانت المجتمعات المختلفة قد تعلمت كيفية التحدّث في نفس الوقت تقريبًا أو حتى في أوقات مختلفة. ما نعرفه هو أنه في غضون بضعة آلاف من السنين، ظهرت أسر لغوية مختلفة. والدليل هو أن البعض منهم بدأ في الكتابة.

الحيوان الناطق

كان يطلق على الإنسان أحيانًا اسم (الحيوان الناطق). ولأن اللغة مهمة جدًا بالنسبة له، فإنها تلعب دورًا كبيرًا في خلق الأساطير والخرافات والمعتقدات الدينية للناس في جميع أنحاء العالم. معظم الثقافات لديها قصص عن كيفية بدء اللغة.

عادةً ما تقول الأساطير إن إلهًا أو آلهةً معينة علّمت البشر أنْ يتحدثوا أو يكتبوا. في إحدى أساطير الشعب الصيني، تنحدر سلحفاة مائية من السماء بعلامات على ظهرها، وتعلم هؤلاء الناس كيف يكتبون. يعتقد أهل مصر القديمة إن أحد آلهتهم، تحوت، كان الكاتب للآلهة الأخرى، يكتب قوانينهم، وكان هو من علّم مهارة الكتابة للمصريين. في الكتاب المقدس، واحدة من الأشياء الأولى التي يجب على آدم القيام بها، بعد أن تمّ خلقه، هو تسمية جميع الحيوانات.

كان بعض الأشخاص يشعرون بالفضول حيال الطريقة التي بدأت بها اللغة إلى حد إنهم أجروا تجربة باستخدام الأطفال. وهناك قصة شهيرة تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، وهي تدور حول ملك مصري، يدعى بسماتيك الأول، أراد أنْ يعرف أي من شعوب العالم كان الأكثر قدمًا، واعتقد إنه إذا استطاع اكتشاف أول لغة في العالم، فان هذا سيكون الدليل الذي يحتاجه.

كان يعلم إن الأطفال يتعلمون كلام من حولهم. لذا، ففكر في أنه إذا ربّى طفلين حديثي الولادة في وضع لا يسمعا فيهما أي خطاب على الإطلاق، فعندما يحين الوقت بالنسبة

لهما للتحدّث مع بعضهما البعض، فإن من شأنهما أنْ يظهرا لغة العالم الأصلية من عمق أدمغتهما.

لذلك وضع طفلين حديثي الولادة في رعاية أحد الرعاة. الذي قام بإطعامهم حليب الماعز ورعايتهم عمومًا، ولكن لم يكن يسمح له أنْ يقول أي شيء لهم ليسمعوه على الإطلاق. كما إنهم لم يسمعوا أي شخص آخر يتحدث. عندما خرجوا بكلماتهم الأولى، كان عليه أن يخبر بسماتيك على الفور عما قالوه.

وتقول القصة إنه في أحد الأيام، عندما كان الأطفال في سن الثانية، ذهب الراعي إلى الغرفة التي كان فيها الأطفال، وهرعوا إليه وهم يمدون أيديهم ويصيحون (becos, becos). فأخبر الملك بذلك، الذي سأل مستشاريه بعد ذلك عن اللغة التي كانا يقولانها. وقالوا (إنها كلمة) الخبز (باللغة الفريجية). هنا خاب أمل بسماتيك، الذي كان يأمل أنْ يتكلم الأطفال بكلمة مصرية. لكنه اضطر إلى قبول نتيجة التجربة.

بالطبع – لو كان ذلك قد حدث بالفعل – فان الأمر برمته يكون جنونًا. إذا لم يسمع الأطفال أي لغة، فلن يتعلموا الكلام. وبالتأكيد لم تكن الفريجية أقدم من اللغات الأخرى المستخدمة في ذلك الوقت. (إنها لغة ميتة الآن، ولكن في يوم بسامتيك، كان يتم التحدّث بها في جزء من البلد الذي نطلق عليه الآن اسم تركيا).

فلماذا قال الأطفال (becos)؟ ربما كان ما سمعه الراعي هو الطريقة التي يجمع بها الأطفال بعض أصواتهم وهم يتشاجرون مع بعضهم البعض. وربما ربطوا هذه الأصوات بفكرة (الطعام). أو ربما، ببساطة، كانوا يقلدون صوت الأغنام أو الماعز!

الفصل السادس عشر



أصل الكتابة

هذه بعض العلامات المرورية التي توضع على الطرق.








1 2 3 4







5 6 7

سترى العلامات ذات الأرقام من 1 – 5 موضوعة على الطرق في أوروبا أما ذات الأرقام 6 – 7 ستجدها في الولايات المتحدة. رقم 1 يعني إن أمامك استدارة. الرقم 2 يعني إن هذه

منطقة عبور للمشاة رقم 3 يعني إن الحد الأقصى للسرعة هو 60. عدد 4 يعني توجد هنا ساحة لوقوف السيارات. رقم 5 يعني إن أمامك طريقًا متعرجًا رقم 6 يخبرنا عن الطريق الرئيس الذي نسير فيه ويجب أنْ يكون معنى الرقم 7 واضحًا. يجب أنْ نتعلّم علامات كهذه عندما نتعلم القيادة.

كلّ هذه العلامات السبع تعطينا معلومات بنفس الطريقة ولكن أيًا منهم يمكن أنْ ندعوه (بالكتابة)؟

الأرقام 6 و7 تحتوي على كلمات، لذلك فقد كتبت بوضوح. ومعظم الناس يقولون إن 3 و4 أمثلة عن الكتابة أيضًا، لأن علينا قراءة الأرقام (6) و(0) والحرف (P). العلامات الأخرى تبدو مثل الرسم. ولكن هذا فقط لأننا نعرف إنه لا توجد حروف في اللغة الإنجليزية تشبه العلامات في 1، 2، و5.

تخيّل أنْ تكون فضائيًا من مجرة أخرى كيف ستعرف إن العلامة في رقم 4 تشير إلى حرف والعلامة في رقم 5 ليست كذلك؟ رقم 5 يمكن أن يكون بسهولة حرفًا: إنه في الواقع يبدو وكأنه حرف (N) مقلوب أو حرف (S) مرسوم بشكل جانبي. ورقم 1 هو تمامًا مثل حرف (O)، ولكن تتخلله ثلاثة فراغات.

ليس من الجيد إخبار الشخص الغريب (الكائن الفضائي) إن الأرقام 1 و2 و5 هي صور للعالم الحقيقي، كل ما يستطيع فعله هو الذهاب والنظر في الساحة الفعلية والقول (إذا كان يمكنه أن يتكلم): «لا أستطيع أنْ أرى أي مسافات مثل تلك التي تظهر في العلامة. ولا الطريق الذي ينحني من أجل الخروج

كما يبدو تماماً هناك. ولا أحد منكم يبدو مثل ذلك الشيء في اللافتة. نصفكم يرتدي التنانير القصيرة، أما الشخص الذي في العلامة فلا يرتديها. هل هذا يعني ليس عليك الانتباه إلى الناس الذين يعبرون الطريق ممن يرتدون التنانير؟)).

بالطبع، نحن نعرف ما حدث، الأشخاص الذين صمّموا العلامات جعلوا الأشياء بسيطة عمدًا. طالما أن العلامات تذكّرنا بتقاطع مروري حقيقي، وشخص حقيقي (ذكر أو أنثى)، وانحناءات طرق حقيقية، فإنها ستفعل ذلك. وليس من المفترض أن تكون دقيقة.

الآن تخيل إن أحد علماء الآثار ينقب في صحاري الشرق الأوسط لإيجاد بقايا آثار قديمة الأشياء التي لدينا تضرب جسماً صلبا ويتضح إنه قطعة من الحجارة، وعليها دائرة في داخلها نقطة. هل هذه كتابة أم لا؟ هل هو حرف من إحدى الأبجديات غير المعروفة؟ أم إنه رسم يعبر عن الشمس، أو عجلة، أو شيء آخر؟ في كثير من الأحيان لا يمكننا أنْ نتأكد.

وعملية تحديد متى بدأ البشر الكتابة لأول مرة هي عملية صعبة للغاية، لأن المشكلة تكمن في تحديد ما إذا كانت العلامات التي وجدت تمثل رسومات أم هي جزء من نظام الكتابة. رسم الجاموس على جدار كهف هو بالتأكيد عمل فني، وليس كتابة. العلامات تبدو مثل الكتابة فقط عند بدء استخدامها لاستبدال الرسومات، ولها حجم وشكل محدد، وتظهر على السطح في خط مع اتجاه معين. اليوم الذي أقتل فيه ثلاث جاموسات وأرسم

ثلاثة من الوحوش الميتة على جدار كهفي، فأنا رسام. ولكن في اليوم الذي أقتل فيه ثلاث جاموسات واخترع علامة لهم مثل (^ = ^)، وأنحتُها على جدار كهفي (^ = ^ 1 1 1)، إذن أنا كاتب.

نحن نرى علامات من هذا النوع من النظام ظهرت من حوالي 30 ألف سنة قبل الميلاد. بدأ الناس في رسم العلامات في العصي أو على العظام للتعبير عن عدد من الأشياء. وكانوا يسمونها (عصى العد) و(عظام العد). نحن لا نعرف ماذا كانوا يعدون. فالعصا التي فيها خمس إشارات قد تعني خمس من الماشية أو خمس وحدات من الحبوب، أو خمسة من أي شيء.

وجرت الخطوة التالية للتمييز بين أنواع الأشياء، باستخدام الطين. حدث هذا في حوالي سنة 9000 قبل الميلاد. تم تكوين كتل صغيرة من الطين على شكل كرة، أو مخروط، أو مستطيل، وهلم جرا. كان يطلق عليها اسم (clay token) الرقم الطينية لأنهم اعتادوا على استخدامها لكي ترمز للأشياء، شكل الكرة قد يعني خروفًا، خمس كرات ستعني خمسة خِراف، المخروط قد يعني بقرة؛ ثلاثة مخاريط تعني ثلاث بقرات أيضًا، ونحن لا نعرف ماذا كانوا يعدون. ومع ذلك، يمكننا التخمين، لأن هذه هي الفترة التي بدأ الناس فيها إنشاء المزارع، لذلك كان من المهم أنْ يتتبعوا عدد الماشية التي يملكها شخص ما أو كمية الحبوب التي كانت تُباع.

عند حوالي سنة 4000 قبل الميلاد حدث تطور آخر. بدأ الناس بصنع علامات على الرقم الطينية للتعبير عن أنواع مختلفة

من الأشياء. فنوع واحد من العلامات (مثل X) قد يعني خنزير ذكر؛ نوع آخر من العلامات (مثل O) قد يعني خنزير أنثى. لذا إذا أرسلت خادمي إلى ابن عمي في قرية أخرى ومعه خمسة خنازير، وكانت ثلاثة من الخنازير تحتوي على Xs عليها واثنتان كانت تحتوي على Os، فالجميع سيعرفون ما سأرسله.

ولكن كانت هناك مشكلة. ماذا لو كان خادمي غير أمين؟ لنفترض إنني أعطيته هذه الخنازير الخمسة، ولكن عندما وصل إلى مزرعة ابن عمي سلّمه أربعة فقط؟ فقد توقف في الطريق وأخفى أحد الخنازير لنفسه، ودمر أحد الرموز لإخفاء ما فعله. ابن عمي لن يعرف أي شيء البتة. أربعة خنازير أربعة رموز. ليس هناك أي مشكلة. لم تكن توجد هواتف في تلك الأيام للتحقق.

يمكننا أنْ نتخيل أنه لن يمر وقت طويل قبل أنْ يدرك الناس إن هذا النوع من الأشياء كان يحدث. ووجدوا حلاً ذكيا. لقد وضعوا ثقوبًا في الرموز، وربطوها معًا مثل قلادة. ثم ربطوا أطراف القلادة مع قطعة أخرى من الطين وجعلوا علامة شخصية خاصة بهم (ختمهم) عليها. قد أختار +++ كختم لي، على سبيل المثال. الآن لا يستطيع الخادم سرقة أي شيء. إذا كسر الختم، فسيتم اكتشافه. كانت هناك طريقة أخرى ذكية هي وضع كل ما عندي من الرُقم في كرة طينية جوفاء، ثم أقوم بختم حفرة المدخل مع قطعة أخرى من الطين، ووضع ختم على ذلك. لقد كانت طريقة آمنة حقًا. لن يتمكن أي خادم من الحصول على الرُقم دون كسر الحاوية، ومن ثم سيكتشف على الفور.

ولكن لم يستمر الأمر طويلاً قبل أنْ يلاحظ شخص ما مشكلة في طريقة القيام بالأمور. ماذا لو أوقف شخص ما خادمي في الطريق وسأله (ماذا تحمل هناك؟) ربما لم يكن الخادم يعرف. ولم تكن هناك طريقة لرؤية الداخل. لذلك تخلى الناس عن فكرة إظهار الرموز على السطح الخارجي للحاوية. كان الطين طريًا تمامًا، لذلك كان كل ما عليهم فعله هو أخذ كل رمز ورميه إلى الأسفل حتى تتمكن من رؤية شكله. الآن، كل مَنْ أراد أنْ يعرف ما هو موجود في الحاوية كان عليه ببساطة أنْ ينظر إلى العلامات الموجودة في الخارج، تمامًا كما، يحدث اليوم، حين تخبرنا الكتابة الموضوعة على زجاجة ما بمحتوياتها.

قد تقول ولكن ما الهدف من ذلك؟ إذا كان هناك الآن علامات على الجزء الخارجي من الطين لإظهار ما هي الرموز، فلماذا تحتاج إلى الحصول على الرموز في الداخل كذلك؟ لماذا لا ندع العلامات تقوم بالمهمة؟ لماذا لا نتخلص من الرموز تمامًا ونضع فقط العلامات التي تمثل الأغنام والخنازير وكل شيء آخر على قرص الطين؟ سيكون ذلك أبسط من ذلك بكثير.

وهذا بالضبط ما فعلوه. بحلول عام 3400 قبل الميلاد، بدأ نظام الكتابة في التطوّر حيث خدش الكتبة علامات على ألواح طينية. وبعد مرور ألف عام، أصبحت هذه العلامات عبارة عن مجموعات من علامات صغيرة على شكل حافات مستقيمة، صنعت من نهاية القصب. سمي هذا النظام المسماري kyoo ni

وتلفظ (كيو ني)، وهو الاسم الذي يأتي من cuneus، والذي يعني باللاتينية حافة أو طرف الشيء (حرف).

تم العثور على أقدم شواهد الكتابة المسمارية في بقايا مدينة أوروك القديمة، على ضفاف نهر الفرات في العراق الحديث. كان فيها حوالي 800 علامة، تمثل الأرقام، وأنواع المنتجات مثل (الأغنام) و(الأسماك)، وأجزاء الجسم مثل (الرأس) و(الفم)، وكذلك الأشياء اليومية مثل (وعاء) و(محراث). كانت العديد من العلامات تصويرية، على سبيل المثال، تبدو علامة الرأس وكأنها رأس. لكن على مر القرون، اختار الكتّاب السمات الرئيسة فقط، تماماً مثل إشارة المرور الحديثة. كما حولوا الصورة إلى جانبها، لتسهل الكتابة. تبدو النتيجة كما يلي إذا نظرت إليها بشكل جانبي، يمكنك فقط رؤية التشابه على الرأس.

في نهاية المطاف، أصبحت الكتابة المسمارية تستخدم لجميع أنواع الأغراض، مثل وضع قوائم بالممتلكات، وإرسال الرسائل بين الحكومات، وتسجيل الأحداث. كان من السهل رؤية قيمة نظام كتابة من هذا النوع، وسرعان ما بدأت لغات أخرى في المنطقة في استخدامه. في الواقع استمر ذلك لأكثر من 2000 سنة، واندثر فقط عندما تم اختراع طرق أكثر ملاءمة للكتابة، كما سنرى في الفصل التالي.

كان الخط المسماري على حد علمنا أول نظام كتابة حقيقي في العالم. كان لدى المصريين نظام كتابة أيضًا، من نوع مختلف نوعا ما، لكن ذلك بدأ فيما بعد. وأنواع الكتابة التي تطوّرت

في أماكن أخرى، كما هو الحال في الصين أو بين المايا في أميركا الوسطى، اخترعت أيضًا في وقت لاحق. تمّ العثور على الكتابة الصينية في وقت مبكر من حوالي 1200 قبل الميلاد وكتب المايا من حوالي 500 قبل الميلاد. لا ترتبط الأنظمة بأي شكل من الأشكال. اخترع البشر الكتابة عدة مرّات، في أجزاء مختلفة من العالم.



كتابة اللغة الصينية

اقرأ هذه الجملة بصوت عالٍ: 3 دولارات + 6 دولارات أميركية = 9 دولارات أميركية. إنها تتكون من سلسلة من العلامات الفردية، $، +، =، 3، 6، 9- والتي تعلمنا أنْ نقرأها ككلمات كاملة. يمكننا بالطبع كتابتها بحروف كالتالي:

ثلاثة دولارات بالإضافة إلى ستة دولارات تساوي تسعة دولارات، لكن ذلك سيهدر الكثير من الوقت.

تسمى مثل هذه العلامات (logographs). ويعود أصلها إلى (logo) وتعني (كلمة) باللغة اليونانية و(graph) تعني صورة أو علامة باليونانية فتكون Logographs كلمات مصورة.

لا تحتوي اللغة الإنجليزية على العديد من الكلمات المصورة logographs. وفيما يلي بعض منها:

£ @ ٪&

كنا نقرأ تلك كـ (و)، و(في المائة)، و(في)، و(باوند). وفي الرياضيات، لدينا المزيد، مثل علامات (ناقص) و(ضرب) و(قسمة) و(الجذر التربيعي). هناك عدد غير قليل من العلامات الخاصة في الكيمياء والفيزياء هي أيضًا logographs.

بعض اللغات تتكون بالكامل من logographs. الصينية هي الأفضل. من الممكن كتابة اللغة الصينية مع أبجدية مثل تلك التي نستخدمها للغة الإنكليزية، ولكن الطريقة التقليدية لكتابة اللغة هي استخدام logographs،

على الرغم من أنها عادة ما تسمى الحروف عندما نتحدث عن اللغة الصينية. وهذه اثنان منها:

舍	人
منزل	شخص

في هذه العلامات، يمكننا أنْ نرى بسهولة أصول الصورة من الشخصيات. تبدو شخصية (المنزل) وكأنها منزل، ومن الواضح أن شخصية (الفرد) ذات قدمين. ولكن قد تواجه بعض الصعوبة في معرفة ما يلي:

貓　　狗

الأول هو (القط) والثاني هو (كلب). معظم الحروف الصينية لم تعد تشبه إلى حد بعيد الطريقة التي تبدو بها الأشياء في العالم. وبالطبع هناك الآلاف من المعاني التي ليس لها أي شكل على الإطلاق، مثل (الحب) و(انظر). هنا لا تحصل على أي مساعدة من شكل الحروف على الإطلاق.

看	愛
رؤية	أحب

يختلف نظام الكتابة هذا اختلافًا كبيرًا عن الطريقة الأبجدية التي اعتدنا على الكتابة بها باللغة الإنجليزية. هذا هو السبب الرئيس في أن المتحدثين باللغة الإنكليزية يعتقدون أن اللغة الصينية هي لغة صعبة التعلّم، ولكن إذا بذلنا جهدنا، فإن الأمر يستحق ذلك بالفعل.

الفصل السابع عشر



أساليب الكتابة الحديثة

كيف يمكنني كتابة اسمي في لغات العالم؟ تتمثل إحدى الطرق في استخدام التقنية الموضحة في الفصل السادس عشر وإنشاء علامة تشير إلى (ديفيد كريستال). قد تكون ôô. ولكن إذا فعل الجميع ذلك، فسيكون من الصعب تذكّر ما تعنيه هذه العلامات. كلنا نتذكّر علامات أقاربنا وأصدقائنا، ولكن تخيل محاولة العثور على رقم هاتف شخص ما في دليل الهاتف، إذا كان لدى كل شخص علامة خاصة به!

لم يأخذ الناس وقتًا طويلاً، خلال مراحل تاريخ الكتابة، لإدراك أن كتابة الصور، على الرغم من بساطة البدء بها، لها حدودها. وتصبح بسرعة عملية مرهقة. لذلك بحثوا عن طرق أخرى لجعل الأمر أكثر سهولة. من هذه الطرق هي إضافة بعض

العلامات التي ترمز لأصوات اللغة، وكانت تستخدم مع الصور لصنع كلمات جديدة. إليك كيف فعلوا ذلك.

ربما تكون قد رأيت الألغاز في كتب مثل هذه. أولاً، نرى صورة ويجب أنْ نقولها بصوت عالٍ (Bee نحلة).



والآن نضيف حروفًا إليها، ويجب أنْ نقول الكلمات الجديدة بصوت عالٍ.



عندما نضيف حرف T

تصبح Beat (يضرب).



عندما نضيف حرف F

تصبح كلمة Beef وتعني (لحم البقر).

وهلم جرا. بعد أنْ نتعلّم صوت الصورة، يمكننا استخدامه للمساعدة في إنشاء جميع أنواع الكلمات الجديدة.

been (تم)، beak (منقار)، beer (بيرة)، beads (حبات)، وما إلى ذلك. إذا كنت قد رأيت صورًا للكتابة على جدران الأهرامات المصرية، فإن الشيء نفسه يحدث، باستثناء إنها تستخدم علاماتها الخاصة للقيام بذلك. لم يكن لديهم أية حروف مثل حروفنا.

بمجرد أنْ يحصل الناس على فكرة أن العلامات يمكن أنْ ترمز للأصوات، لن يمض وقت طويل حتى يفكروا في كتابة كل أصوات اللغة. ولأن اللغات لها عدد ضئيل من الأصوات، فقد أدركوا إن هذا سيكون وسيلة جيدة للغاية لتجنب مشكلة الحاجة إلى تذكّر الآلاف من العلامات المختلفة. ولكن هناك طريقتين لكتابة الأصوات.

لنعد إلى لقب عائلتي، Crystal (كريستال)، واعتبره سلسلة من الأصوات وليس الحروف. في الكلمة اثنين من (الضربات)، أو (النبضات) من الصوت، والتي يمكن أنْ تظهر هكذا:

Crys tal

هذه الضربات تشكل إيقاع الكلمة. ويطلق عليها اسم المقاطع. في كلمة مثل telephone (هاتف)، هناك ثلاثة مقاطع:

te – le – phone

في كلمة مثل (supercalifragilisticexpialidocious) هناك 14 مقطعًا.

su per per ca li fra gi li stic ex pi a li li cious

وقد طوّرت بعض اللغات أنظمة الكتابة حيث ترمز العلامات إلى المقاطع المختلفة. لذلك سيكون هناك علامة للمقطع (su)، وأخرى لـ (per)، وأخرى لـ (ca)، وهكذا. يسمى النظام الذي يكتب المقاطع في هذه الطريقة بنظام syllabary. (المقاطع اللفظية) هناك العديد من الطرق المختلفة لكتابة اللغة اليابانية،

على سبيل المثال، اثنان منها من المقاطع اللفظية. سأشرح كيف يعمل أحدهم. ويطلق عليه اسم كاتاكانا.

أول شيء يجب أنْ نعرفه هو أن النطق الياباني ليس مثل النطق الإنكليزي. لا تحتوي المقاطع على نمط:

Consonant +Consonant + Vowel

صحيح ومعتل وصحيح والذي رأيناه في اللغة الإنكليزية (في نهاية الفصل 5). المقاطع اليابانية عادة ما يكون لها قسمان فقط: Consonant + Vowel. لديهم مقاطع مثل (wa) و(su) و(ke).

كما أن اليابانيين لا يحبذون تجميع الأصوات الصحيحة، بخلاف الإنكليزية، التي تحتوي على كلمات مثل street (الشارع)، حيث نسمع ثلاثة أصوات صحيحة في المقدمة. وبسبب ذلك، يجد العديد من اليابانيين صعوبة في نطق اسم عائلتي، والذي يحتوي على [kr] في البداية و{st] في المنتصف. وفيه أيضًا صوتًا في النهاية. لذا ينتهي بهم الأمر على هذا النحو:

C ry s ta l
Ku ri su ta ru

وإذا أرادوا كتابتها في أبجدية الكاتاكانا، فسيقومون بوضع علامة واحدة لكل مقطع، وسيبدو كالتالي:

Ku ri su ta ru
ク リ ス タ ル

لا تكتب العديد من اللغات باستخدام المقاطع الصوتية. على الرغم من أنها طريقة ذكية جدًا للكتابة، إلّا أن هناك عددًا

كبيرًا من المقاطع في لغة ما، لذا يتعين علينا أنْ نتعلّم عددًا كبيرًا من العلامات. الكاتاكانا اليابانية فيها 48 علامة بعض المقاطع الأخرى فيها عدة مئات. يجب أنْ تكون هناك طريقة أبسط.

وهذه موجودة ويطلق عليها اسم الأبجدية. دعنا نفكر في اللقب كسلسلة من الأصوات الفردية وليس المقاطع. له سبعة أصوات، وتظهر كل واحدة بحرف واحد.

Crystal

تُعرف طريقة الكتابة هذه، حيث يمثل الحرف صوتًا، بالحروف الأبجدية. وتسمى مجموعة الحروف التي تستخدمها اللغة بأبجديتها.

وتعود أمثلة الكتابة الأبجدية إلى حوالي عام 1800 قبل الميلاد، في أجزاء مختلفة من الشرق الأوسط، تم اكتشاف أحدث ما نعرفه في مصر في التسعينيات. تُعرف الأبجدية الأكثر تأثيرًا، من حوالي 1000 قبل الميلاد، بالأبجدية الشمالية السامية، التي كانت تُستخدم في أجزاء من فلسطين وسوريا. كان فيها 22 حرفًا، وجميعها حروف صحيحة (ساكنة). الأبجديات العبرية والعربية الحديثة جاءت منها. في وقت لاحق، استخدم الإغريق هذه الأبجدية بشكل أوسع وأضافوا علامات إضافية لحروف العلة. وبعد فترة من الزمن، استحوذ الرومان على الأبجدية اليونانية وأجروا فيها المزيد من التغييرات. والأبجدية الرومانية هي التي نستخدمها لكتابة اللغة الإنكليزية والعديد من اللغات الأخرى اليوم. إنه نظام الكتابة الأكثر استخداماً في العالم.

لماذا أصبحت الأبجدية شائعة جدًا؟ لأنه نظام لا يستخدم سوى عدد قليل من الوحدات فقط 26 حرفًا في اللغة الإنكليزية. لغة شعب روتوكاس في بابوا غينيا الجديدة فيها 12. بعض اللغات لديها ما يصل إلى 50 أو نحو ذلك، ولكن معظمها لديهم عدد أقل من ذلك بكثير.

إنها فكرة عظيمة. بمجرد تعلّمنا أبجدياتنا، يمكننا كتابة أي كلمة نرغب بها. يمكننا حتى أنْ نكوّن كلمات ليس لها معنى وسيكون الناس قادرين على قراءتها !Doolaboola يمكننا قراءة أسماء الأشخاص الذين لم نسمع بهم أبدًا. إذا تلقينا رسالة بريد إلكتروني من رجل يدعى Alipo Matak، فستكون لدينا فكرة جيدة حول كيفية نطق اسمه.

لسوء الحظ، كما رأينا في الفصل 9، لا تعمل فكرة الأبجدية بشكل جيد في بعض اللغات أثناء الممارسة. إنها تعمل بشكل جيد عندما يرمز كل حرف لصوت واحد فقط. هذا ما يسمى بالكتابة الصوتية، وبعض اللغات، مثل الأسبانية والويلزية، مكتوبة بطريقة صوتية مع بعض الاستثناءات القليلة فقط. حتى اللغة الإنكليزية كانت صوتية، عندما كتبها الرهبان الذين جاءوا إلى بريطانيا لأول مرة في العصور الإنكلوسكسونية.

إذا كانت لديك مهمة كتابة لغة ما لأول مرة فإنها الطريقة المناسبة للبدء، وكما سنرى في فصل لاحق.

لم يتم تدوين العديد من لغات العالم مطلقًا، حينها عليك أن تستمع بعناية إلى الأصوات الفردية، وتقوم بتعيين حرف مختلف لكل صوت.

ستحصل المشكلة عندما يتوجب عليك كتابة لغة فيها الكثير من الأصوات. ستنفد حروفك قريبًا! وكان هذا هو الحال مع اللغة الإنكليزية. حاول الرهبان استخدام الأبجدية اللاتينية التي عرفوها، والتي كانت تحتوي على 23 حرفًا، لكتابة اللغة الإنكليزية، وسرعان ما وجدوا أن هناك أصواتًا في اللغة الجديدة لا تشبه أصوات اللغة اللاتينية. كانت تلك هي الأصوات، التي نسمعها خفيفة وهذه كانت جديدة، لذا بدأ الرهبان يبحثون عن حروف بأبجدية مختلفة لتدوينها. كما تمّ استخدام الأبجدية الرونية (الجرمانية القديمة) في شمالي أوروبا في ذلك الوقت، وأوجدوا حروفًا مثل þ و ð. ونحن لا نستخدم هذه الحروف في الكتابة بالإنكليزية حاليًا، لكنها موجودة في المخطوطات في جميع أنحاء العصر الإنكلوساكسوني.

لكن حتى هذه الحروف الإضافية لم تكن كافية. كانت اللغة الإنكليزية تحتوي بالفعل على 44 صوتًا مختلفًا، ومع وجود 26 حرفًا فقط، من الواضح إنه ستكون هناك مشكلة. تتمثل إحدى طرق حل المشكلة في استخدام الحروف المزدوجة لإظهار الاختلافات في الصوت. يمكننا أنْ نرى كيف يعمل هذا في هجاء المثال هذا، الذي أخذته من بعض القصص المصورة. كيف تقرأ هذه الكلمات بصوت عالٍ؟

يصطدم – تصادم!

CRASH! CRAASH!! CRAAASH!!!

كلما زاد تكرار حرف العلة A، كلما حافظ على استمرار الصوت. وهذا هو بالضبط كيف يفعل الناس ذلك، عندما يكتبون اللغة. اقرأ هذه الكلمات بصوت عالٍ.

Met meet lot loot

تظهر الحروف المزدوجة أن حرف العلة أطول. وقد فكّر الناس في طرق أخرى لاستخدام حرفين لإظهار صوت واحد، كما يمكننا أنْ نرى من مثل هذه التهجئات للحرف الطويل [ee] كما في كلمة meat (اللحم)، Pete (بيت اسم شخص)، و field (الحقل)، بالإضافة إلى مجموعات كهذه < sh> و<th> لأصوات ساكنة مفردة.

بهذه الطرق، تمت كتابة اللغة الإنكليزية، وخلال الأعوام المئة الأولى من حياة اللغة، تطابقت الحروف والأصوات بعضها مع بعض بشكل جيد. لكن تدريجيًا تغيرت طريقة نطق الناس للغة الإنكليزية (كما رأينا في الفصل التاسع)، وتوقفت الحروف عن أن تعكس الأصوات. هذا هو السبب في أن حرفًا واحدًا اليوم يمكن أن يمثل العديد من الأصوات:

على سبيل المثال، الحرف <g> يبدو مختلفًا في عدد من الكلمات good (جيد) و George (جورج) و genre (النوع)، ولا يتم نطقه مطلقًا بكلمات مثل sign (تسجيل) و gnaw (نخر). أيضًا، يمكن أنْ يتهجى صوت واحد مع العديد من الحروف.

يتم سماع نفس صوت (oo) في كلمات مثل two، dude، loot، fruit، group، do، و grew، ولديه بعض التهجئات الغريبة في الكلمات من اللغات الأخرى، مثل canoe (الـزورق)، و rheumatism (الروماتيزم)، و manoeuvre (المناورة).

واحدة من الاختلافات الكبيرة بين اللغة الإنكليزية ولغات مثل الفرنسية أو الألمانية أو الأسبانية هو أنها لم تنشئ أبدًا علامات لهجات مميزة. وهذا هو معنى مختلف لكلمة (اللهجة) من الكلمة التي استخدمتها في الفصل الثاني عشر. نرى <é> و<ê> و<è> بالفرنسية، على سبيل المثال، <ä> و<ü>، و<ö> بالألمانية، و<ñ> باللغة الأسبانية. تغير اللهجة الطريقة التي يبدو بها الحرف.

عندما اقتبست اللغة الإنكليزية كلمات محسوبة على هذه اللغات، فقد أخذت أحيانًا من لهجاتها أيضًا، لذلك نرى الكلمة العرضية يتم كتابتها بلهجة معينة، خصوصاً إذا كانت هناك حاجة إلى تمييز الكلمات عن بعضها البعض:

The rose was expensive

وتلفظ: (rohz a flower) وتعني هنا زهرة.

The rosé was expensive

وتلفظ: (roh zay a bottle of wine) وتعني هنا زجاجة من النبيذ.

تذكّرنا اللهجات أيضًا بكيفية نطق كلمة (fee on say) وتلفظ fiancé. و(ny eeve) وتلفظ naïve

ولكن بمجرد أنْ تصبح الكلمة معروفة جيدًا، عادة ما تتلاشى اللهجة. في هذه الأيام، نرى (cafe مقهى)، و(decor ديكور)، و(discotheque مرقص)، و(seance جلسة استحضار الأرواح) أكثر من café، décor discothèque، séance. بعض الناس يختلفون حول هذا الموضوع، ويصرون على وضع لهجاتهم. عندما تدرس أنظمة الكتابة الحديثة، كن مستعدًا للاستخدامات المختلفة ولاختلاف الآراء!

دلتا تشارلي هنا

كثيرًا ما يقول الناس إن الأبجدية هي واحدة من أعظم الاختراعات في العالم، لأنها - مثل العجلة - تسمح لنا بعمل عدد مذهل من الأشياء. إنها لا تمكّننا فقط من الكتابة. بل تساعدنا على تنظيم حياتنا.

الترتيب الأبجدي هو السبب. نتعلم الحروف الأبجدية في تسلسل ثابت A، B، C، D... في اللغة الإنكليزية، الحرف الأول هو A، والأخير هو Z. وهذا يسمح لنا بإيجاد طريقنا في رفوف المكتبة، ودليل الهاتف، ومؤشرات مواقع الويب، وجميع أنواع الأماكن التي يستخدم فيها الأشخاص حروفًا لتصنيف المعلومات.

يحتوي كل حرف على اسم: في اللغة الإنكليزية، يتم نطق (B) بـ (bee)؛ يتم نطق (M) باسم (em). ولكن في وسط الضجيج، يصعب أحيانًا سماع الأسماء بوضوح. وإذا حددنا كلمة عبر الهاتف، فغالبًا ما لا يستطيع الشخص في الطرف الآخر سماع ما إذا كنا نقول (P) أو (B) أو (M) أو (N).

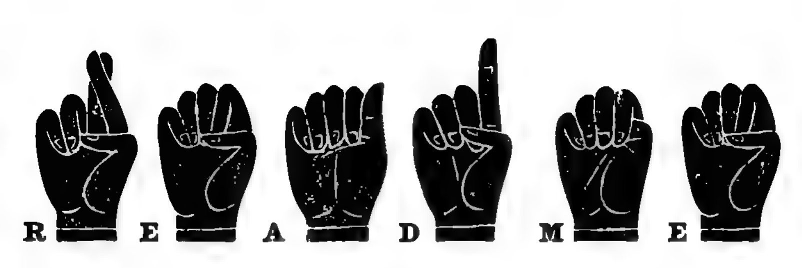
ولهذا السبب، أعطيت الشرطة والجيش ومنظمات أخرى حروفًا (أكبر)، والتي يمكن سماعها بشكل أكثر وضوحًا عندما يتحدّث الناس عن طريق الهاتف أو الراديو. تم إنشاء واحدة من الأكثر استخدامًا على نطاق واسع من قبل مجموعة البلدان التي تشكل حلف شمالي الأطلسي، ومنظمة حلف شمالي الأطلسي. الأبجدية الصوتية للناتو، كما يطلق عليها عادة، تسير على هذا النحو:

A	**Alpha**	**B**	**Bravo**	**C**	**Charlie**
D	**Delta**	**E**	**Echo**	**F**	**Foxtrot**
G	**Golf**	**H**	**Hotel**	**I**	**India**
J	**Juliet**	**K**	**Kilo**	**L**	**Lima**
M	**Mike**	**N**	**November**	**O**	**Oscar**
P	**Papa**	**Q**	**Quebec**	**R**	**Romeo**
S	**Sierra**	**T**	**Tango**	**U**	**Uniform**
V	**Victor**	**W**	**Whiskey**	**X**	**X ray**
Y	**Yankee**	**Z**	**Zulu**		

ربما سمعت ذلك على التلفزيون. إذا أردت أنْ تكتب اسم عائلتي في هذه الأبجدية، فستبدأ بـ (تشارلي روميو...) لقد أحببت هذا الأمر تماماً.



الفصل الثامن عشر



لغة الإشارة

الكلام والكتابة هما من الطرق التي نعبر بها عن اللغة. لكن هناك طريقة ثالثة.

من المشاهد الشائعة هذه الأيام. إننا نشاهد برنامجًا على التلفزيون، ويظهر في زاوية من الشاشة مربعًا يقوم فيه شخص ما بعمل إيماءات ويحرك شفاهه ويصنع تعبيرات على وجهه. ماذا يحدث هنا؟

يستخدم الشخص لغة الإشارة، موجهة لأي شخص أصم قد يشاهد البرنامج. لقد تعلم هذا الشخص لغة الإشارة للصم.

تعتمد لغة الإشارات المستخدمة على المكان الذي توجد فيه في العالم. إذا كانت تحدث في المملكة المتحدة، فستعرض لغة الإشارة البريطانية. إذا كانت في فرنسا، فستكون لغة الإشارة

الفرنسية. إذا كانت في الصين، فستكون لغة الإشارات الصينية. في جميع أنحاء العالم، تطوّرت لغات الإشارة المختلفة بين الصم على مدى مئات السنين. وربما منذ فترة أطول من ذلك بكثير.

لا أحد يعرف متى وجدت لغة الإشارة. ربما كان هناك شكل مبكر للإشارة عندما تطور الدماغ البشري بما يكفي لجعل اللغة ممكنة. رأينا في الفصل 15 إن الكائنات التي عاشت قبل أكثر من 30 ألف سنة لم تكن لديها القدرة المادية على صنع العديد من الأصوات الصوتية. لكن كان يمكنهم استخدام أيديهم. ربما كانوا قادرين على استخدام أيديهم لصنع الإشارات.

إنه شيء طبيعي جدًا أنْ تفعل ذلك. لدينا جميعًا إشارات يدوية قليلة يمكننا استخدامها للتعبير عن بعض المعاني الأساسية. يمكنني إعطاؤك فكرة رائعة لإظهار أن كل شيء على ما يرام. أنا يمكن أنْ ألوّح لك لأقول مرحبًا أو وداعًا. يمكنني أنْ أهزّ قبضتي إذا كنت غاضبًا. لكن هذه كلها مفاهيم بسيطة جدًا، ولا توجد العديد من الإيماءات التي نستخدمها بانتظام بهذه الطريقة. بضع عشرات، فقط. لا نستطيع أنْ نقول الكثير عن ذلك.

هناك عدد قليل من الوظائف حيث يضطر الناس إلى تطوير إشاراتهم بشكل أكثر اكتمالاً. نحن نرى الحكام يقومون باستخدام أذرعهم وأيديهم للإشارة إلى الاتجاهات للاعبين، كما هو الحال في لعبة الكريكيت، حيث أن الإصبع الواحد إلى أعلى يعني إن رجل المضرب قد خرج وأن عليه مغادرة الملعب. يتحكم المايسترو بعازفي الأوركسترا من الموسيقيين من خلال حركاته. يجب على

الأشخاص الذين يعملون على مسافة من بعضهم البعض أن يخترعوا إشارات خاصة إذا كانوا يريدون التواصل. كذلك يفعل الأشخاص الذين يعملون في بيئة صاخبة، مثل مصنع في مكان تكون فيه أصوات المعدات والمكائن مرتفعة للغاية، أو رجال الإنقاذ حول حمام سباحة مملوء بأطفال المدارس.

لكن الإشارات في هذه المواقف موجودة لحل مشكلة (محلية). لا تستخدم العلامات كثيرًا في أماكن أخرى. لن يكون من الجيد إذا كنت أرغب في مغادرة شخص للغرفة أن ارفع إصبعي في الهواء. فهو لا يعلم ما أقوم به. ولن يكون ذلك مفيدًا كثيرًا إذا حاولت الحصول على مجموعة من الأصدقاء للتصرف بطريقة معينة من خلال التلويح بذراعي حولهم مثل قائد أوركسترا. ربما كانوا سينبذونني إذا بدأت في فعل ذلك.

إذن هذه الأنواع من الإشارات لا تشبه اللغات الحقيقية. تحتوي اللغات الحقيقية على آلاف الكلمات التي يمكن ضمها معًا لتكوين الآلاف من الجمل التي تتحدث عن أي شيء نريده. العلامات المستخدمة من قبل الحكام وسائقي الرافعات محدودة للغاية في نطاقها ومعناها. لن يكون من المفيد أنْ أطلب من حكم كرة القدم أو المايسترو أنْ يستخدما إشاراتهما لشرح كيف يعمل محرك السيارة أو أنْ يقولا ما هي أكثر أغاني البوب مبيعًا.

هذا هو الفرق الكبير في لغات الإشارة المستخدمة من قبل الصم. تستخدم لغة الإشارة عند الصم للتعبير عن نفس النوع من الأفكار المعقدة التي يرغب الأشخاص في التعبير عنها عند

التحدّث أو الكتابة. لغة الإشارة عند الصم فيها عدة آلاف من الإشارات، والتي يمكن استخدامها بالتسلسل للقيام بنفس وظيفة جمل اللغة المنطوقة والمكتوبة. وعندما نرى في شاشة التلفزيون مذيعين يتكلمون بلغة الإشارة، فإنهم يترجمون كل ما يسمعونه بلغة الإشارة ويعملون بسرعة كبيرة.

هناك نوعان من الأشياء المهمة حقًا لتتذكرها حول لغات الإشارة للصم. أولاً، الأشخاص الصم لا يأخذون كلمات من اللغة المحكية ويترجمونها إلى علامات. من الممكن اختراع لغة الإشارة الصم التي تتبع كلمات الكلام – وهذا ما تم إجراؤه عدة مرّات – ولكن نوع الشيء الذي نراه على شاشات التلفزيون لا يعمل على هذا النحو. وتعبر اللافتات مباشرة عن معانيها، تشبه إلى حدٍ ما الطريقة التي تتبع بها لغة الرسوم logographic (كما رأينا مع الصينيين في الفصل 16).

إذا سمعني أحد مستخدمي لغة الإشارة أقول هذه الجملة:

The boy who won the long jump has also won the high jump

كما إن الصبي الذي فاز بالقفزة الطويلة فاز بالقفزة العالية.

لن نتمكن من رؤية علامات تدل على (the أل)، ثم (boy) صبي، ثم (who) الذي، وما إلى ذلك. ما نراه هو شيء مثل:

boy + win + past time + long jump + also + high jump

ولن تحتاج العلامات إلى الخروج بهذا الترتيب الخاص. في بعض الأحيان يتبعون ترتيب الكلمات للجملة الإنجليزية، لكن

في بعض الأحيان لا يفعلوا ذلك. الطريقة المعتادة للإشارة إلى عبارة (ما هو اسمك؟) في لغة الإشارة البريطانية هي:

اسمك + ماهو your name + what

جنبًا إلى جنب مع تعبير في الوجه يدل على الحيرة، مثل الحواجب المرفوعة.

الشيء الثاني الذي يجب تذكره حول لغات الإشارة الصم هو إنها مختلفة تمامًا عن بعضها البعض. مثلما لا نتوقع من شخص يتحدّث الإنكليزية فقط أن يفهم اللغة الصينية، لذلك لا يجب أنْ نتوقع من شخص يعرف لغة الإشارة البريطانية فقط أنْ يفهم لغة الإشارة الصينية. ولا يثير الدهشة، كما يبدو، شخصًا يعرف لغة الإشارة البريطانية فقط ولا يفهم حتى لغة الإشارة الأميركية. هاتان اللغتان ذهبتا في اتجاهات مختلفة للغاية على مدى المئتي سنة الماضية. هناك بعض العلامات المشابهة، لكنها ليست كافية لجعل اللغات مفهومة لبعضها البعض.

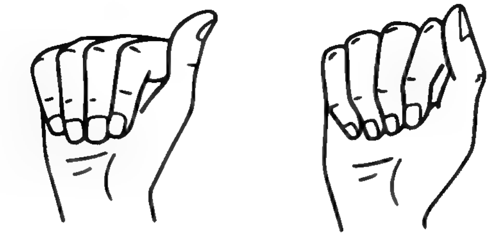
قبل بضع سنوات، كتب مارك ميدوف مسرحية (أبناء الصمت) عن العلاقة بين طالبة صماء ومدرِّسها، الذي يقع في حبها. وقد تمّ تحويلها إلى فيلم من بطولة ويليام هورت ومارلي ماتلين. تقرر عرض المسرحية في الولايات المتحدة الأميركية، بحيث يتم التواصل بينهما باستخدام لغة الإشارة الأميركية. ولكن عندما عرضت المسرحية في لندن، لم يستطع الصُمّ البريطانيون فهم الإشارات، وتطلب الأمر استخدام مترجم لغرض الترجمة من لغة الإشارة الأميركية إلى البريطانية.

قد تعتقد إن بعض الإشارات التي يستخدمها الصم ستشترك بها جميع لغات الإشارة في العالم. ماذا عن علامة (الفيل)؟ من المؤكد أن هذا سيحظى دائمًا بحركة يد توضح الجذع المميز؟ لكن في الواقع، هناك أكثر من طريقة يمكننا من خلالها إظهار الجذع. هل نبدأ من الأنف ونصنع شكلاً جانبيًا أم نحو الأمام؟ هل نجعل حركة اليد نزولاً أو صاعدًا؟ هل حركة اليد مستقيمة أم منحنية؟ هل شكل اليد مسطح أو في شكل حرف (C)؟ ما السرعة التي نصنع بها العلامة؟ من الواضح أن هناك العديد من الاحتمالات، حتى في حالة وجود شيء يسهل رؤيته كحيوان الفيل. وعندما نبدأ التفكير في أفكار مثل garden (الحديقة) أو blue (الأزرق)، أو argue (الجدل)، من الواضح أن لغات الإشارة المختلفة ستعبر عنها من خلال العديد من الطرق المختلفة.

هناك حاجة إلى جميع المفاهيم الهامة التي نستخدمها في دراسة اللغة المنطوقة والمكتوبة فيما يتعلق بلغة الإشارة أيضًا. على سبيل المثال، سنجد لهجات ولكنات، تمامًا كما رأينا في الفصل 12.

الأشخاص الصُم من جزء واحد من بلد ما سيكون لديهم علامات قليلة تختلف عن تلك المستخدمة في أماكن أخرى. وإذا ذهب شخص من بريطانيا إلى الصين، وبدأ في تعلّم لغة الإشارة الصينية، فإنه سيتعلّم الإشارات الصينية ولكن ربما ليس بالطريقة الصينية بالضبط. على سبيل المثال، قد تكون علامة (الأب)، التي تتضمن إغلاق الأصابع على كف اليد، معمولة بأصابع عالية جدًا ومتوترةً، كما في الرسم على اليسار (انظر

الصفحة التالية)، أو مع الأصابع مقبوضة قليلاً ومسترخية، كما في الرسم على اليمين:




هناك العديد من الاحتمالات الأخرى. من المحتمل أنْ يقوم بها شخص بريطاني بأصابع مسترخية، وسوف ينظر لها شخص صيني أصم على إنها لهجة أجنبية.

كل ذلك يعني شيئًا واحدًا. لا تتصور أبدًا إن إشارات الصُم هي مجرد مجموعة من الإيماءات البدائية. إنها معقدة ومفيدة وجميلة مثل أي لغة منطوقة أو مكتوبة.

التهجئة بواسطة الأصابع

ماذا عن الأسماء؟ كيف يشير شخص أصم إلى اسم (ديفيد كريستال) بلغة الإشارة، أو إلى اسمك، أو البلدة التي تعيش فيها؟ لن تكون هناك علامات منفصلة لهذه المفاهيم، لأن هناك الكثير منها، مئات الآلاف من أسماء الأشخاص والأماكن.

الحل هو تهجئتها باستخدام الأصابع. يمكن لأي شخص أنْ يتعلم تهجئة الأصابع، ولكن هناك نظامين، اعتمادًا على ما إذا كنا نفعل ذلك بيد واحدة أو اثنتين. إنه سريع التعلم، ويمكن استخدامه على الفور لتهجئة أي كلمة، ليس فقط أسماء الأشخاص والأماكن، ولكن أيضًا الكلمات غير المعتادة، مثل مصطلح غير واضح في الكيمياء.

إنها تعمل بشكل بطيء نوعًا ما. من الصعب تهجئة أكثر من 300 حرف في الدقيقة (والتي ستكون حوالي 60 كلمة). وهو أمر ليس مفيدًا كثيرًا للأطفال الصغار الذين لم يتعلموا التهجئة بعد! ولكنه مفيد للغاية إلى الحد الذي لا يستطيع فيه الصُم الاستغناء عنه، ويتعلموا التسريع عن طريق اختصار بعض الكلمات، مثلما يفعل مدونو الرسائل النصية.

الكلمة اليونانية التي تعني (الإصبع) هي (dactulos)، والكلمة التي تنتهي بـ (ology) تعني (علم).

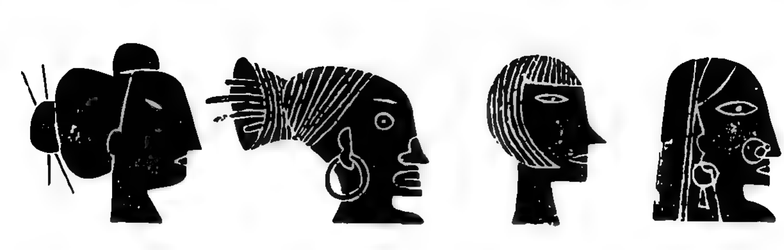
لذلك فان الاسم العلمي لـ (تهجئة الأصابع) هو dactylology وتلفّظ: (dak til ol o gee).

يستخدم النظام البريطاني أصابع كلتا اليدين لتهجئة الحروف، ويتم استخدامه في المملكة المتحدة وأيرلندا وأستراليا

ونيوزيلندا وعدد قليل من البلدان الأخرى أما النظام الأميركي فيستخدم أصابع يد واحدةٍ ويُستخدم هذا النظام أساسًا في الولايات المتحدة وكندا (ولا يهم أيُّ اليدين تستخدم. فهذا يعتمد على ما إذا كان أعسرًا أو يستخدم اليد اليمنى).

النظام البريطاني	النظام الأميركي
A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z	A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z

الفصل التاسع عشر





المقارنة بين اللغات

تشترك جميع لغات العالم البالغ عددها ستة آلاف لغة أو نحو ذلك في عدة أمور. فهي جميعًا تتكون من جمل. وتحوي جميعها على الأسماء والأفعال. وجميعها تضم حروف علة وحروفًا صحيحةً. وتحوي جميعها على الإيقاع والتنغيم. ولكن عندما نبدأ في تعلّم لغة أجنبية، فإن الاختلافات هي التي تسبب المشاكل. من الطبيعي أنْ يعتقد المرء إن الآخرين يتحدثون لغتهم بالطريقة نفسها التي نتحدّث بها. ثم نكتشف أن الواقع مختلف للغاية.

ربما نلاحظ الأصوات غير المألوفة أولاً، وربما نواجه بعض الصعوبة في جعل فمِنا يلفظها بشكل صحيح. على سبيل المثال، اللغة الإنكليزية لا تحتوي على صوت [ch] الذي يُستخدم في كلمات مثل كلمة (loch) التي تعني بحيرة (lake في اللغة الغالية)

وكلمة bach التي تعني قليل (little) في اللغة الويلزية، لذلك عادة ما يستبدله المتحدثون بالإنكليزية بصوت [k] وتصبح هذه الكلمات تبدو مثل كلمتي lock (قفل) و back (رجوع). لكن الأمر لا يتطلب سوى القليل من الممارسة لنطقها بشكل سليم.

ورغم ذلك، مع بعض اللغات، يمكن أنْ يستغرق الأمر بعض الوقت قبل أنْ ندرك ما يفعله الذين يتكلموها. هذا هو أحد الأسباب التي تجعل الناطقين باللغة الإنكليزية يعتبرون اللغة الصينية لغة صعبة في البداية. يتحدث الصينيون بطريقة (تأدية أغنية)، بالنسبة للآذان التي تعودت على اللغة الإنكليزية. لماذا؟ لأن اللغة الصينية تستخدم لحن الصوت للتمييز بين الكلمات، وهذا لا يحدث في اللغات الأوروبية.

في اللغة الإنكليزية، إذا قلت كلمة مثل mother (الأمّ) بصوت عال أو منخفض، لا يوجد فرق في معنى الكلمة. ما تزال هي ذاتها كلمة (الأمّ). ولكن في اللغة الصينية، وكذلك في العديد من اللغات الأخرى التي يتكلم بها السكان في بلدان الشرق الأقصى، يمكن أنْ يغير الفرق في درجة نبرة اللفظ من معنى الكلمة تماماً. فالكلمة (ma)، إذا قيلت بصوت عالٍ ونغمة معتدلة، فانها تعني (الأمّ). ولكن إذا قلت كلمة (ma) بصوت منخفض مع انحدار عميق متبوعٍ بارتفاع في النغمة، فهنا تعني (الحصان). تسمى هذه الاختلافات في اللحن (نغمات). فنحن نقول إن اللغة الصينية هي (لغة النغمات). من المهم جدًا إتقان النغمات، وإلّا سينتهي بنا المطاف إلى أن ننادي والدتنا بكلمة حصان!

الشيء الآخر الذي نلاحظه بسرعة كبيرة، عندما نبدأ في تعلّم إحدى اللغات، هو القواعد غير المألوفة. في بعض الأحيان يكون ترتيب الكلمات سببًا في تكوين جملة مختلفة. في اللغة الإنكليزية يمكننا أنْ نقول: Sian is in the kitchen (شان في المطبخ). أما في ويلز، فسوف نقول: Mae Sian yn y gegin، وتنطق هكذا: (uhn uh geg in my shaha). إذا قمنا بترجمة هذه العبارة كلمة بعد كلمة، فستظهر هكذا: Mae Sian yn y gegin (هل إن شان في المطبخ).

عند الإدلاء ببيان، فإن المتكلمين باللغة الويلزية يضعون الفعل في بداية الجملة. اللغة الإنكليزية تضعه في المنتصف. بعض اللغات، مثل الهندية، تضعه في النهاية.

مثال آخر. في بعض اللغات، توضع الصفات قبل الاسم. في لغات أخرى، توضع بعد الاسم. اللغتان الإنكليزية والألمانية هما اللغتان اللتان تضعان معظم صفاتهما قبل الاسم: Black cat a (قطة سوداء)، وفي الألمانية: ein schwarze Katze تنطق (shvahrtsuh katsuh). في الفرنسية (وأيضًا الويلزية) توضع أكثر الصفات بعد الاسم: un chat noir تنطق بـ (uhn sha nwahr) قطة سوداء.

واحدة من أكبر الاختلافات في القواعد التي يلاحظها المتحدثون باللغة الإنكليزية هي إذا كانت اللغة الجديدة تشير إلى المعاني من خلال تغيير نهايات كلماتها. يحدث هذا في بعض الحالات فقط في اللغة الإنكليزية، كما في الحالات التالية:

- يمكننا تغيير معظم الأسماء من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع بإضافة الحرف (s) مثل: (dog) تصبح (dogs).
- يمكننا تغيير الصيغة الزمنية لأغلب الأفعال من الحاضر إلى الماضي بإضافة (ed): I walk امشي لتصبح (I walked مشيت).
- يمكننا مقارنة العديد من الصفات عن طريق إضافة (er) أو (est):

(small صغير)، (smaller أصغر)، (smallest الأصغر).

وإلى جانب ذلك توجد مجموعة قليلة فقط من هذه الحالات.

وسيصبح الأمر كمفاجأة، عندما نجد لغاتًا تحتوي على عشرات أو حتى مئات من نهايات الكلمات. اللاتينية، التي يتحدث بها قدماء الرومان، هي مثال على ذلك. ففيها جمل مثل هذه: Canis vidit puerum الكلب رأى الأولاد، و Puer vidit canem رأى الصبي الكلب.

عندما ينظر الكلب إلى الأولاد، فإن الكلمة اللاتينية لها نهاية مختلفة عما إذا كان الأولاد هم من ينظرون إلى الكلب، فتكون (canis) بدلاً من (canem). وعندما يقوم الولد بالنظر إلى الكلب، فإن الكلمة اللاتينية لها نهاية مختلفة عما إذا كان الكلب هو الذي ينظر إليه، فتكون (puer) بدلاً من (puerum). تسمى هذه النهايات بالحالات cases، وفي اللاتينية تتغير حالة الاسم اعتمادًا على كيفية استخدامه في الجملة. لا توجد طريقة سريعة لتعلم الحالات. عليك فقط أن تتعلمها عن ظهر قلب.

عند استخدام لغة مثل اللاتينية، نعرف (من يفعل ذلك) من خلال الانتباه إلى نهايات تلك الكلمات. ترتيب الكلمات في الجملة ليس مهماً. وهذا يجعل اللغة اللاتينية نوعًا مختلفًا تماماً عن اللغة الإنكليزية، حيث يعتبر ترتيب الكلمات أمرًا بالغ الأهمية. في اللغة الإنكليزية، يأتي الاسم الذي يؤدي هذا الإجراء أولاً في الجملة؛ ثم يأتي الاسم الذي يتلقى الإجراء أخيرًا. إذن، هذه الجملتان تعنيان أشياء مختلفة جدًا:

رأى الكلب الولد The dog saw the boy

الصبي رأى الكلب the boy saw the dog

لكن في اللغة اللاتينية، يمكننا وضع الكلمات بأي ترتيب نرغب فيه، لأن معنى (مَنْ يفعل)، يشير إلى النهايات. إذن هذه الجملتان تعني نفس الشيء:

puer vidit canem
canem vidit puer

في كلتا الحالتين، فان الصبي هو الذي يقوم بالرؤية والكلب هو الذي تتم مشاهدته.

عادة ما يستغرق الأمر وقتًا طويلاً لملاحظة الاختلافات في المفردات. هذا لأنه، للوهلة الأولى، يبدو أن معظم الكلمات تعمل بنفس طريقة اللغة الإنكليزية. كلمة (table) (الجدول) في اللغة الأسبانية هي (mesa). وفي الألمانية هي (Tisch). كل هذا يبدو واضحًا جدًا. خذ كلمة وترجمها إلى لغة أخرى، وكل شيء سيكون بخير.

ولكن سرعان ما سنلاحظ أن الأمر ليس بهذه السهولة. بعض الكلمات تحاول خداعنا. عندما نتعلم اللغة الفرنسية، سنلتقي بكلمة (demander) طلب. تبدو هذه الكلمة تماماً مثل نظيرتها في اللغة الإنكليزية demand (الطلب)، لذلك نعتقد بطبيعة الحال أن هذا هو ما تعنيه. في الواقع لا. انها تعني ask (اسأل).

يطلق على كلمات مثل (demander) اسم (أصدقاء مزيفون). في الظاهر هي تبدو لطيفة ومألوفة. لكن عندما نتعمق في معناها، يتبين أننا لا نعرفها على الإطلاق. كل اللغات تعطينا بعض الأصدقاء الزائفين. تجوّل في أنحاء المدينة في إيطاليا، وعاجلاً أو لاحقًا سترى مكانًا يسمى (libreria). هل هي مكتبة؟ لا، إنها محل لبيع الكتب. كلمة (مكتبة) تختلف تماماً: (biblioteca).

ونجد أيضًا أن بعض الكلمات لا تتطابق مع بعض في طريقة واحدة سهلة. في بعض الأحيان، يمكن ترجمة كلمة إنكليزية بكلمتين مختلفتين أو أكثر في اللغة الأجنبية. على سبيل المثال، يمكن ترجمة كلمة know (معرفة) على أنها (savoir) أو (conaaitre) باللغة الفرنسية. إذا كنا نعرف حقيقة أو معلومة عن كيفية عمل شيء ما، يجب أنْ نستخدم صيغة من صيغ كلمة (savoir). أما إذا كنا نعرف شخصًا، يجب علينا استخدام صيغة من صيغ (connaître). لا يمكننا أنْ نقول بالفرنسية: je sais Marie تنطق (zhuh say Marie) أعرف ماري

يجب أنْ نقول: je connais Marie تنطق (zhuh konay Marie) أعرف ماري

في بعض الأحيان نجد الوضع معكوسًا: يمكن ترجمة كلمة أجنبية بكلمتين أو أكثر من الكلمات الإنكليزية. لنبقى مع الفرنسية. يعرف معظم الناطقين باللغة الإنكليزية أن (je t'aime) تعني (أنا أحبك) باللغة الفرنسية. لكن (aime) يمكن أنْ تعني أيضًا (الإعجاب). لذا يمكننا القول بأننا (aime) معجبون بالشوكولاتة أو السباحة أو ابن عمنا. كيف يعرف الفرنسيون الفرق؟ إذا قال أحدهم إنه (aime) لك، فهل هو معجب بك أم يحبك؟ عادةً ما يكون واضحًا من طريقة استخدام الكلمات الأخرى في الجملة، أو من نبرة الصوت، أو بالطبع، من الأفعال التي ترافق الحدث. إذا كان بطل الفيلم السينمائي يقول (Je t'aime) ويمنح شخصًا ما قبلة طويلة مملؤة بالعاطفة، فهذا لا يعني فقط (أنا معجب بك)!

المحادثات نفسها يمكن أنْ تسبب مشاكل. في اللغة الفرنسية، كلمة (شكرًا لك) هي كلمة (merci) تلفظ (mare see). الآن، تخيل أنك في مقهى ويسألك شخص ما إذا كنت تريد فنجانًا من القهوة. في اللغة الإنكليزية، قد تكون المحادثة كما يلي:

هل ترغب في فنجان قهوة؟ Do you want a coffee?

شكراً لك Thank you

وبعد بضع دقائق ستجد القهوة أمامك. ولكن إذا قلت هذا باللغة الفرنسية، ستكون النتيجة مختلفة تمامًا: Voulez vous un café؟ تنطق (voolay vooz uhn kafay) فتجيب merci.

لن تحصل على أي فنجان قهوة. هذا لأن (merci) بمفردها تعني (كلا شكرًا). أنتَ ترفض.
إذا كنت تريد أنْ تقول (نعم)، يجب عليك أنْ تقول (نعم) (oui) أو أرجوك (Please) (s'il vous plaît). أو ((yes thanks oui merci)) نعم أشكرك، أو ما شابه.

نحن نقول (please من فضلك) كثيرًا عندما نتحدث الإنكليزية. يزرعها فينا آباؤنا منذ سن مبكرة جدًا. لكنها لا تعتبر في العديد من اللغات الأخرى، كلمة مهمة. يمكننا أنْ نكون مهذبين دون أنْ نقول كلمة (please). في الأسبانية، على سبيل المثال، كلمة (من فضلك) هي (por favor) تنطق بـ (pawr favawr)، لكنك لن تسمع الأسبان يقولونها بشكل روتيني في المتاجر عندما يطلبون أشياء. إذا سمعت أحدهم يقول (por favor)، فذلك لأن المتحدث كان يشعر بنفاد الصبر أو الإصرار (أسرِعْ، من فضلك)!

هناك الكثير من الأشياء الخلافية في المحادثات مثل هذه. في اللغة الإنكليزية، لا نبدأ بقول good afternoon (مساء الخير) حتى الساعة 6 أو 7. أما في اللغة الإيطالية، فأن العبارة المكافئة لها (buona sera)، وتنطق (bwohnasayra) تقال أكثر من مرّة، من 4 إلى 5 ساعات. في اللغة الإنكليزية، لا نقول good morning (صباح الخير) بعد الساعة 12. ظهرًا في اللغة الفرنسية، يقولون: (كلمة bonzhoor) لـ (صباح الخير) ويتابعون قولها في فترة ما بعد الظهر أيضًا. يُجري الناس محادثات فيما بينهم في جميع اللغات، ولكنها لا تبدأ جميعًا بذات الطريقة بالضبط.

كم عمرك؟

في اللغة الإنكليزية، عندما نلتقي بأشخاص لأول مرة، هناك بعض المواضيع التي يمكننا التحدّث عنها، مثل الطقس، أو أي جزء من البلد أتوا منه. لا نسألهم ما إذا كانوا متزوجين، أو كم يكسبون، أو كم هو عمرهم.

نحن نتعلّم هذه القواعد المبكّرة في وقت مبكر جدًا في الحياة، في سن الثالثة تقريبًا. في حفل عيد ميلاد جيمي الرابع تسأله العمة آن: (كم عمرك؟) فيجيب (أربعة)، ثم يقول لها: (كم عمرك؟) فيضحك الجميع. جيمي يبدو لطيفًا جدًا. لكن العمة آن لا تقول شيئًا وتدريجيًا، يتعلّم جيمي إن شيئًا واحدًا لا يجب عليك فعله هو أن تسأل السيدة عن سنها! إن جيمي الصغير ليس هو الوحيد في المملكة المتحدة. هذه واحدة من قواعد المحادثة المهذبة التي توجد في الثقافات واللغات في أجزاء كثيرة من العالم. لكن ليس في كل مكان. في بعض الثقافات الآسيوية، تكون الأسئلة حول العمر أو الأرباح طبيعية تمامًا.

إنها الطريقة الوحيدة لنبدو ودودين.



الفصل العشرون



اللغات الميتة

الكلام والكتابة والإشارة هي الطرائق الثلاث التي تعيش بها اللغة وتتنفس. هي الوسائط الثلاثة التي تنتقل عبرها اللغة من جيل إلى جيل. إذا كانت اللغة متعافية، فان هذا يحدث على مر الزمن. ينقل الآباء لغتهم إلى أطفالهم، الذين يمررونها لأطفالهم... وهكذا تبقى اللغة حية.

لغات مثل الإنكليزية والأسبانية والصينية هي لغات متعافية. توجد فيها النماذج المنطوقة والمكتوبة ونموذج الإشارة، ويستخدمها مئات الملايين من الأشخاص في جميع أنحاء العالم. لكن معظم الستة آلاف لغة أو أكثر من لغات العالم ليست في حالة صحية كهذه. يتم استخدامها من قِبل عدد قليل جدًا من

الأشخاص. الأطفال لا يتعلموها من والديهم. ونتيجة لذلك، تتعرض اللغات لخطر الموت.

متى تموت اللغة؟

تموت اللغة عندما يموت آخر شخص يتكلمها. وهذا يحدث في أجزاء كثيرة من العالم. هناك عدة عشرات من اللغات التي لا يتكلم بها سوى شخص واحد. وعدة مواقع أخرى حيث يكون المتحدثون بضع عشرات أو أقل. على سبيل المثال، العديد من اللغات التي تتحدث بها الشعوب القبلية في البرازيل أو إندونيسيا لا يتكلمها سوى عدد قليل من البشر.

اللغات التي لديها عدد قليل من المتكلمين، والتي من المرجح أنْ تموت قريبًا، تسمى اللغات المهدّدة بالانقراض. معظم اللغات المهدّدة بالانقراض يتكلمها أشخاص يعيشون في البلدان التي تقع على جانبي خط الاستواء. هناك مئات اللغات في جنوب شرقي آسيا، وفي بلدان مثل بابوا غينيا الجديدة. هناك مئات أخرى في الهند وأفريقيا. وهناك الكثير في أميركا الجنوبية. هذه هي الأماكن التي تموت فيها اللغات بسرعة كبيرة.

لكن يمكننا العثور على لغات مهددة بالانقراض في أي مكان. معظم لغات الهنود الحمر في أميركا الشمالية معرضة للخطر. وكذلك اللغات السلتية في بريطانيا وأيرلندا وفرنسا. يتكلم القليل والقليل من الناس لغة الغال، واللغة السلتية في إسكتلندا. وقد توفي آخر المتحدثين الأصليين للغة مانكس، لغة جزيرة مان، منذ عدة عقود.

ربما تموت نصف لغات العالم في المئة سنة القادمة. هذا يعني إن 3000 لغة ستختفي في غضون 1200 شهر. وباحتساب معدل هذا التغير، سنجد أن هناك لغة تموت في مكان ما في العالم كل أسبوعين أو نحو ذلك. هذا أسرع بكثير من أي شيء حدث في الماضي.

لا يستجد شيء في لغة تحتضر. تختفي اللغات دائمًا عندما يتوفى الناس الذين تحدثوا بها. قبل ألفي عام كانت هناك العديد من اللغات في جميع أنحاء الشرق الأوسط والتي لم تعد موجودة اليوم. فكر في كل الشعوب التي اخترعت أنظمة الكتابة التي وصفتها في الفصل 16، مثل الحثيين والآشوريين والبابليين. هذه الثقافات جاءت وذهبت، على مدى آلاف السنين، عندما هزم أحدهم الآخر، واختفت اللغات مع الشعوب.

نحن نعرف شيئًا عن هذه اللغات القديمة لأن البعض منها تمّ تدوينه. لسوء الحظ، لم يتم تدوين العديد من لغات الماضي أبدًا، لذا فقد اختفت إلى الأبد. وما زال الأمر على هذا الحال اليوم. لم يتم تدوين حوالي 2000 لغة من لغات العالم. وإذا ماتت قبل أنْ يحصل اللغويون على فرصة لتدوينها، فإنها سوف تختفي إلى الأبد.

عندما تندثر ثقافة شعب ما، فإنها تترك وراءها أدلة على طريقة عيش الناس. يمكن لعلماء الآثار التنقيب عن جميع أنواع الأشياء، الأواني، الهياكل العظمية، القوارب، العملات المعدنية، الأسلحة، قطع المنازل، لكن اللغة المحكية لا تترك شيئًا وراءها

عندما تختفي. بعد كل شيء، كما رأينا في الفصل 4، الكلام هو فقط اهتزازات في الهواء. لذلك عندما تموت لغة منطوقة ولم يتم تدوينها أبدًا بطريقة ما، فتصبح كما لو أنها لم تكن موجودة.

لا يوجد شيء غير عادي في لغة تموت. لكن ما يحدث اليوم هو أمر استثنائي، عندما نقارنه بما حدث في الماضي. نحن نرى لغات تموت على نطاق واسع. والأمر يشبه قليلاً ما يحدث لبعض أنواع النباتات والحيوانات. إنها تموت أسرع من أي وقت مضى. لماذا يحدث هذا؟

تموت النباتات والحيوانات لأسباب مختلفة، مثل التغيرات في المناخ، وتأثير الأمراض الجديدة، أو التغييرات في طريقة استخدام الناس للأرض. وبعض هذه الأسباب تنطبق على اللغات أيضًا. حدوث كارثة طبيعية، مثل زلزال أو تسونامي، يمكن أنْ تدمر المدن والقرى، وتقتل العديد من الناس. ولكن إذا مات الناس، أو إذا كان مجتمعهم مدمرًا، فإن لغتهم سوف تموت أيضًا.

يمكن أنْ يكون البشر سبب موت اللغة. يمكن للصيادين قتل جميع الحيوانات المتبقية من نوع معين. ويمكن لقاطفي الثمار أنْ يقضوا على جميع النباتات المتبقية. ويمكن للحكومات أنْ تمنع الناس من استخدام لغتهم - كما رأينا في الفصل 13 - إذا تمّ حظر لغة ما، وحظر على الأطفال تعلمها، فإنها سرعان ما تموت.

لكن السبب الرئيس في تعرض الكثير من اللغات للخطر ليس مفاجئًا أو دراماتيكيًا مثل حدوث تسونامي أو تعرضها

للحظر. في معظم الحالات، يتوقف الناس عن استخدام لغتهم الأولى لمجرد أنهم قرروا استخدام لغة أخرى. هذا هو السبب، على سبيل المثال، في أن معظم الناس في ويلز يتحدثون الإنكليزية أو معظم الناس في مقاطعة بريتاني يتحدثون الفرنسية. على مر السنين، توقفت الأسر تدريجيًا عن استخدام لغة واحدة وبدأت في استخدام لغة أخرى.

لماذا فعلوا ذلك؟ يحدث ذلك عادةً لأن اللغة الجديدة تعِدهم بنوع أفضل من الحياة. على وجه الخصوص، سيحصلون على وظيفة أفضل إذا تعلموا اللغة الجديدة. فكر في (أفضل الوظائف) في البلد الذي تعيش فيه. كم منهم سيتمكن من القيام به إذا لم تكن تتحدث اللغة الرئيسة للبلد؟ لا أحد منهم.

الآن تخيل إنك عضو في قبيلة صغيرة في إفريقيا أو أميركا أو أستراليا قبل بضع مئات من السنين، عندما كان البريطانيون والأسبان وغيرهم يستعمرون العالم. يأتي المستعمرون ببنادقهم وطرق حياتهم الجديدة، ويسيطرون على بلدك. ويصبحون حكّامها لذلك إذا كنت ترغب في الحصول على موقع، في المجتمع الجديد، ليس عليك سوى أنْ تعرِف لغتهم. وعندما يحدث ذلك، من السهل جدًا ترك لغتك القديمة تتلاشى. أطفالك لا يهتمون بها، لأن اللغة الجديدة هي مفيدة حقًا. إنها مألوفة. ورائعة. لغتك القديمة هي بالتأكيد غير عادية. وتدريجيًا، تقع خارج نطاق الاستخدام.

لا يجب أنْ تكون الأمور بهذه الطريقة. يمكن للناس تعلّم لغة جديدة دون الاضطرار إلى فقدان اللغة القديمة. هذا هو كل ما يتعلق بثنائية اللغة، كما رأينا في الفصل الثالث عشر. ثنائية اللغة تتيح لك الحصول على الكعكة الخاصة بك وأكلها. اللغة الجديدة تفتح الأبواب لأفضل الوظائف في المجتمع. تتيح لك اللغة القديمة الحفاظ على إحساسك (بمن أنت). تحفظ هويتك. مع لغتين، لديك أفضل ما في العالمين.

في هذه الأيام، في كثير من البلدان، أدرك الناس ذلك. فهم يرون أهمية الحفاظ على التنوع اللغوي للعالم، كما يرون أهمية الحفاظ على تنوع النباتات والحيوانات. لقد لفتت المنظمات الدولية في العالم، مثل الأمم المتحدة، الانتباه إلى هذه القضية مرارًا وتكرارًا. لا يكفي مجرد الحفاظ على التراث (الملموس) للأرض كجميع الأشياء المادية التي نراها حولنا في الكون، مثل الصحارى والغابات والبحيرات والمعالم الأثرية والمباني. من المهم أيضًا الحفاظ على التراث (غير المادي)، والمقصود هو كل الأشياء التي تظهر طريقة عيشنا، مثل الموسيقى والرقص والمسرح والرسم والحِرف اليدوية، وخاصة اللغات.

كيف نحافظ على اللغات؟ يجب أنْ تتوفر ثلاثة عوامل للحفاظ على اللغة. يجب أنْ يرغب الناس أنفسهم بأن تحيا لغتهم. وأنْ ترغب حكومة بلدهم في مساعدتهم. ويجب توفر المال اللازم للحفاظ على استمرار اللغة. إنه عمل يكلف الكثير من الأموال. يجب توثيق اللغة من خلال كتابتها وتدوين قواعدها

وتأليف القواميس عنها. يجب تدريب معلمي اللغة، وطبع ونشر الكتب الخاصة بها، ونصب اللافتات في الشوارع، وإنشاء مراكز مجتمعية، وغير ذلك الكثير.

ولكن عندما يتم تطبيق العوامل الثلاثة جميعها، يمكن القيام بأشياء مذهلة. يمكن بث روح جديدة في اللغة. هذا المصطلح يسمى إحياء. وحينها يتم إحياء اللغة. لقد رأينا ذلك يحدث عدة مرات خلال السنوات الخمسين الماضية. على الأرجح فان القضية الأكثر شهرة.

هي إحياء اللغة العبرية لتكون بمثابة اللغة الرسمية في دولة إسرائيل الحديثة. كما أن أداء ويلز جيد للغاية، بعد فترة طويلة من التراجع. اليوم يتزايد عدد المتحدثين بلغتها، ويمكن رؤيتها على لافتات الشوارع ومحطات السكك الحديدية وحيثما تنقلت في ويلز.

في نيوزيلندا، تمّ الحفاظ على لغة الماوري من خلال نظام (أعشاش اللغة). هذه المنظمات التي توفر للأطفال دون سن الخامسة بيئة منزلية يتعرفون فيها بشكل مكثف على اللغة. جميع العاملين في هذه المنظمات يتكلمون لغة الماوري وقادمون من مجتمعات محلية. والأمل هو أنْ يحافظ الأطفال على مهارات الماوري الخاصة بهم بعد تركهم الأعشاش، وعندما يكبرون في السن سيساعدون أجيالاً جديدة من الأطفال الصغار على تعلّم اللغة.

حتى اللغة المنقرضة يمكن إعادتها إلى الحياة، إذا كانت الظروف مناسبة. يجب أنْ تكون مكتوبة ومدوّنة، أو مسجلة على شكل شرائط صوتية بطريقة ما، ويجب أنْ يعود الناس إليها بين حين وآخر. وقد حدث هذا مع لغة للسكان الأصليين في جنوب أستراليا التي تسمى Kaurna. توفي آخر المتحدثين الأصليين بها عام 1929، ولكن في الثمانينيات قررت مجموعة من أفراد الكاورنا Kaurna القيام بعملية إعادة حياة للغتهم من جديد. وكانوا يقولون: (إن لغتنا ليست ميتة)، بل كانوا يقولون: (إنها نائمة فقط) لحسن الحظ، نجت مواد من هذه اللغة تعود إلى القرن التاسع عشر حتى تمكن أحد اللغويين من تقديم شرح ووصف جديد لمفرداتها ومساعدة شعب الكورنا على البدء في تعلّم اللغة مرة أخرى. إنها تدرس في المدارس الآن. يومًا ما، ربما يبدأ بعض الأطفال في تعلمها باعتبارها لغتهم الأمّ.

إحدى المهام التي كان على اللغوي القيام بها هي تحديث المفردات. لغة الكورنا القديمة لم يكن لديها كلمات تشير إلى التليفزيون أو الهواتف المحمولة! هذا هو الشيء المتعلق باللغة: فهي لا تقف ساكنة. عندما ندرس اللغة، فإن أحد أهم موضوعاتها هو دراسة الطريقة التي يمكن تغيير اللغات من خلالها.

ثرثرة الببغاء

في عام 1801، كان أحد المستكشفين ويدعى ألكسندر فون هومبولت يقوم بالبحث عن مصدر نهر أورينوكو في أميركا الجنوبية. التقى بعض الهنود الكاريبيين الذين هاجموا في الآونة الأخيرة قبيلة مجاورة. لقد قتلوا جميع الأشخاص، لكنهم أحضروا ببغاوات القبيلة إلى الوطن معهم.

كانت الببغاوات تثرثر كثيرًا، مثل ما تفعل جميع الببغاوات. وعندما سمعها فون هومبولت تتكلم، أدرك إنها تتحدث بلغة الهنود الذين قُتِلوا. قرر أنْ يدون الكلمات، لكي يلتقط أصوات اللغة. لم يبقَ على قيد الحياة بشر يتحدث بتلك اللغة. كانت تلك الببغاوات هي الوحيدة التي جعلتها تبقى على قيد الحياة.

بعد قرابة 200 عام، قررت نحاتة أميركية تدعى راشيل بيرويك أنْ تجعل اللغة تنبض بالحياة مرة أخرى. قامت باقتناء اثنين من الببغاوات في أميركا الجنوبية وعلمتهما أنْ يرددا بعض الكلمات التي كتبها فون هومبولت. ثم وضعتهما في قفص كبير محاط بأوراق الشجر وأصداء الغابة، وعرضتهما في معرض. كانت الببغاوات تثرثر وهي سعيدة.

فجأة، ظهرت اللغة القديمة إلى الوجود مرة أخرى. على الرغم من أنها كانت فقط كلام ببغاوات، عند سماعك هذه القصة ستصيب الرعشة أسفل مؤخرة رقبتك.

الفصل الحادي والعشرين



التغيرات في اللغة

جميع اللغات الحيّة تتغير. هذا أمر ضروري. اللغات لا وجود لها بعيدًا عن الناس الذين يستخدمونها. ولأن الناس يتغيرون طوال الوقت، فان لغتهم تتغير أيضًا، لمواكبة ذلك التغير. اللغات الوحيدة التي لا تتغير هي اللغات الميتة. ومع ذلك، كما رأينا في الفصل العشرين، من الممكن إعادة لغة ما من القبر وجعلها حية – وتغييرها – مرة أخرى.

لماذا تتغير اللغة؟ في بعض الأحيان يكون السبب واضحًا. إذا اخترعنا شيئًا جديدًا، فنحن بحاجة إلى اسم له، وعند هذه النقطة، تدخل كلمة جديدة إلى اللغة. فكر في بعض الكلمات التي أصبحت مستخدمة على نطاق واسع في اللغة الإنكليزية

للتحدّث عن التطورات الجديدة خلال السنوات الأولى من هذا القرن. الكثير منها متعلق بالإنترنت:

Google, blogging التدوين، Texting الرسائل النصية، SMS الرسائل القصيرة، iPhone, instant message الرسائل الفورية، الفيسبوك Facebook، تويتر Twitter.

إذا استطعنا العودة بالزمن إلى عام 1990، والتحدّث مع الناس، فسيتعين علينا التأكد من إننا لم نستخدم أيًا من هذه الكلمات، لأنهم لن يعرفوا ما نتحدث عنه. دكتور هو (بطل أشهر المسلسلات البريطانية من إنتاج شركة بي بي سي الذي يتجول عبر الزمان والمكان) هو من عليه أنْ يواجه هذه المشكلة دائمًا!

سنلاحظ شيئًا آخر، ونحن نعود بالزمن. لن يفهم الناس كل كلماتنا. لكن في بعض الأحيان نحن لا نفهمهم. تخيل لو أن آلة الزمن عادت بنا، على سبيل المثال إلى عام، 1850. كنا سنسمع محادثات مثل هذه:

We're coming in our brougham. The Smiths will be in their clarence. And the Browns will probably come in a landau

نحن قادمون بواسطة brougham التي نملكها. وآل سميث سيأتون بواسطة clearence التي تعود لهم. وربما يأتي براون في landau الخاصة به.

ما هي brougham تلفظ (brooms) و clarences و landaus؟ إنها أنواع العربات ذات العجلات الأربع التي تجرها

الخيول، والتي كانت شائعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وتوقف الناس عن استخدامها عندما تمّ اختراع السيارات، على الرغم من إننا نراها في بعض الأحيان في مناسبات خاصة، مثلاً عندما تزور ملكة إنجلترا مضمار سباقات أسكوت (تقام فيه أشهر سباقات الخيول في بريطانيا ويحظى بجماهيرية واسعة).

الكلمات الجديدة تدخل حيز الاستخدام. ويتوقف استخدام الكلمات القديمة. هذا هو النمط الذي نراه في كل مجال من مجالات المعرفة البشرية وفي كل جزء من أجزاء المجتمع. الكلمات القديمة لا تختفي كليًا بالطبع. نراها في كل مرّة نقرأ فيها كتابًا قديمًا، ونسمعها عندما نذهب لمشاهدة مسرحية مكتوبة منذ زمن بعيد. يُطلق على العديد من الأشخاص في مسرحيات شكسبير اسم (arrant knaves). وهو شيء يشبه قول (مليئون بالشر) باللغة الإنكليزية الحديثة. توقف الناس عن قول كلمة (arrantknaves) قبل حوالي 300 عام. ولكن هذه الكلمات ما تزال موجودة في المسرحيات، تنتظر الممثلين ليبثوا حياة جديدة فيها.

المفردات هي المجال الذي نلاحظ فيه غالبًا الطريقة التي تتغير بها اللغة، لأن مئات الكلمات الجديدة تصل كل عام إلى اللغة. نحن لا نرى إلّا القليل منها في الحياة اليومية، معظم الكلمات الجديدة هي بالطبع مصطلحات تقنية تتعلق بالمجالات المتخصصة من المعرفة التي لا نعرف عنها شيئًا، أو هي كلمات عامية تستخدمها مجموعة صغيرة جدًا من الأشخاص.

ولكن في كل عام نجد أنفسنا نستخدم بعض الكلمات والعبارات التي لم نستخدمها من قبل. من الصعوبة أنْ تجد شخصًا قد سمع بمصطلح credit crunch (أزمة الائتمان) قبل عام 2008. (المقصود هو الأزمة المالية العالمية التي بدأت في أيلول 2008 والتي اعتبرت الأسوأ منذ زمن الكساد الكبير سنة 1929) ثم فجأة بات الجميع يستخدمونه. في كل عام، ينشر مؤلفو القواميس قوائم بأحدث الكلمات التي تدخل في اللغة الإنجليزية. على مدار السنوات القليلة الماضية، تضمنت قوائمهم كلمات مثل (sudoku) و(bling) و(plasma screen) و(blog). أتمنى لو أستطيع أنْ أعرف ما هي الكلمات الجديدة التي ستدخل إلى الإنكليزية في عام 2010. لسوء الحظ، أنا أكتب هذا الكتاب في عام 2009 ولا أستطيع أنْ أتنبأ بالمستقبل. ولكن في الوقت الذي تقرأه فيه، ستعرف.

يصيب التغيير كل قسم من أقسام اللغة. لا يتعلق الأمر بالكلمات فقط. فقواعد النحو تتغير. واللفظ يتغير. والطريقة التي نتحدّث بها مع بعضنا البعض تتغير. حتى التهجئة وعلامات الترقيم تتغير. ولكنها لا تتغير جميعًا بنفس الوتيرة.

عندما تدخل كلمة جديدة إلى لغة معينة، يمكن أنْ يتعلمها أي شخص ويبدأ باستخدامها في غضون أيام قليلة. وإذا ظهرت على مواقع الإنترنت، يمكن لملايين الأشخاص استخدامها في غضون ساعات قليلة. التغييرات في الأقسام الأخرى من اللغة

تستغرق وقتًا أطول. قد يستغرق الأمر 100 عام أو أكثر قبل أنْ يتم استخدام قاعدة لغوية جديدة من قبل الجميع.

لنعد مرّة أخرى بآلة الزمن إلى القرن التاسع عشر. بدأت الروائية جين أوستن، الكتابة في أوائل القرن التاسع عشر. وهذه جملة مأخوذة من إحدى رسائلها:

Jenny and James are walked to Charmouth this afternoon.

خرج جيني وجيمس للنزهة في غارموث بعد ظهر هذا اليوم.

لا يمكننا قول هذه الجملة اليوم. في هذه الأيام، علينا أنْ نقول:

Jenny and James walked to Charmouth this afternoon.

خرج جيني وجيمس للنزهة في غارموث بعد ظهر هذا اليوم.

لا يمكن لأحد أنْ يقول على وجه اليقين متى توقف استعمال (are walked) وتم استخدام التعبير الآخر. بدأ استخدامها يقل خلال القرن التاسع عشر، ثم اختفت.

على مدى المئتي سنة الماضية، حدثت الكثير من التغيرات الطفيفة في طريقة بناء الجمل. فيما يلي مثالان آخران للتعابير القديمة من جين أوستن. ماذا سنقول اليوم بخصوص هذه الجملة؟

Shall not you put them into our own room? Mr Murray's letter is come.

ألَا تضعهم في غرفتنا؟ وصلت رسالة السيد موراي.

أعتقد إننا سنقول

Won't you put them in our room Mr Murray's letter has come.

(ألَا تضعهم في غرفتنا؟) (وصلت السيد موراي).

يحتاج انتشار التغيير في قواعد اللغة في المجتمع إلى بعض الوقت. بادئ ذي بدء، يستخدم عدد محدود من الناس القواعد الجديدة، ثم يتزايد العدد، ويصبح بشكل بطيء طريقة جديدة للتحدّث والكتابة.

ولكن، كما هو الحال مع أي تطور جديد، لا يرحب به الجميع. غالبًا ما يكره الأشخاص الذين اعتادوا على طريقة التحدّث القديمة الطريقة الجديدة. وفي الواقع، يمكن أنْ يقفوا ضده، ويحاولون إقناع الجميع بعدم استخدامه، عادة عن طريق كتابة رسائل إلى الصحف أو تقديم شكوى إلى شركة البث في كل مرة يسمعون فيها الاستخدام الجديد في المذياع أو التلفزيون.

إنهم يضيعون وقتهم بالطبع. ينتشر الاستخدام الجديد عندما يقرر معظم الناس في مجتمع ما استخدامه. في حالة اللغة الإنكليزية، فإن هذا يعني الملايين والملايين من الناس. كتابة رسالة شكوى إلى BBC (هيئة الإذاعة البريطانية) قد تجعلك تشعر بتحسن، لكنها لن توقف التغيير الذي يحدث.

كما إن التغيرات في النطق تستغرق بعض الوقت لتنتشر في جميع أنحاء المجتمع، على الرغم من أنها لا تأخذ نفس وقت التغييرات في القواعد. إذا استمعنا إلى البرامج الإذاعية التي قدمت قبل 50 أو 60 عامًا، فسنستمع إلى عبارات لم تعد مستخدمة. ويمكننا عادة أنْ نسمع هذه التغيرات عندما نستمع إلى أشخاص

من أجيال مختلفة: نُطقنا لبعض الكلمات سيكون مختلفًا عن نطق آبائنا، ونطقهم يختلف عن نطق أجدادنا.

إليك مثال على ذلك. كيف تلفّظ كلمة schedule (جدول)؟ هناك احتمالان في اللغة الإنكليزية البريطانية. إما تلفظ مثل (sked youll)؛ وهذه هي الطريقة التي تلفظ بها الكلمة في الولايات المتحدة. والأخرى تبدو مثل (shed youll)، هذه هي الطريقة التقليدية التي تُلفظ فيها في بريطانيا. لكن الشبان في بريطانيا عادة ما يقولون (sked youll)، هذه الأيام. معظم كبار السن يقولون (shed youll). إنه تغير يحدث في اللغة الإنجليزية على مدار العقود القليلة الماضية. في أحد الأيام، سيقول الجميع في بريطانيا (sked youll)، وسيتم نسيان نطق (shed).

كلما يحدث تغيير، سيلاحظه الناس، وكما هو الحال مع القواعد، قد يقولون إنهم لا يحبون الاستخدام الجديد. لكن بعد فترة من الزمن، يعتاد الجميع على الطريقة الجديدة لقول شيء ما. هذا ما حدث لكلمة balcony (شرفة). قبل مئتي عام، كان الناس يلفظون هذه الكلمة هكذا (bal coh nee)، مع الضغط على (coh). لو كنّا على قيد الحياة في منتصف القرن التاسع عشر، كنّا قد سمِعنا أشخاصًا يتجادلون حول ما هو النطق الصحيح، ذلك النطق، أم النطق الجديد المألوف لـ (bal conee).

بعد مرور عقود قليلة، أصبح الجميع يلفظونها بالطريقة الجديدة. وأصبحت طريقة النطق القديمة من الماضي.

من مجالات اللغة التي تتغير ببطء هي نظام الكتابة، الطريقة التي نتهجى بها الكلمات ونكتبها ونرسمها. إذا نظرنا إلى كتاب طبع منذ قرن من الزمان، فلن نرى اختلافات كثيرة في الطريقة التي كتب بها الكاتب الكلمات أو الجمل المُرقّمة. ولكن ارجع إلى عامين أو ثلاثين عامًا وسنلاحظ على الفور بعض التغييرات. ما الذي يميز هذا الجزء التالي من الكتابة؟ إنه من دليل حول كيفية الكتابة، نشر في 1786.

Imitate the best Examples, and have a constant Eye at your Copy.

كانت الموضة السائدة في اللغة الإنكليزية في تلك الأيام هي كتابة الاسم بحرف كبير Capital letter، مثلما يفعل الألمان اليوم. وتدريجيًا، توقف الكتّاب عن القيام بذلك. واليوم، نستخدم الحروف الكبيرة في أماكن قليلة فقط.

– في بداية الجملة، لكلمة I (أنا)، ولأسماء الأشخاص والأماكن وما إلى ذلك. وأحيانًا أيضًا كنوع من المزاح، كما هو الحال عندما نضع ملاحظة مميزة جدًا A Very Special Point.

في ما يلي مثال من علامات التنقيط. لو كنت أعيش في عام 1900، فسيصلني خطاب معنون على النحو التالي:

Mr. David Crystal,
22, New St.
London, W.C. 1.

سأكون مندهشًا جدًا إذا تلقيت اليوم خطابًا يبدو عنوانه بهذا الشكل. الأكثر احتمالاً إنه سيكون بهذا الشكل:

Mr David Crystal
22 New St
London
WC1 2GG

لا توجد علامات تنقيط، والهامش الأيسر يكون في بداية السطر مباشرة. إنه أسلوب مشهور هذه الأيام. يجد الناس إنه يجعل الكتابة تبدو جلية وواضحة. الطريقة الحديثة تقوم على الحفاظ على الحد الأدنى من علامات التنقيط.

وأخيرًا، مثال على كيفية تغيير الطريقة التي نتحدّث بها مع بعضنا البعض، مع مرور الزمن. كيف نقول hello (مرحباً) لبعضنا البعض في هذه الأيام؟ كيف نقول goodbye (وداعًا)؟ لقد حلت كلمة (Hi) محل كلمة (hello) عند كثير من الناس الأصغر سنًا، وبشكل متزايد عند كبار السن أيضًا. وغالبًا ما يتم استبدال وداعًا بالتعبيرات مثل (bye) و see you later (أراك لاحقًا) و ciao. تشاو، إذا رجعنا بالزمن إلى الوراء، فإننا نرى اختلافات أكبر. في أيام شكسبير، كان الناس يقولون أشياء مثل Farewell (الوداع)، Fare you well (أستودعك الله) و(adieu) من الفرنسية، وتلفظ (add you) وداعًا. أو إذا أردت أنْ يكون أسلوبك منمقًا للغاية ستقول، (I do commend me to you) (اتركك بأمان). وكانوا يقولون أيضًا goodbye

(وداعًا)، إلّا أنها كانت في شكل يدل على أصل هذه الكلمة God bye، وهي (استودعك الله)، وهي اختصار لعبارة God be with you (اتركك في أمان الله). وهي طريقة جيدة لإنهاء هذا الفصل.

مرحباً؟

التكنولوجيا الجديدة تجلب دائمًا استخدامات جديدة، لكننا سرعان ما نتعود عليها. عندما تمّ اختراع الهاتف، كان على الناس أنْ يتدربوا على ما يقولونه عندما يرن. كان بعض الناس يصيح بأسمائهم بصوت عالٍ جدًا. أما البعض فكان يقول hello (مرحبًا؟) وآخرون كانوا يقولون whos this (من هذا؟) أما البعض فكانوا يقولون رقم هاتفهم.

في نهاية المطاف أصبح هناك نوع واحد من الردود هو الشائع. في بريطانيا، كان ينبغي أنْ نقول رقم هاتفنا. لكن الردود تختلف وفقًا للظروف. في هذه الأيام، خصوصاً على الهواتف الجوالة، غالبًا ما يقول الأشخاص hello (مرحبًا) أو (Hi) أو يذكرون اسمهم. في المكتب، حيث يعرف الجميع أي شخص آخر، قد يكون الرد بسيطًا (نعم). قد ينتج عن مكالمة هاتفية لشركة خدمات صيغة رد مثل: مرحبًا، هذه جين. كيف بإمكاني مساعدتك؟

كما أن أجهزة الرد الآلي لها قواعدها. يمكن أنْ تكون الرسائل رسمية ومهذبة جدًا أو غريبة تمامًا. لقد تركت مؤخرًا رسالة على جهاز تلقيت فيه التحية على الشكل التالي: ((مرحبًا، هذا هو Bugs Bunny. أنا لست موجودًا في الوقت الحالي...)).

لا تتوقع من البلدان الأخرى أنْ تفعل نفس الشيء. في الألمانية، عندما يرن الهاتف، يجيب الناس بلقبهم. في اللغة الفرنسية، عادة ما يقولون (Allo؟) في اللغة الإيطالية، يقولون (Pronto)، تعني (جاهز). وفي اللغة اليابانية، فان مرادف كلمة (مرحبًا) هي كلمة (موشي موشي).



الفصل الثاني والعشرين



التباين اللغوي

رأينا في الفصل الثاني عشر أن اللغة ليست هي ذاتها في كل مكان. فهي تظهر على شكل لهجات ولكنات مختلفة، تخبرنا من أي بلد، أو أي جزء منه، جاء مَنْ يتكلمون بها. هذه طريقة مهمة تختلف فيها اللغة. لكنها ليست الطريقة الوحيدة.

في الفصول الافتتاحية من هذا الكتاب، رأينا نوعًا آخر من التباين اللغوي، من حيث العمر. إذا استمعنا إلى تسجيل لأصوات أشخاص تتراوح أعمارهم من 1 إلى 100 سنة، فسيكون من الممكن تخمين عمرهم تقريبًا. وبالطبع لن نكون مصيبين تمامًا. ولكننا سنتمكن من معرفة إن الصوت (أ) كان لطفل صغير، (ب) لصبي مراهق، و(ج) لشخص في منتصف العمر، والصوت (د) لشخص أكبر عمرًا، وهكذا.

كيف يمكننا معرفة ذلك؟ القضية الرئيسة هي جودة الصوت. يمتلك الصغار أصواتًا عالية النبرة، كما رأينا في الفصل الرابع. ثم خلال فترة مراهقتهم، يتغير صوتهم، ويصبح أعمق وذو رنين أكبر. وينضج الصوت أكثر خلال العشرينيات والثلاثينيات من العمر. وفي سن الشيخوخة، يصبح أضعف وأكثر وهنًا، لأن العضلات التي تتحكم في الرئتين والطيات الصوتية لا تعمل بكفاءة.

هناك أدلة أخرى على عدد سنوات عمرنا. إذا قال أحد المتحدثين في أحد تسجيلاتنا thatis wicked (هذا شرير!) فهو يعني excellent (ممتاز)، كم سيكون عمر هذا الشخص؟ من المحتمل أنْ يكون شابًا، لأن (wicked) أصبحت تعني excellent بين الشباب فقط في السنوات الأخيرة. من ناحية أخرى، إذا سمعنا المتحدث يقول that's nifty (هذا أنيق) وهي تعني أيضًا excellent (ممتاز)، فمن المحتمل أنْ يكون هذا الشخص كبير السن، حيث كان هذا تعبيرًا شائعًا بالفعل منذ 60 عامًا. فالمفردات، واللفظ، وقواعد اللغة غالبًا ما تعطي أدلة على عمرنا. وممارسات التخاطب تفعل أيضًا. قد يرحب الحفيد بالجد بكلمة Hi (مرحبًا!)، لكنه ربما يحصل على Hello (مرحبًا) في المقابل.

ولعل أكثر الطرق وضوحًا في التي تظهر فيها اختلافات اللغة هي ما يظهر من فرق بين الجنسين. عادةً ما يكون من الممكن، من خلال الاستماع إلى الصوت، معرفة ما إذا كان صاحبه ذكرًا أم أنثى. طبقة الصوت تدل على ذلك، فهي تكون عالية عند النساء، ومنخفضة عند الرجال.

على الرغم من أننا نتفاجأ أحيانا، لأن بعض الرجال يمتلكون أصواتًا عالية النبرة وبعض النساء يمتلكن أصواتًا منخفضة النبرة.

في بعض اللغات، تختلف الطريقة التي يتكلم بها الرجال عن الطريقة التي تتحدث بها النساء. في اللغة اليابانية، على سبيل المثال، هناك بعض الكلمات والجمل التي يستخدمها الذكور فقط، وبعض الكلمات والجمل التي تستخدمها الإناث فقط. إذا كنت في مدرسة في اليابان، ورأيت رسالة في لوحة الإعلانات مكتوب فيها عبارة (boku...)، فستعرف إنه ربما من قام بكتابتها هو ولد، لأن هذه هي الكلمة التي يستخدمها الأولاد ليقولوا (أنا). إذا كانت الفتاة قد كتبت الرسالة، فمن المحتمل إنها ستكتب كلمة (watashi). يجب أنْ أقول (على الأرجح)، بالطبع، لأنه من الممكن دائمًا بالنسبة لفتاة تتشبه بالصبيان أنْ تقول (boku). ولكن عادةً، يتم استخدام الشكلين بشكل مختلف من الجنسين.

لا يوجد شيء مثل هذا في اللغة الإنكليزية. يستخدم الأولاد والبنات كلمة I (أنا). لا يوجد أي نوع من القواعد أو المفردات يستخدمه الأولاد فقط أو تستخدمه الفتيات فقط. من الأرجح أن يستخدم كل جنس كلمة واحدة أو بضع كلمات. من الأرجح أنْ تستخدم البنات كلمة so (هكذا)، على سبيل المثال، في جمل مثل We were so busy (كنا مشغولين للغاية) من الأرجح أنْ يستخدمن كلمات مثل (lovely محبوب) و super (ضخم)، ومثل صيغ التعجب هذه (goodnesme بمعنى خيرًا لي) أو Oh

dear (يا عزيزي). لكن هذه مجرد أساليب. من الممكن تمامًا أنْ يقول الأولاد Oh dear (أيضًا)، وغالبًا ما يفعلون ذلك.

الطريقة التي نتحدّث بها يمكن أنْ تخبر الآخرين أيضًا عن المجموعة العرقية التي ننتمي إليها، سواء كنا من البيض أو السود أو أي شيء آخر، أو ما إذا كانت عائلتنا قدِمت من جنوبي آسيا أو منطقة الكاريبي أو أفريقيا، أو من أي مكان آخر. إن الناس فخورون بجذورهم، وغالبًا ما يطورون طرقًا للتواصل تُشير إلى تلك الجذور.

الكلام الذي يستخدمه العديد من السود في الولايات المتحدة الأميركية ومنطقة البحر الكاريبي هو مثال جيد. سنسمع غالبًا جملًا مثل هذه، والتي تُظهر قواعد مختلفة عما هو معتاد في اللغة الإنجليزية القياسية: She go by bus هي تذهب بالحافلة (في اللغة الإنكليزية القياسية يقال: she goes by bus).

They fine إنهم بخير في اللغة الإنكليزية القياسية يقال:

They are fine

We be done washed the car soon

سننتهي من غسل السيارة قريبا (في اللغة الإنكليزية القياسية) يقال:

We will have washed the car soon

لا يستخدم كل السود أنماط الجملة هذه، ولا يستخدمها كلهم بنفس الطريقة بالضبط. لكن من غير المعتاد العثور على أشخاص بيض يستخدمونها.

لاحظ إنه ليس هناك استخدام للهجة إقليمية واحدة. يمكن أنْ يعيش شخصان طوال حياتهما في نفس المدينة في ولاية ألاباما في جنوبي الولايات المتحدة الأميركية، لكن أحدهما يقول: (we be done washed)، بينما يقول الآخر (we will have washed). كلاهما يتحدث الإنكليزية الأميركية ومن ولاية ألاباما. لكن نوع اللغة الإنكليزية التي يتحدثون بها مختلفة، لأن أحدهم أسود والآخر أبيض.

لقد التقينا بنوع آخر من التباين اللغوي في الفصل العاشر والحادي عشر والثاني عشر، عندما تحدثنا عن الاختلافات بين خطاب أفراد الطبقة العليا والطبقة الدنيا. يوجد في جميع المجتمعات أشخاصًا (من النخبة)، الملوك والرؤساء والنبلاء، وأولئك الذين لديهم وظائف مهمة، في الحكومة وعالم الأعمال. وتحوي جميع المجتمعات على أشخاص (بسطاء)، ذوي تعليم ضعيف، وقليل من المال، ولا توجد لديهم سلطة. في ما بينهما، قد تكون هناك فئات أخرى من الناس، يمكن تمييزها في بعض البلدان من الطريقة التي يرتدون بها ملابسهم أو يتصرفون بها، أو من خلال الوظائف التي يقومون بها، أو بالطبع، بالطريقة التي يستخدمون بها اللغة.

اللغة هي مؤشر قوي جدًا للطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها شخص ما. إذا كانت هناك انقسامات طبقية واضحة في المجتمع، فسوف تنعكس في الطريقة التي يستخدم بها الناس اللغة. على سبيل المثال، يتحدث بعض الأشخاص لهجة (راقية).

وأصحاب الشهادات العليا يستخدمون في الحديث والكتابة صيغة اللغة التي يعتقدون إنها (الأفضل)، وهي اللغة الإنكليزية القياسية، وينطبق هذا الأمر إلى حد كبير على سكان البلدان الناطقة باللغة الإنكليزية.

في الأيام التي كانت فيها الانقسامات في المجتمع البريطاني ملحوظة للغاية، لا يحتاج الأمر سوى كلمة واحدة لإظهار الفئة التي تنتمي إليها. إذا كنت من أفراد الطبقة العليا، فأنت تقول lavatory paper (ورقة المرحاض)؛ وإذا لم تكن منهم ستقول: toilet paper. وكان أفراد الطبقة العليا يتناولون luncheon (غداء)، وينظروا إلى أنفسهم في looking glass (مرآة)، ويأكلون vegetables (الخضراوات). أما بقية الناس فكانت هذه المفردات تختلف عندهم فهم يتناولون (dinner)، وينظرون إلى أنفسهم في (mirror)، ويأكلون (greens). ما تزال هناك اختلافات من هذا النوع حتى اليوم، لكنها أقل وضوحًا كثيرًا نظرًا لأن الفجوة بين الطبقات العلوية والدنيا ليست واضحة أو منتشرة كما كانت في السابق.

نوع آخر من التباين في اللغة يظهر العلاقات بين الناس بعضهم البعض، كيف نتحدّث مع الناس عندما نلتقي بهم؟ كل هذا يتوقف على مدى معرفتنا لهم، وما هي علاقتنا بهم. إذا كانوا أصدقاء، سنتحدّث معهم بطريقة مألوفة. إذا كانا صديقين حميمين، فسنكون أكثر حميمية. وإذا كنا لا نعرفهم على الإطلاق، فسنكون أكثر تكلفًا ورسميين أكثر.

فكرة جيدة لطبيعة العلاقة هي كيف نسمي بعضنا البعض. تخيل إنك تلتقي بشخص يدعى جون ويليامز. لدينا خيار مخاطبته بعدة طرق، وكل طريقة تقول شيئًا عن الروابط بيننا. بعضها شخصية وبعضها رسمية.

Hello, Mr Williams
Hello, John
Hello, Johnnie
Hello, Williams
Hello, J W
Hello, Nobber

من المفترض، في الحالة الأخيرة، إننا أصدقاء قدامى جدًا!

تختلف عدة لغات في التعبير عن صيغة المخاطبة لإظهار طبيعة العلاقة بين الأشخاص. في اللغة الفرنسية، على سبيل المثال، لدينا خيار (tu) أو (vous)، اعتمادًا على مدى قربنا من بعضنا البعض: (vous) هي الطريقة المعتادة للتعامل مع شخص ما ونستخدم (tu) عندما نعرفه جيدًا. إنها حالة مميزة في اللغة الفرنسية، عندما يشعر شخصان إنهما يمكن أنْ يقولا tu لبعضهما البعض.

نحن نقوم باختيارات مماثلة عندما نكتب إلى بعضنا البعض، مثال على ذلك عندما نقرر كيف نبدأ وننهي رسالة أو بريدًا إلكترونيًا. ما الذي ستخبرنا به بدايات الرسائل هذه عن العلاقة بين الكاتب والقارئ؟

Dear Jane	عزيزي جين
Dear Ms Smith	عزيزتي السيدة سميث
Dear Madam	حضرة السيدة
Darling Jane	عزيزتي جين
Yo, Janie baby	يا صغيرتي، جاني

التعبير الأول هو الطريقة العادية المهذبة. والثاني هو أكثر رسمية. والثالث غير شخصي للغاية، ربما أرسل جهاز كمبيوتر الرسالة! الرابع حميم. والأخير يشير إلى أننا (رفقاء طيبين).

وأخيرًا، تتأثر الطريقة التي نتحدّث بها أو نكتب بها أيضًا بالحالة الفعلية التي نجد أنفسنا فيها. في مكان مزعج، علينا أنْ نتحدّث بصوت أعلى لكي نسمع صوتنا. في الكنيسة، يتحدّث القساوسة بنبرة صوت خاصة. وفي المذياع، يجب على المذيعين أنْ يتحدثوا ببطء أكثر مما يتكلمون في المحادثة اليومية.

في بعض الأحيان، يجعلنا المكان نتحدث بطريقة خاصة. في المحكمة، على سبيل المثال، يجب على الناس مخاطبة القاضي بطريقة معينة، قائلين: (my lord m'lud سيدي) في بريطانيا أو (your honour فخامتك) في الولايات المتحدة الأميركية. في البرلمان البريطاني، يشير الساسة تقليديًا إلى بعضهم البعض باستخدام عبارات خاصة. لن يكون من الصحيح القول: «كما قال مايكل وايت للتو...»؛ يجب أنْ يقال: «كما قال زميلي المحترم...»، (إذا كانا ينتميان إلى نفس الحزب السياسي)، أو: «كما قال السيد المحترم...»، (إن لم يكونا).

تتأثر اللغة المكتوبة أيضًا كثيرًا بالطريقة التي تصمم بها، خاصةً الطريقة التي تظهر بها على الصفحة أو الشاشة. تتم كتابة العناوين الرئيسة للصحيفة بخط كبير جدًا، بحيث لا يفوّت الناس الخبر. بالطريقة ذاتها، إذا كنت تكتب ملصقًا للإعلان عن حدث في المدرسة، فستحتاج إلى جعل الحروف كبيرة بما يكفي ليتم مشاهدتها بسهولة. وعندما يقوم الناس بالإعلان عن شيء ما، فإنهم يستخدمون بعناية الألوان، والتباعد، وحجم وشكل الحروف وعلامات التنقيط، لجعل اللغة تناسب المنتج. ما هو النمط المناسب الذي يناسب هذين الإعلانين، على سبيل المثال؟

YE OLD TEA SHOPPE

YE OLD TEA SHOPPE

TAKE OFF WITH
FASTAIR TODAY

TAKE OFF WITH
FASTAIR TODAY

لا أعتقد أنني أود السفر مع شركة طيران تبدو قديمة جدًا هكذا!

كم الوقت؟

إنه مساء السبت في تمام الساعة العاشرة، وتريد التحدّث عما فعلته قبل 12 ساعة. فانك ستقول شيئًا كهذا: I went to the shops this morning ذهبت إلى المتجر هذا الصباح.

ولكن استمع إلى إحدى القنوات التلفزيونية العالمية، مثل BBC World Service أو CNN، وستسمع شيئًا مختلفًا. لا يزال يوم السبت، ولكن سيقول قارئ الأخبار: President Obama was in New York Saturday morning وصل الرئيس أوباما إلى نيويورك صباح السبت.

لن تسمع: President Obama was in New York this morning كان الرئيس أوباما في نيويورك هذا الصباح.

هذا لأن البرنامج يتم بثه في أجزاء كثيرة من العالم، حيث تكون المناطق الزمنية مختلفة. في بعض الأماكن، سيكون بالفعل صباح الأحد، لذا فان تعبير (صباح اليوم) قد يكون غامضًا. إنه مثال آخر على الطريقة الذي تؤثر فيه الظروف المحيطة على طبيعة اللغة التي نستخدمها، على الرغم من أن التغير في هذه الحالة يرجع إلى إحساسنا بالوقت وليس المكان.



الفصل الثالث والعشرون



لغة العمل

نرى المزيد من التباين عندما ننظر إلى طريقة استخدام اللغة في مكان العمل.

في المرة القادمة التي ستكون فيها في مكتبة مدرسية، لاحظ كيف يتم تنظيم الكتب. هناك أقسام مثل BIOLOGY كتب علم الأحياء و HISTORY كتب التاريخ و GEOGRAPHY كتب الجغرافية و RELIGION الكتب الدينية و LITERATURE كتب الأدب و SCIENCE الكتب العلمية.

وهو ذات الشيء الموجود في المكتبة العامة، باستثناء وجود المزيد من العناوين هناك. على سبيل المثال، ستجد كتب القانون والطب، وهذا النوع من الكتب لا يتم تدريسهما عادة في المدرسة.

اختر كتابًا من قسمين من هذه الأقسام الأدب والعلوم، على سبيل المثال، وافتحهما في مكان ما في المنتصف. اختر فقرة واقرأها. ليس عليك أنْ تفهم ما يقوله الكتاب. ما عليك سوى ملاحظة الطريقة التي يقال بها. سترى اختلافات مثل هذه:

Harry glanced into the cracked, dusty mirror and saw Ron and Hermione exchanging sceptical looks behind his back.

حدق هاري في المرآة المتشققة والمتربة ورأى رون وهيرميون وهما يتبادلان نظرات متشككة من خلفه.

Cirrus clouds are found at high altitudes, at around 6,000 metres (20,000 feet), but can be at a much lower height in cold polar regions

تظهر سحب السمحاق (هي نوع من أنواع السحب تتميز بأنها سحب جليدية على ارتفاعات عالية) على ارتفاعات عالية، عند حوالي 6000 متر (20 ألف قدم)، ولكن يمكن أنْ تكون على ارتفاع أقل بكثير في المناطق القطبية الباردة.

يبدو نمط الكتابة مختلفًا تمامًا. لماذا؟

ذلك لأن المؤلفين يهدفون إلى القيام بأشياء مختلفة. في المثال الأول، يتم إخبارنا قصة مثيرة، لذلك نرى الكلمات التي تخلق جوًا مثيرًا، مثل (متصدع) و(مترب). نرى أسماء الشخصيات التي تحافظ على إيقاع القصة. ونرى تطورًا جديدًا في حبكتها: لماذا ينظر رون وهيرميون إلى بعضهما البعض؟ وهذا يجعلنا نرغب في أنْ نقرأ المزيد.

في المثال الثاني، لا توجد أسماء، ولا كلمات مثيرة، ولا تقلبات في القصة. نحن ببساطة نقول بعض الحقائق الأساسية، باختصار وبدقة. في كلمة واحدة، إنها حقائق علمية. نحن نقدم بعض المعرفة، دون أي دراما. يمكننا أنْ نستمر في القراءة إذا كنا نحب ذلك، لكننا لا نشعر أنه يتعين علينا القيام بذلك.

يمكننا أنْ نشعر بالفرق بين الأسلوبين إذا دمجناهما معًا ماذا سينتج عن ذلك؟

Harry finished his cornflakes and found cirrus clouds at high altitudes, at around 6,000 metres (20,000 feet), but Hermione, who was wearing a red dress, thought they could be at a much lower height in cold polar regions

أنهى هاري حبوب الذرة، واكتشف سحبًا على ارتفاعات عالية، على ارتفاع حوالي 6000 متر (20 ألف قدم)، ولكن هيرميون، التي كانت ترتدي ثوبًا أحمر لذلك يمكن أنْ يكونا في ارتفاع أقل بكثير في المناطق القطبية الباردة.

هذا يبدو غريبًا جدًا. لا يبدو حديثًا علميًا. ما السبب؟

ذلك لأنه عندما نكتب عن العلم، لا يهمنا الأشخاص أو ما يرتدونه أو ما تناولوه على الإفطار. فوجود السحب على مسافة 6000 متر هي حقيقة علمية، بغض النظر عما إذا كان هاري قد رآها هناك أم لا. وإنها توجد بشكل أقل في المناطق القطبية هي حقيقة علمية، بغض النظر عن رأي هيرميون. رأيهم الشخصي ليس مهمًا في هذه النقطة. وستظل الغيوم المتراكمة

موجودة على بعد 6000 متر حتى لو كانت هيرميون ترتدي ثوبًا أزرق أو إذا كان هاري قد تناول خبز (التوست) على الفطور.

في اللغة العلمية، تشير الجمل إلى حدوث النشاط دون أنْ تخبرنا أي شيء عن الأشخاص الذين يقومون بالنشاط. يكتب العلماء مثل الجملة الثانية أدناه، وليس الأولى.

Harry found cirrus clouds at high altitudes. (We know who found them)

عثر هاري على غيوم على علو شاهق. (نعرف من وجدها).

Cirrus clouds are found at high altitudes. (We don't know who found them)

توجد السحب الرقيقة على ارتفاعات عالية. (لا نعرف من وجدها).

هذا نوع من اللغة نسميه (غير شخصي).

كما أننا لا ندع خيالنا يسيطر علينا عندما نحاول الكتابة بطريقة علمية. لن نقرأ هذا النوع من الأشياء في كتاب العلوم:

Cirrus clouds are really beautiful and they make me tingle all over whenever I see them, and they are found at high altitudes.

السحب الرقيقة هي جميلة حقًا وتجعلني أشعر بالرغبة في كل مكان كلما رأيتها، وهي موجودة على ارتفاعات عالية.

لا يهتم العلم بمشاعرنا. قد يجدها أحدهم غيومًا جميلة وناعمة. وقد لا يراها شخص آخر إنها كذلك. ولكن الحقيقة إنها موجودة على ارتفاعات عالية، ويهدف العلم إلى بيان الحقائق.

إذا كنت تريد معرفة كيف يشعر الناس، فالأفضل أنْ تقرأ قصيدة أو رواية.

يمكننا أنْ نلخص كل هذه الأمثلة بقولنا إن اللغة العلمية ليست مثل الأنواع الأخرى من اللغة. فهي تستخدم كلمات وقواعد خاصة لوصف وشرح طبيعة الكون، وغالبًا مع الكثير من الرموز الفنية والرسوم البيانية. إذا كنت تتدرب لكي تصبح عالمًا، فإن أحد الأشياء الأولى التي عليك القيام بها هو تعلّم الكلام والكتابة بطريقة علمية. الأمر يشبه تعلّم لغة جديدة.

نفس النقطة تنطبق على جميع الوظائف الأخرى في الحياة. إذا كنت تريد أنْ تكون محاميًا، أو طبيبًا، أو رجلًا دينيًا، أو مقدمًا إذاعيًا، أو معلقًا رياضيًا، فعليك أنْ تتعلم لغة جديدة. كل وظيفة لها كلماتها الخاصة أو (لغتها) وقواعدها، وطريقتها الخاصة في الكلام أو الكتابة. فكّر في جميع المعلقين الرياضيين على الراديو أو التلفزيون، وكيف يتغير أسلوبهم اعتمادًا على الرياضة التي يصفونها. تبدو لعبة كرة القدم مختلفة تمامًا عن سباق الخيل أو مباراة التنس. تختلف سرعة وصوت المعلق كثيرًا، كبداية. حتى إذا كنت بعيدًا عن التلفزيون، فيمكنك غالبًا تحديد نوع الرياضة التي تجري من الاستماع إلى نغمة الصوت.

والوظائف التي يمارسها الناس تجعلنا نتعرف على نوع جديد من التباين اللغوي. يمكننا التحدّث عن (اللغة الإنكليزية العلمية) و(الإنكليزية الدينية)، و(اللغة الإنكليزية الطبية)، وما إلى ذلك. تشبه هذه الأنواع اللهجات واللكنات التي تحدثنا

عنها في الفصل الثاني عشر، باستثناء أن هذه اللغات لا تخبرنا من أين يأتي الناس، ولكن تخبرنا بنوع العمل والوظيفة التي يقومون بمزاولتها. ولهذا السبب غالبا ما تسمى باللهجات المهنية.

وكلما نكبر، نتعلم المزيد عن اللهجات المهنية. ومن خلال مشاهدة التلفزيون فقط، نتعرف على الطريقة التي يتحدّث بها رجال الشرطة والمحامون والأطباء وكل أنواع الأشخاص الآخرين. إذا ذهبنا إلى كنيسة، أو إلى مسجد، أو إلى مكان ديني آخر، فإننا سنتعرف على أنواع مميزة جدًا من اللغة المستخدمة هناك. عندما نتجول هنا وهناك، نسمع أشخاصًا في المتاجر والأسواق والمعارض يستخدمون لغة خاصة بهم لبيع الأشياء لنا. نسمع المذيعين في القطارات والقوارب والطائرات وهم يقومون باستخدام لغة خاصة بهم لإخبارنا بأشياء معينة. حتى عندما نكون في سن العاشرة، فنحن نعرف الكثير جدًا عن تأثير العمل على الطريقة التي نتحدّث أو نكتب بها.

يمكنك اختبار معرفتك باللهجات المهنية.

في ما يلي مجموعة من الجمل مأخوذة من أشخاص يعملون في مهن مختلفة. تحقق مما إذا كان بإمكانك مطابقة الجمل مع أسماء مهنهم. (سأقدم لك الإجابات في نهاية الفصل).

الاختبار 1

1- أنت تعرف كم نشتاق إليك	A. معلق كرة القدم
2- أقول لك إنك تكذب	B. عريف في الجيش
3- ظنوا إن كل شيء قد انتهى	C. موظف إعلانات

- لكن الأمر ليس كذلك!

4- قفوا مستقيمين، أيها الصغار المرعِبون! D. عالم
5- تتحد الذرات لتشكيل وحدات تسمى جزيئات E. محامي
6- لست مجبرًا على قول أي شيء F. كاهن
7- هذه لذيذة لذيذة! G. ضابط شرطة

يمكننا إجراء اختبار مثل هذا مع مجموعات من الكلمات المفردة أيضًا. ما الوظائف التي تعتقد أن هذه الكلمات تنتمي إليها؟ حاول مرّة أخرى، أن تُطابقْ المجموعات مع أسماء الوظائف.

الاختبار 2

1- الاكتئاب، الجبهة الباردة، الوصفة، قوة A. مصفف الشعر
2- عطلة، والوجهة، تحقق، التذاكر B. طبيب أسنان
3- تجويف، انسداد، تسوس، قاطعة C. وكيل عقارات
4- الأعراض والتشخيص والنبض والأدوية D. منبئ جوي
5- أمبير، ومكبرات الصوت، ومجموعات، على سطح السفينة، وعلب E. وكيل سفر
6- صالون، ضربة الجافة، والشامبو، ومجموعة، وتقليم F طبيب
7- جذاب، شراء، بيع، منزل G. دسك جوكي

هناك شيء مثير للاهتمام حول إحدى الكلمات في السطر 5 وهي cans.(وهي في الأصل علب ولكنها تعني سماعات الرأس أيضًا). كان بإمكاني استخدام كلمة headphone (سماعات الرأس) بدلًا من ذلك. لكن الأشخاص الذين يعملون في مجال البث الإذاعي والتلفزيوني عادة ما يستخدمون كلمة (cans)

بدلاً من (headphone) عندما يتحدثون مع بعضهم البعض. إنه جزء من الكلام بالعامية. وتبدو اللغة العامية، كما سنرى، واحدة من أهم الطرق التي يمكننا بها تغيير كلامنا.

أجوبة الاختبار 1: 1F; 2E; 3A; 4B; 5D; 6G; 7C

أجوبة الاختبار 2: 1D; 2E; 3B; 4F; 5G; 6A; 7C

اللغة المشفرة

في بعض الأحيان تستلزم مهمة ما ابتكار لغة مختصرة للغاية. وتصبح نوعًا من الشفرة، ويمكن فقط للأشخاص الذين يأخذون على عاتقهم مهمة تعلّم الشفرة فهم ما يجري. هل يمكنك أنْ تتعرف على أي من هذه العبارات؟

1 P–Q4, N–KB3, NxP

2 K1, K2tog, K5, Cr2R

3 H_2SO_4, CH_3, H_2O

4 ax2 + bx + c =0

5 <i>, </i>, ,

والأجوبة هي:
(1) الشطرنج، (2) الحياكة، (3) الكيمياء، (4) الرياضيات، (5) الحوسبة. إذا كنت قد تعلمت هذه الموضوعات، فستتمكن من تفسير الرموز. إذا لم تفعل، فستبدو الأمثلة مثل اللغات الأجنبية.

وهنا بعض الترجمات. (P Q4) تعني: (نقل البيدق إلى المربع الرابع في صف الملكة). و(K5) تعني: (يغرز خمسة إبر). (H_2O) هي الصيغة الكيميائية للمياه. الحروف في صيغة رياضية تشير لأعداد مجهولة. والحروف ≥i≥. و</i> تستخدم في نوع من برمجة الكمبيوتر المعروفة بـ HTML، عندما تريد طباعة كلمة بخط مائل. أما الحرف <i> فهو يأمر

الكمبيوتر أنه يجب عليه بدء استخدام الخط المائل، والحرف نفسه ويكون قبله رمز </> فهو يأمر الكمبيوتر بالتوقف. إذا قمت بكتابة: <i> hello </ i> there، فستظهر الكلمات في الصفحة بهذا الشكل hello there.

الفصل الرابع والعشرون



اللغة العامية

ما رأيك في هذا الحوار؟

بيل: سأصطحب الخنزيرة إلى المخبز لأجلب بعض الخبز.

بن: سآتي معك يا رجل. أنا بحاجة إلى بعض العصير لكلبي أيضًا.

يبدو غريبًا جدًا. شخص ما يأخذ خنزيرة إلى متجر للحصول على بعض الخبز؟ وشراء عصير الفاكهة لكلب؟

ولكن سيكون غريبًا إذا لم نكن نعرف أن هذا هو نوع خاص من اللغات (الراقية) التي يستخدمها بعض الأشخاص المولعون بالسيارات. ولكي نفهمها، نحتاج إلى ترجمة الكلمات مثل هذا:

خنزيرة يعني: سيارة بورش

مخبز يعني: محطة بنزين.

خبز يعني: بنزين غاز.

عصير يعني: بنزين غاز.
الكلب يعني: سيارة بيجو
عالم السيارات مليء بكلمات كهذه. وهذه كلمات أخرى أكثر:
Shoes تعني: عجلات
Windair تعني: مكيف هواء
Roller تعني: سيارة رولز رايس
Landy تعني: سيارة لاند روفر
الآن يجب أنْ تكون قادرًا على فهم هذه الجملة التالية:
I need new boots for the shoes on my Landy
ترجمتها الحرفية هي أحتاج إلى حذاء جديد لا للاندي خاصتي. وتعني احتاج عجلات جديدة لسيارتي اللاند روفر.
كلمات مثل (أحذية) و(مخبز) هي جزء من عاميّة السيارات.
ما هي اللهجة العامّية؟ هناك بيت سجع شعري قديم يقول:
The chief use of slang الاستخدام الرئيس للهجة العامية
Is to show you're one of the gang
هو أن تظهر إنك أحد أفراد العصابة
وكلمة عصابة هنا لا تعني (مجموعة من الشباب أو المجرمين الذين يقاتلون في الشوارع). إنها تعني مجموعة من الأشخاص الذين لديهم نفس الاهتمامات والخلفيات. هناك المئات من أنواع اللهجة العامّية المختلفة في اللغة. عندما تلتقي مجموعة من الأطباء يتحدثون في متجر، يمكن أنْ نقول إنهم يشكلون زمرة من نوع ما. كذلك تفعل مجموعة من المحامين أو لاعبي

كرة القدم أو المعلمين. وإذا استمعنا إلى أعضاء إحدى هذه الزمر الذين يتحدثون مع بعضهم البعض، فسنسمعهم يستخدمون الكثير من الكلمات التي لا تنتمي إلّا إلى عالمهم.

كيف أعرف معنى هذه الكلمات؟ هل أنتمي إلى عالم أصحاب السيارات الفخمة والقديمة؟ حسنًا، في الواقع، لا. لذلك عندما أتحدث عن السيارات، لا أستخدم نفس الكلمات مثل (مخبز) و(أحذية). لكن بوصفي لغوي أبقي أذني مفتوحة، وأسمع هذه الكلمات في السينما والتلفزيون. وأبقي عيناي مفتوحة أيضًا. هناك العديد من مواقع الإنترنت التي تنشر قوائم بكلمات العامّية التلقائية، والتي تمّ جمعها من قبل الأشخاص الذين يستخدمون هذه الكلمات كل يوم.

لدى بعض اللغويين هواية جمع مفردات اللغات العامّية. الأمر يشبه هواية جمع الطوابع.

أو ربما لو قارناها بهواية مراقبة الطيور سيكون الأمر أفضل. اسمع! هناك كلمة جديدة لم أسمعها من قبل! ماذا تعني؟ من يستخدم ذلك؟ سأكتبها في دفتر ملاحظاتي. أتذكر زيارتي إلى الطبيب قبل بضع سنوات، عندما كان يكتب الوصفة الطبية لبعض الأدوية تمتم قائلاً: أعتقد أنه من الأفضل أنْ تأخذ بعضًا من bug juice (عصير فواكه صناعي). لقد كتبت هذه العبارة بمجرد أنْ غادرت العيادة. كان الطبيب يقصد (المضادات الحيوية).

(bug juice) مفردة من العامّية الطبية. عادة، لا يستخدمه الأطباء إلّا عند التحدّث إلى أطباء آخرين. إذن لماذا استخدمها

معي؟ أنا لست طبيبًا. ربما كان ذلك لأننا كنا أصدقاء ونتشابه في بعض الأشياء. عندما يكون لدى الناس الكثير من القواسم المشتركة، فإنهم يتشاركون اللغة العامّية مع بعضهم البعض.

في الواقع إن معرفة اللغة العامّية صعب للغاية على علماء اللغة. فأنت لديك لهجة عامّية محلية تستخدمها في مدرستك أو في مدينتك، ولا توجد طريقة أعرفها بها إلّا إذا أخبرتني بها. في الواقع، سيكون لديك في منطقتك عدة أنواع مختلفة من اللهجات العامّية. من المرجح أنْ تكون اللهجة العامّية التي يستخدمها الأطفال في المدرسة الابتدائية مختلفة عما يتم استخدامه في المدرسة الثانوية. إذا كانت مدينتك بها العديد من المدارس، فغالبًا توجد اختلافات في نوع اللهجة العامّية المسموعة في كل مدرسة. وقد تكون هناك كلمات تستخدم بشكل مختلف داخل مدرسة واحدة. عملت ذات مرة مع مجموعة من الطلاب في السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية، وحين قاموا بدراسة اللهجة العامّية المستخدمة في مدرستهم. وجدوا إن اللهجة التي يستخدمها طلاب السنة الأولى كانت مختلفة تمامًا عن لهجتهم العامّية.

هذا واحد من الأشياء عن العامّية. إنها تتغير بسرعة. قد تكون كلمة in (في) هذا العام تعني out (خارج) في العام المقبل. فيما يلي بعض الكلمات العامية التي كانت هي السائدة في الموضة قبل بضع سنوات. هل ما زلت تستخدمها الآن؟

Bling وتعني: المجوهرات الفاخرة

Bones وتعني: المال

Phat وتعني: رائع، عظيم،

Sup, wassup وتعني: ما الأمر؟

wicked وتعني: رائع، عظيم

yo وتعني: مرحبًا

وهنا بعض الكلمات العامّية التي تـمّ استخدامها في الستينيات والسبعينيات:

Blast وتعني: وقت عظيم

Bread الخبز وتعني: المال

Bug وتعني: غضب

dig؟ وتعني: هل تفهم؟

Fab وتعني: رائع،

Far out وتعني: ممتاز

Funky وتعني: أنيق، رائع

Groovy وتعني: رائع، عظيم

pad وتعني: المنزل، البيت

قد تعرف بعض هذه الكلمات نظرًا لأنك سمعت أشخاصًا كبارًا يستخدمونها، أو ربما شاهدت فيلمًا مثل Grease (فيلم موسيقي كوميدي رومانسي تم إنتاجه في الولايات المتحدة عام 1978 من بطولة جون ترافولتا)، حيث يذكر البعض منها. وربما يستخدم واحدة أو اثنتين منها. لكن معظمها ينتمي إلى 40 سنة خلت.

كلما عدنا إلى الوراء، كلما ازدادت صعوبة فهم اللهجة العامّية. في إنكلترا الفيكتورية، كان الناس في الشارع يتحدثون عن (billy منديل)، و(dipper و pickpocket النشل)، و(luggage الأقراط). وماذا تعتقد أن صاحب الحانة يعني عندما يطلق على صديقه اسم bully rook (البلطجي المحتال) في مسرحية شكسبير زوجات وندسور المرحات The Merry Wives of Windsor؟ كانت هذه كلمة عامّية تستخدم في القرن السادس عشر وتعني (زميل رائع).

كان بعض اللغويين جريئين جدًا، في تتبع اللهجات العامّية. كان أحد الباحثين، وهو ايريك بارتريدج Erich Partridge، يذهب إلى الشوارع الخلفية في لندن ويسأل الشخصيات المشبوهة عن نوع اللهجة العامّية التي يستخدموها. على سبيل المثال، قد يطلق على المسدس اسم canoe (مدفع) أو rod (قضيب) أو heater (سخان) أو أي أسماء أقل وضوحًا، مثل (بسكويت). أنا سعيد لأنه عاش طويلاً ليروي لنا الحكاية!

استخدام العامّية المنزلية يقلل من الخطر. معظم المنازل لديها كلمات مكررة لا يعرفها إلّا أفراد الأسرة أو أصدقاؤهم المقربون وأقاربهم. على سبيل المثال، هل لديك اسم مميز في منزلك لجهاز التحكم عن بعد الذي يقوم بتغيير القنوات على جهاز التلفزيون الخاص بك؟ في ما يلي بعض من أسماء الحيوانات الأليفة التي استخدمها الأشخاص لهذا الجهاز:

Bimmer	pinger
blapper	plinky
dibber	podger
donker	pringer
dooberry	splonker
woojit	flicker



تم نشر مجموعة من هذه الكلمات العائلية في عام 2008. أطلق المحرّرون على كتابهم Kitchen Table Lingo. لغة طاولة المطبخ.

يتم استخدام اللغة العامّية من قبل الناس الذين يريدون أنْ يظهروا، من خلال الطريقة التي يتحدثون بها، أنهم متشابهون وموحدون. إنها لغة غير رسمية للغاية، وعادية، ودارجة. إنها مثل لغة سرية، معروفة فقط للأشخاص الذين هم أعضاء في المجموعة. لذلك، يختلف الأمر تمامًا عن الاستخدام القياسي للغة، كما وصفتها في الفصل العاشر. تستخدم إحدى اللغات القياسية، مثل الإنجليزية القياسية، كلمات متاحة أمام الجميع لاستخدامها. إذا أردنا أنْ يفهم أكبر عدد ممكن من الناس كلامنا وكتابتنا، فعلينا تجنّب اللغة العامّية.

عندما نتعلم لغة، إذن، فإن أحد الأشياء التي نحتاج إلى القيام بها هو معرفة أي الكلمات هي قياسية وأيها عامّية. وعلينا أنْ نتذكر عدم خلطها. من الطبيعي والعادي استخدام اللغة العامّية عند التحدّث مع أصدقائنا. إذا لم نفعل ذلك، واستخدمنا الإنجليزية القياسية فقط، فسيعتقدون أننا غريبون بعض الشيء.

ولكن بالمثل، يجب أن نتجنب اللغة العامّية عندما نتحدّث إلى جمهور عام. لن نسمع مذيعي BBC أو CNN يستخدمون اللغة العامّية، على سبيل المثال، لأنهم بحاجة إلى فهم لغتهم من قبل جميع المستمعين.

ومن المهم على وجه الخصوص عدم استخدام اللغة العامّية عند كتابة شيء سيقرأه أشخاص لا ينتمون إلى مجموعتك الصغيرة. إذا نسيت هذا، فيمكنك الدخول في مشكلة. إذا وضعت كلمات عامّية في مقالة مدرسية، على سبيل المثال، لا تُفاجأ باستعادتها مع تصحيح الكلمات. سيكون هذا سببًا آخر (إلى جانب السبب الذي ذكرته في الصفحة 68) في حصولك على درجات منخفضة.

لن نجد كلمات عامّية في الطباعة، إلّا إذا كان الكاتب يحاول عن قصد إظهار كيف يتحدّث الناس، كما هو الحال في الروايات البوليسية. فقط في بعض الأحيان، سترى في هذا الكتاب، استخدامي لتعابير عامّية وعندما أفعل ذلك أضعها بين قوسين لأظّهر إنها ذات استخدام خاص، سوف ترى مثالاً إذا رجعت إلى الفقرة الثانية من هذا الفصل وهناك آخر سيأتي في منتصف الفصل الخامس والعشرين.

هل أنتَ مؤمن؟ (would you adam and eve it?)

منذ حوالي 200 عام، بدأ الناس الذين يعيشون في شرقي لندن في منطقة كوكنيز (Cockneys) في استخدام تعابير مقفاة ومسجوعة لتحل محل كلمات معينة. بدلاً من قول feet (القدمين)، قالوا plate of meat (أطباق اللحم). بدلاً من قول stairs (الدرج)، قالوا apple and pears (التفاح والكمثرى). لذلك قد تسمع جمل مثل هذه:

I hurt my plates of meat coming down the apples and pears

أُصبت بألواح اللحم التي سقطت من شجرتي التفاح والكمثرى.

لماذا فعلوا ذلك؟ ربما فقط للمتعة. لكن المجرمين استخدموا مثل هذه العبارات ليجعلوا من الصعب على الشرطة فهم ما كانوا يقولونه.

في ما يلي بعض الأمثلة الأخرى لما يُطلق عليه (قوافي العامية).

Hampstead Heath تعني: الأسنان
Lump of lead تعني: الرأس
Artful dodger تعني: مستأجر
Lean and lurch تعني: الكنيسة
Adam and eve تعني: الإيمان

عملية صنع القوافي الجديدة ما تزال مستمرة اليوم. ماذا تعتقد هذه الجملة تعني؟

He's on Adrian Mole

I want Ali G

She was wearing her Barack Obamas

لا أعرف ما إذا كانت هذه العبارات تستخدم بشكل كبير جدًا، ولكن تمّ اختراع جميعها في السنوات القليلة الماضية فقط.

ومعاني تلك العبارات هي:

يعيش على العون

أريد أن أتبول

كانت ترتدي بيجامتها

الفصل الخامس والعشرون



القواميس

جاء وقت التحدي. أجب على هذه الأسئلة.

1- عندما تكون في المنزل، أين تحتفظ بهاتفك المحمول؟

2- هل تعرف كيف يعمل هاتفك المحمول؟

3- كم مرة تستخدم هاتفك المحمول؟

4- متى كانت آخر مرة قمت فيها بتحديث هاتفك المحمول؟

أظن أنك ستقول مع نفسك: «ليس هناك تحدٍ كبير في هذا الأمر». إليك تحدٍ آخر.

1- عندما تكون في المنزل، أين تحتفظ بقاموسك؟

2- هل تعرف كيف يعمل قاموسك؟

3- كم مرة تستخدم القاموس الخاص بك؟

4- متى كانت آخر مرة قمت بتحديث قاموسك؟

يجد معظم الناس الإجابة عن هذه الأسئلة أمرًا شديد الصعوبة. إليك مجموعة من الأجوبة:

1- لست متأكدًا. إنه على الرف في غرفة الجلوس، على ما أظن!
2- في الحقيقة، كلا.
3- فقط عندما ألعب الكلمات المتقاطعة أو لعبة سكرابل (هي لعبة ألواح الهدف منها تكوين كلمات إثر سحب عشوائي لسبعة حروف).
4- لا أتذكر.

وأنا ماذا ستكون إجاباتي؟ إليك أجوبتي.

1- يوجد قاموس على مكتبي بجانب جهاز الكمبيوتر الخاص بي. وآخر في قسم المواقع المفضلة على الإنترنت.
2- نعم، لقد قرأت المقدمة في بداية القاموس، وأخبرتني كل شيء عنه.
3- كل يوم تقريبًا.
4- هذا العام.

قد تندهش من إجابتي على السؤال الثالث. قد تفكر مع نفسك: يقوم ديفيد كريستال بتدريس اللغة الإنكليزية منذ سنوات طويلة. فعن أي شيء يبحث في القاموس؟ من المؤكد إنه يعرف كلّ الكلمات هناك؟

أتمنى لو كنت كذلك! لكن أرجع إلى نهاية الفصل الثالث، عندما سألت: «كم عدد الكلمات التي نعرفها؟» بالنسبة لي، الإجابة هي مئة ألف كلمة. هذا كثير جدًا، لكنه فقط عُشر

الكلمات الموجودة في اللغة الإنكليزية. ففي اللغة الإنكليزية هناك أكثر من مليون كلمة. معظمها كلمات تتعلق بالعلوم والتكنولوجيا، والتي لا أعرفها وربما لن أحتاج إلى معرفتها. لكن بين الحين والآخر تصادفني واحدة من هذه الكلمات، وأريد أنْ أحدد ما تعنيه. حينها أحتاج إلى القاموس الخاص بي.

في أحد الأيام، على سبيل المثال، كنت أقرأ قصة يتحدث فيها الكاتب عن قيامه ببعض رحلات تسلق الصخور وقال إنه وضع قدمه في (grike) لمساعدته على الانحدار. لم يكن لدي أي فكرة عما تعنيه هذه الكلمة. هل كان نوعًا من الأحذية؟ أو أداة تسلق من نوع ما؟ كان من الإغراء أنْ أفكر مع نفسي: «معرفة معنى هذه الكلمة لا يهم، لدي فكرة تقريبية عن القصة»، واستمر في القراءة. لكني حاربت هذا الإغراء! قلت مع نفسي: أبحث عن الكلمة. وفعلت ذلك، ووجدت إنه لا علاقة لها بالأحذية أو الأدوات. Grike هو صدع في صخرة أصبح واسعًا جراء تساقط المطر.

هذه كلمة جديدة أضيفت إلى مفرداتي. إذا كنت أعرف مئة ألف كلمة في السابق، أصبحت أعرف الآن مئة ألف وواحد. هذا شعور جيد. لاستخدام القليل من اللغة العامّية التي تعلمتها عندما كنت أعيش في ليفربول: شعرت بأنني dead chuffed والتي تعني: إنني أشعر بالسعادة في داخلي. إذا كنت مهتمًا باللغة، وإذا قرأت هذه العبارة في الكتاب، فيجب أنْ تشعر عندما تتعلم كلمة جديدة، بأنك dead chuffed.

الحالة الأخرى التي أستخدم القاموس الخاص بي هو عندما أظن أنني أعرف ما تعنيه كلمة ما، لكنني لست متأكدًا تمامًا. في جزء آخر من القراءة الأخيرة، صادفت عبارة flexor muscle (عضلة مثنية). أي نوع من العضلات كان ذلك؟ كنت أعرف كلمة (flexor)، والتي تعني (ثني)، لذلك افترضت أن هذه كانت عضلة جعلت جزءًا من الجسم ينحني. لكن أي جزء؟ لم أكن متأكدًا. لذلك راجعت القاموس، وكانت الإجابة، أي جزء. العضلة المثنية هي أية عضلة تحرك أي مفصل أو طرف. من المهم جدًا الانتباه إلى كل جزء من تعريف القاموس، إذا أردنا استخدام كلمة بشكل صحيح. إذا لم نفعل ذلك، فمن السهل أنْ نشوّش الناس بقول شيء لا نقصده. خذ مثلاً كلمة aftermath (أعقاب). إليك تعريف القاموس لمعناها:

التأثيرات الناشئة عن حدث (بشكل خاص غير سار).

لذلك يقول الناس أشياء مثل هذه:

كان الفيلم حول آثار aftermath الحرب في الشرق الأوسط.

تم إيقاف حركة المرور لعدة ساعات في أعقاب aftermath الحادث.

الآن، إليك مثال لما كتبه شخص ما في مقال مدرسي.

كان احتفال الكنيسة متعة عظيمة وناجح للغاية، وفي أعقاب ذلك aftermath، تم منح ألف جنيه إسترليني للجمعيات الخيرية.

هناك شيء خطأ في هذا المقال. يقول التعريف إن الحدث عادة ما يكون (غير سار). لذا إذا كتبنا: (في أعقاب aftermath الاحتفال بالكنيسة)، فإن ذلك يشير إلى أن الحدث كان كارثة،

ربما لأن إعصارًا أسقط جميع الخيام! لكن لم تكن هناك كارثة. كان الاحتفال حدثًا ممتعًا وناجحًا للغاية. لذا كان الكاتب مخطئا في استخدام كلمة (أعقاب) aftermath. كان يجب عليه كتابة شيء كهذا:

كان احتفال الكنيسة متعة عظيمة وناجحة جدا، ونتيجة لذلك تمّ منح ألف جنيه للجمعيات الخيرية.

لو كان قد أزعج نفسه للبحث عن الكلمة في القاموس، فلربما تجنّب المشكلة.

ما هي الاستخدامات الأخرى للقاموس؟ يستخدمه العديد من الأشخاص للتحقق من هجائهم، خصوصاً عندما يكونون في المراحل الأولى من تعلّمْ لغة ما. هذا هو أحد الأسباب الرئيسة التي تدفع الطلاب في المدرسة لاستخدام القاموس. هناك استخدام آخر هو التحقق من كيفية نطق كلمة ما. في أحد الأيام صادفت كلمة (telemeter) في كتاب، وأدركت إنه ليس لدي أي فكرة عن كيفية نطقها بصوت عالٍ. وهي تعني جهاز القياس عن بعد وهو جهاز لتسجيل البيانات عن أشياء تبعد عنا بمسافة معينة. لكن كيف يلفظها الناس؟

هل هو (tell y meet er)، مع التأكيد على المقطع الأول؟

أو (te lem iter)، مع التشديد على المقطع الثاني؟

أخبرني القاموس أن كلا النطقين صحيحين، لكن الأول أكثر استخداماً.

يعطينا القاموس أنواعًا أخرى من المعلومات أيضًا. سيخبرنا شيئًا عن قواعد الكلمة، سواء كان اسمًا، أو فعلاً، أو جزءًا آخر من الكلام. سيخبرنا ما إذا كان يتم استخدام كلمة ما في حقل - بالخصوص - سواء كان حقل الطب أو القانون، على سبيل المثال، أو ما إذا كانت كلمة قديمة أو كلمة فظّة. كما سيعطينا أمثلة عن طريقة استخدام الكلمة في الجمل: في أفضل القواميس، سنرى العديد من الأمثلة مثل تلك التي استخدمتها أعلاه (aftermath). وسوف يقدم لنا معلومات حول تاريخ وأصل الكلمات، كيف وصلت إلى اللغة وكيف تغيرت على مَر القرون. هذا هو موضوع علم أصل الكلمة، ومن المثير للدهشة إنني خصصت كل الفصل التالي أتحدّث عنه.

إذن؟ لقد وجدنا قاموسنا، واكتشفنا نوع المعلومات التي يحتوي عليها، وبدأنا في استخدامها بانتظام. أي شيء آخر؟ لا تنس السؤال الرابع. هل هو قاموس حديث؟

تَظهر الإصدارات الجديدة من القاموس كل بضع سنوات، وإذا كان لديك نسخة قديمة فقط في المنزل فان ذلك يشبه قليلاً امتلاكك تليفون محمول قديم. تفتقد فيه جميع الميزات والتطبيقات الحديثة. إذا كان القاموس عمره 10 سنوات، على سبيل المثال، فكر فقط في آلاف الكلمات والتعابير التي لا يحتوي عليها، مثل جميع الكلمات المرتبطة بالإنترنت. أيضًا، يفكر مؤلفو القواميس دائمًا في طرق جديدة لعرض المعلومات، لتسهيل استخدام الكتب. تحتوي بعض القواميس الآن على أقراص مدمجة معها تحتوي

على الكثير من المواد الإضافية. كما يمكن الوصول إلى العديد من القواميس عبر الإنترنت. أيا كان القاموس الذي نشتريه، فنحن بحاجة إلى جلب آخر جديد كل خمس سنوات أو ما شابه.

هناك نوعان من الأشياء الأخرى التي تحتاج إلى معرفتها حول كتابة القاموس. وهو ما يطلق عليه اسم lexicography المعجم. ويطلق على الأشخاص الذين يؤلفون القواميس معجمي كتب، مثل نوح ويبستر وصموئيل جونسون، الذين التقينا بهم عندما كنا نتحدث عن التهجئة في الفصل العاشر. إذا كنت تريد معرفة المزيد من المعلومات حول هذه الكلمات، فأنت تعرف ما يمكنك القيام به: ابحث عنها في القاموس.

عرض الكلمات

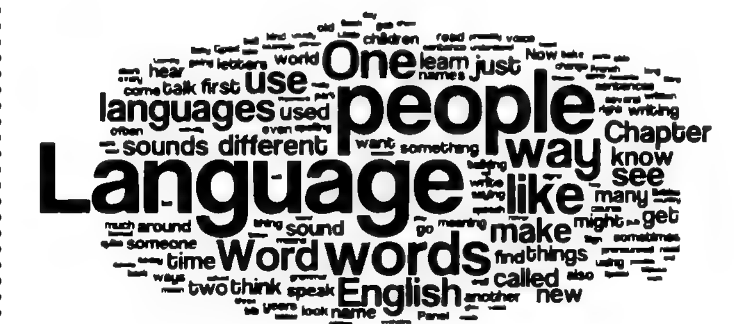
القاموس هو النوع الرئيس من الكتاب الذي يخبرنا عن مفردات اللغة، لكنه ليس الوحيد. قاموس معاني المفردات thesaurus هو نوع آخر من كتب الكلمات، لكنه يقوم بعمل مختلف. يجمع قاموس المرادفات كلمات لها معنى مشابه. تخيل أنك تكتب قصة عن شخص يمشي في أحد الحقول ويتسخ قليلاً. يمكنك القول بأنه (متسخ)، ولكنك تريد أنْ تجعل قصتك أكثر إثارة للاهتمام، لذلك عليك أنْ تعمل عقلك في محاولة للتفكير في كلمات أخرى لها معنى مشابه. قد تكتشف البعض بنفسك، ولكن إذا لم تفعل ذلك، يمكنك الحصول على بعض الأفكار من النظر إلى كلمة (متسخ) في قاموس المرادفات.

هناك ستجد كلمات مثل هذه: قذر، رائحة كريهة، موحلة، وسخ، المترب، سخيف، فوضوي، المستنقعات، مبلل الآن يمكنك اختيار الكلمة التي تناسب ما تريد قوله.

قاموس المرادفات هو عكس القاموس العادي. عندما نستخدم القاموس العادي، لدينا كلمة في رأسنا ونريد أنْ نبحث عن معناها. عندما نستخدم قاموس المرادفات، لدينا معنى في رأسنا، ونريد أنْ نبحث عن أفضل كلمة تعبر عنه. تتيح لنا أجهزة الكمبيوتر الآن عرض مثل هذه الكلمات بكل أنواع الطرق المثيرة للاهتمام. عندما نستخدم برنامجًا مثل: Wordle www.wordle.net، يمكننا رؤية جميع الكلمات في جزء من العمل معروضة كـ (منظومة سحابية) (نظام تجميع إلكتروني للمعلومات يتيح الوصول إلى كم

هائل منها عن طريق شبكة الإنترنت). يعكس حجم الكلمة عدد مرّات استخدامها. أضع النص الكامل لهذا الكتاب في Wordle، وهذا ما سيخرج. تعطي كلمة سحابة انطباعًا جيدًا عن محتوى هذا الكتاب. كنت تتوقع أنْ تكون كلمة (اللغة) هي الأكبر حجماً.

ولكن هل توقعت كلمة (الناس)؟ بالنسبة لي لن أُفاجأ إذا توقعت ذلك، لا يمكن أنْ تكون هناك لغة بدون الناس، ولا يوجد ناس بدون لغة.



الفصل السادس والعشرون



علم أصول الكلمات

يختص علم الإيتمولوجي (Etymology) بدراسة تاريخ وأصول نشأة الكلمات، وهو موضوع مليء بالمفاجآت. لنأخذ كلمتي (salary الراتب) و sausage (النقانق). فهي تحمل معاني مختلفة تمامًا في وقتنا الحاضر.

الراتب salary هو مبلغ المال الذي يدفع لشخص ما شهريًا أو سنويًا للقيام بعمل ما.

السجق sausage هو نوع من الطعام مصنوع من اللحم على شكل لفائف رقيقة.

لكن في وقت سابق كانا نفس الكلمة. كيف يمكن أنْ يحدث ذلك؟ جاءت كلمة salary (الراتب) إلى اللغة الإنكليزية في القرن الرابع عشر. ويعود أصلها إلى الكلمة اللاتينية (salarium)،

والتي تعني salt money (نقود الملح). كان المال يعطى للجنود الرومان خصيصًا لشراء الملح، الذي كان مادة مهمة جدًا، لأنه يساعد في الحفاظ على الغذاء. وصلت كلمة (sausage) أيضًا إلى اللغة الإنكليزية في القرن الرابع عشر، قادمة من كلمة لاتينية أخرى هي (salsicium)، وتعني شيئًا مصنوعًا من salted meat (اللحوم المملحة). العنصر المشترك في الكلمتين هو (sal)، وهي الكلمة اللاتينية للملح (salt).

العديد من الكلمات الإنكليزية الأخرى لها أصولها في كلمة الملح. كلمة Sauce (صلصة) واحدة منها. كان أصلها كلمة (salsa) باللاتينية، مما يعني أن هناك شيئًا (مملحًا). (Salad) هي كلمة أخرى، أصلها من كلمة (salata) باللاتينية، وتعني أيضًا (مملحة). على مر القرون، تغيرت معاني هذه الكلمات بحيث باتت تشير الآن إلى أشياء مختلفة جدًا. الناس يضعون صلصة sauce على salad سلطتهم و sausages نقانقهم، ويدفعون ثمنها من salary راتبهم.

كل كلمة في أية لغة لها تاريخ، والقواميس تخبرنا بذلك. لنبقى مع مفردات الطعام. سوف يخبرنا، القاموس على سبيل المثال، أن:

كلمة melon (البطيخ) أصلها من الفرنسية؛ ودخلت اللغة الإنكليزية في أواخر القرن الثالث عشر.

كلمة potato (البطاطس) أصلها من الأسبانية؛ ودخلت اللغة الإنكليزية في منتصف القرن السادس عشر.

كلمة yoghort (الزبادي) أصلها من التركية؛ ودخلت اللغة الإنكليزية في أوائل القرن السابع عشر.
كلمة spaghetti (السباغيتي) من الإيطالية؛ ودخلت اللغة الإنكليزية في منتصف القرن التاسع عشر.
Sushi (السوشي) جاءت من اليابانية؛ ودخلت اللغة الإنكليزية في أواخر القرن التاسع عشر.

هذه هي كلّ الكلمات التي حافظت على نفس المعنى منذ أنْ وصلت إلى اللغة. البطاطس التي كانت تؤكل لأول مرة عندما كان شكسبير على قيد الحياة هي نفس النوع من الخضار المعروف باسم البطاطس الذي نتناوله اليوم.

تغيرت معاني كلمات أخرى كثيرة منذ وصولها إلى اللغة الإنكليزية. في أيامنا، إذا قلنا أن شخصًا ما silly (سخيف)، فإننا نعني إنه أحمق أو غبي، غالبًا ما يكون بشكل مضحك. لكن قبل ألف عام لم تكن هذه الكلمة تعني ذلك على الإطلاق. عندما استخدمت الكلمة لأول مرة باللغة الإنكليزية، كانت تعني (سعيد) أو (مبارك). ثم تطوّرت إلى معنى (البريء). في وقت لاحق، كان ذلك يعني أن هناك من يستحق عطفنا لأننا ارتكبنا خطأً ما معه. إن القول بأن شخصًا ما (سخيف) يعني إنه ابله. وبالطبع في يومنا هذا، يمكن أنْ يكون المرء سخيفًا على الرغم من أنه يتمتع بالذكاء.

يستمر تغير معاني الكلمات في وقتنا الحاضر. إليك بعض الأمثلة من عالم الإنترنت:

- mouse (الفأر) كان نوعًا من الحيوانات الصغيرة لأكثر من ألف عام، ولكن منذ الستينيات، أصبح أيضًا أداة يدوية للتحكم في مؤشر شاشة الكمبيوتر.
- كلمة spam (البريد المزعج) كانت تعني في الأصل نوعًا من اللحم المعلب، ولكن منذ بداية التسعينيات، أصبحت تعني رسائل البريد الإلكتروني غير المرغوب فيها.
- تعني كلمة surf (تصفح) في الأصل ركوب الأمواج، ولكن منذ أوائل التسعينيات، أصبحت تعني أيضًا الانتقال من موقع إلى آخر على الإنترنت.

وبالطبع، ظهرت العديد من الكلمات العامية التي تمت مناقشتها في الفصل 24 من خلال تغيير المعنى، مثل (wicked) شرير و(cool). شخص أنيق.

في بعض الأحيان، تغير الكلمات معانيها بطرق تجعلنا نفكر فيها بشكل مختلف تمامًا. عندما كنت صبيًا، كان المعنى الوحيد لكلمة cowboy (رعاة البقر) الذين أعرفهم من الذين كانوا يظهرون في سلسلة الأفلام المعروفة باسم الكاوبوي، حيث كان هناك (رعاة البقر والهنود). كان رعاة البقر دائمًا هم الأخيار. لكن منذ السبعينيات من القرن الماضي، ظهر معنى آخر للكلمة. إذا سمعنا أحدهم يتحدّث عن (cowboy builder)، فإنه لا يعني أشخاصًا جيدين. إنه يعني أشخاصًا لا يمتلكون المهارات المناسبة والذين يقومون بعمل أدنى. اليوم، أصبح رعاة البقر هم الأشرار.

هذا مثال على كلمة تتخذ معنى سيئًا. ونجد نوعًا من التغيير الذي يحدث أيضًا: لكلمات تحمل معنىً جيدًا. كلمة (nice) هي مثال على ذلك. جاءت هذه الكلمة إلى اللغة في عام 1300 وكانت تعني (أحمق) أو (جاهل). وقد تطوّرت لاحقًا إلى معانٍ سلبية أخرى، مثل (مبهرج)، أو (تافه)، أو (كسول). لكن تدريجيًا تطوّرت معانيها الأخرى. أنْ تكون nice (لطيفًا) قد يعني إنك (ترتدي ملابس أنيقة) أو إنك (مميز) أو (دقيق) باختيار الأشياء. في القرن الثامن عشر، تطوّرت الكلمة إلى مجموعة واسعة من المعاني الإيجابية، مثل (مقبول)، و(لطيف)، و(عطوف)، و(جذاب)، وهي تلك التي نستخدمها اليوم.

الكلمات تتغير أيضًا عندما تصبح أكثر عمومية في المعنى. عندما دخلت كلمة office (المكتب) لأول مرة إلى اللغة الإنكليزية، في أواخر القرن الثاني عشر، كانت تعني نوعًا معينًا من الخدمة الدينية. فقط أشخاص مثل الكهنة والراهبات كان لديهم مكتب، يدخلونه كل يوم. اليوم، أصبحت الكلمة ذات نطاق أكثر عمومية من ذلك المعنى. يمكن أنْ تعني نوعًا من المنصب أو الواجب الرسمي، أو غرفة يقوم فيها الأشخاص بمهام إدارية. نقول أشياء مثل:

مكتب ماري موجود في المدينة Mary's office in the city

John works in the Foreign Office

جون يعمل في وزارة الخارجية.

She holds a high office in the government

وهي حاصلة على منصب رفيع في الحكومة.

ما يزال للكلمة معناها الديني، ولكنه أصبح يشكل جزءًا صغيرًا فقط من استخدامها في وقتنا الحالي.

النوع المعاكس للتغيير هو عندما تصبح الكلمات أقل عمومية في المعنى. ويضيق مجالها. في اللغة الإنكليزية القديمة، تعني كلمة (mete) (التي تكتب meat اليوم) أي نوع من الطعام الصلب. اليوم، يقتصر معنى meat (اللحم) على لحم أنواع معينة من الحيوانات. فقط في بعض الأحيان نجد كلمة تحافظ على المعنى الأقدم. عندما يتحدّث الناس عن (sweetmeats)، على سبيل المثال، فإنهم يشيرون إلى أشياء مثل الحلوى والملبس والمكسرات المسكرة. هذا لا علاقة له باللحم الحيواني. ولا يعتبر (mincemeat لحم مفروم) (كما هو مستخدم في فطائر اللحم المفروم) أي شيء يتعلق بالحيوانات. لكن هذه استثناءات. يتم استخدام جزء صغير فقط من المعنى الأصلي لـ (اللحوم) اليوم.

كما رأينا في الفصل الحادي والعشرين، علينا أنْ نُبقي عيوننا مفتوحة على هذه التغييرات في المعنى عندما نقرأ الكتب التي كتبت منذ سنوات عديدة. يجب أنْ نكون حذرين أنْ لا نقرأها وفق معانيها الحديثة. على سبيل المثال، عندما نقرأ في مسرحية شكسبير أن أحدهم كان naughty (شقيًا)، قد نعتقد إن هذه الكلمة لها نفس المعنى الذي لديها اليوم. في الواقع، الأمر مختلف للغاية. القول بأن صبيًا صغيرًا شريرًا اليوم يعني إنه يتصرف بشكل سيئ، وهو نوع من الأذى. ولكن إذا وصفت شخصية في إحدى مسرحيات شكسبير بكلمة (naughty)،

فانها تعني شيئًا أكبر من الشقاوة بكثير. ستكون شخصية شريرة أو شيطانية بالفعل.

يدعى العلماء الذين يدرسون علم أصول الكلمات بـ etymologists. وهناك الكثير من الأبحاث التي يتعين عليهم القيام بها، لأن العديد من الكلمات غامضة. ليس لدينا أي فكرة من أين جاءت. خذ كلمة jam (المربى) على سبيل المثال، وهي الأشياء التي نضعها على الخبز. لماذا نسميها (المربى)؟ تتكون المربى من الفاكهة التي تم غليها مع السكر حتى يتجانسا بشكل لطيف. هل أطلق عليها الناس في الأصل اسم (المربى) لأنهم فكروا في الفاكهة التي يتم سحقها أو jammed (تنقيعها) في الوعاء؟ أعتقد ذلك، لكننا لا نعرف ذلك على وجه اليقين.

هناك مئات الكلمات من هذا القبيل. لا أحد يعرف من أين جاءت كلمة bap (بمعنى لفائف الخبز). لا أحد يعرف لماذا يسمى العلماء (boffins). لا أحد يعرف لماذا يسمى الناس الذين يفعلون الأشياء المجنونة (bonkers) (بونكرز). هل هذا لأنهم يتصرفون كما لو كان لديهم (bonk بطة) على رؤوسهم؟ يحاول أخصائيو علم أصول اللغة العثور على إجابات لهذه الأسئلة.

كل الكلمات لها تاريخ، وهذا يشمل أسماء الأشخاص والأماكن. ولن نعثر عليها في قاموس لأنها موجودة خارج اللغة. قد نعرف أسماء من قبيل (باريس) و(بوردو) و(فرانسوا)، لكن هذا لا يعني إنه يمكننا التحدث بالفرنسية! وبالمثل، يمكن للأشخاص الذين يتحدثون لغات أخرى التحدّث بسعادة عن

أسماء مثل (ديفيد) و(أليزابيث) و(مانشستر) و(كنتاكي) دون معرفة كلمة إنكليزية. ومع ذلك، ما يزال بإمكاننا دراسة تاريخ هذه الأسماء. وعندما نفعل، نجد أن كل اسم له قصة ترويها.

حين تصبح عريساً

يمكن أنْ تساعد دراسة تاريخ الكلمات أيضًا في توضيح سبب ظهور بعض الكلمات الغريبة. خذ كلمة groom (العريس)، كما في bridegroom (العرس). لماذا يدعى (العريس)؟ groom العريس هو شخص أجير، خصوصًا من يعمل في العناية بالخيول. ما هي علاقته بالزواج؟ العريس ليس خادم العروس. ولا هو الشخص الذي سيقوم بتنظيف جلد زوجته وشعرها لجعلها تبدو أنيقة وجميلة كما يفعل مع الخيول! فلماذا يسمى groom العريس؟ يمكن أنْ يزودنا بالجواب علم الإيتمولوجي.

عندما تمّ استخدام الكلمة لأول مرّة باللغة الإنكليزية، كانت مختلفة في الواقع. كانت (bridgome)، تلفظ (breed go muh). الجزء الأول، (brid)، يعني bride (عروس). أما الجزء الثاني، (gome)، فكان يعني (الرجل). كانت كلمة (gome) قد استُخدمت كثيرًا في اللغة الإنكليزية القديمة، لكن الناس توقفوا عن استخدامها خلال العصور الوسطى. بحلول القرن السادس عشر، لم يكن أحد يعرف ما هي كلمة (gome).

لذا استبدلوها بكلمة أكثر شيوعًا كان لها نفس نبرة الصوت (groom). وتحوّلت Bridgome لتصبح (Bridegroom) (العريس).

يفعل الناس هذا كثيرًا. إذا لم يفهموا كلمة ما، فإنهم يغيرونها ببساطة لجعلها أكثر وضوحًا. عندما دخلت كلمة (cucaracha) إلى الإنكليزية من الأسبانية في أوائل القرن السابع عشر، لابد أنْ يكون الناس قد وجدوا ذلك غريبًا جدًا، لأنهم سرعان ما غيّروها إلى كلمة أكثر ألفة coceroach (صرصور)، على الرغم من أن الصرصور ليس لديه أي علاقة على الإطلاق بـ cockerels الديوك. وينطبق ذات الأمر على كلمة sparrow grass (عصفور العشب) (وهو اسم شائع لنبات الهليون asparagus) الذي ليس له أية علاقة بالعصافير sparrows.

الفصل السابع والعشرون



أسماء الأماكن

نحن بحاجة إلى إطلاق أسماء على الأماكن حتى نتمكن من إخبار الناس بالمكان الذي نعيش فيه ونجد طريقنا إليه. تخيل ما سيكون عليه الحال من دون وجود أسماء للأماكن. يجب أن نقول شيئًا كهذا:

ادعوك لزيارتي غدًا أنا أعيش في بلدة صغيرة تبعد خمسة أميال عن المكان الذي تعيش فيه. يمكنك الوصول إليه بالسفر شمالاً على طول الطريق الرئيس، مرورًا بثلاثة مجمعات سكنية، حتى تصل إلى تلة، ثم في أعلى التلة سترى مجمعًا آخر بجانبه بعض الأشجار. استخدم المنعطف الأول على اليسار، وستشاهد شارعًا يحتوي على الكثير من المنازل. منزلنا هو الثاني على اليمين.

من الأسهل كثيرًا قول:

أدعوك لزيارتي غدًا أنا أعيش في ليثورب. يمكنك الوصول إليها عن طريق السفر شمالاً من ريدكليف Redcliff. عند دخولك ليثروب Leethorpe، يكون الشارع الأول على اليسار هو بريدج رود Bridge Road. أنا أعيش في رقم 4.

أو ببساطة:

أدعوك لزيارتي غدًا أنا أعيش في Bridge Road, 4 .Leethorpe, Bedfordshire

يمكننا بعد ذلك استخدام خريطة أو كتابة الاسم في نظام الملاحة عبر الأقمار الصناعية GBS، والعثور على المكان بأنفسنا.

من أين تحصل الأماكن على أسمائها؟ لماذا تسمى هذه المقاطعة ببيدفوردشاير؟ وهذه المدينة لماذا تسمى ليثورب؟ ولماذا يسمى هذا الطريق bridge؟ يسأل الناس دائمًا (لماذا) عن أسماء الأماكن، خصوصًا إذا كان الاسم غريبًا أو مضحكًا. في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، هناك مكان يسمى Hot Coffee (قهوة ساخنة). لماذا؟

في العديد من أسماء الأماكن، يكون سبب التسمية واضحًا. يتم تسميتها على اسم أشخاص معينين. سميت مدينة واشنطن على اسم أول رئيس للولايات المتحدة. تمت تسمية أماكن مثل جورج تاون وويليامزبرغ وفيكتوريا وماريلاند على اسم ملوك وملكات بريطانيين. سميت سانت ألبانز على اسم قديس. سميت مدينة كولومبوس في أوهايو على اسم المستكشف الشهير.

يتم تسمية العديد من الأماكن على ميزات واضحة للأرض. ليس من المستغرب أنْ تعرف إن الموقع الذي يسمى Twin Peaks (القمتين التؤام) في الولايات المتحدة يقع في مكان يمكنك فيه رؤية جبلين. ومن السهل معرفة سبب تسمية هذه الأماكن:
Salt Lake City, Table Mountain, Swan River, Westport, Newtown, Great North Road

لذا من المفترض أن Bridge Road (طريق الجسر) له علاقة بالجسر كأن يقع عبره، أو يقود إليه.

ولكن هذا هو المكان الذي تصبح فيه الأمور شيقة، لأنه في كثير من الأحيان نجد مكانًا مثل Bridge Road، ولا توجد أي علامة على وجود جسر! الآن علينا القيام ببعض أعمال التحري. متى كان هناك جسر في هذا المكان؟ يمكننا أنْ نطلب من الناس الذين عاشوا في المنطقة منذ سنوات، إخبارنا ما إذا كانوا يعرفون. أو يمكننا الاطلاع على الخرائط القديمة، ومعرفة ما إذا كانت تذكر أحد الجسور.

علينا القيام ببعض أعمال التحري التاريخية مع معظم أسماء الأماكن، في الواقع. من أين جاء اسم (القهوة الساخنة)؟ اتضح أنه في أواخر القرن التاسع عشر فتح رجل نُزلاً على الطريق السريع في ولاية ميسيسيبي وبدأ يبيع القهوة الساخنة للمسافرين. وكانت هناك علامة في الخارج مكتوب عليها (القهوة الساخنة). وكان الجميع يتذكر المكان بسبب ذلك الشراب، وبدأوا يقولون أشياء مثل: « دعنا نتوقف عند القهوة الساخنة ». في نهاية المطاف بدأ

استخدام الاسم، ليشير ليس للنزل فقط، ولكن لجميع المزارع والمنازل في الحي.

أحيانًا يكون معنى اسم المكان واضحًا، ولكن الحدث الذي تسبب في الاسم قد تم نسيانه طويلاً. بينما نسافر حول العالم سنجد أسماء مثل Cape Catastrophe و Fort Defiance و Skeleton Bay و Foggy Island. يجب أن تكون هناك هياكل عظمية منتشرة عندما وصل المستكشفون أولاً إلى خليج Skeleton (الجمجمة) في إفريقيا، لكن لا أحد يعرف لمن تعود هذه الجماجم والهياكل العظمية.

العديد من الأسماء تتكون من جزأين أو أكثر. أحيانًا يكون من السهل معرفة معنى كل جزء مثل:

Southport, Horsepath, Blackheath, Newcastle

لكن اسمًا مثل Leethorpe ليس واضحًا إلى حدٍ ما، لأن جزأين من الكلمة ليس لهما معانٍ ندركها في اللغة الإنكليزية الحديثة. ما معنى (lee)؟ وما معنى (thorpe)؟ بمجرد أنْ نعرف ما تعنيه هذه الكلمات باللغة الإنكليزية القديمة، منذ ألف عام، يصبح لهذا الاسم معنى. جاءت كلمة (lee) من كلمة إنكليزية قديمة تعني الخشب أو تقطيع الخشب. (thorpe) جاءت من كلمة إنكليزية قديمة تعني قرية أو مزرعة. إذا كنت تعيش في ليثورب، في العصور الإنكلو سكسونية، فإنك ستعيش في قرية بنيت في منطقة غابات واضحة.

في ما يلي ثلاثة عناصر أخرى نراها غالبًا في أسماء المدن:

- إذا انتهى اسم إحدى المدن بكلمة (by)، فهي في الأصل كانت مزرعة أو قرية صغيرة حيث استقر بعض الغزاة الفايكينغ. وقد يشير الجزء الأول من الاسم أحياناً إلى الشخص الذي كان يمتلك المزرعة. فاسم Grimsby يشير إلى Grim's village (قرية غريم). deerby كانت قرية تمّ العثور فيها على الغزلان (deer). ما زالت كلمة (by) تعني (المدينة) باللغة الدنماركية.
- إذا انتهت المدينة باللفظ (ing)، فإنها تخبرنا عن الأشخاص الذين عاشوا هناك. Reading تعني (شعب Reada)، أي بعبارة أخرى (عائلة أو قبيلة Reada). نحن لا نعرف من هو Reada، ولكن اسمه يعني (أحمر)، لذلك ربما كان لديه شعر أحمر.
- إذا انتهت إحدى المدن باللفظ (caster) أو (chester)، فقد كانت في الأصل قلعة أو بلدة رومانية. وأصل الكلمة من الكلمة اللاتينية (castra)، بمعنى المعسكر أو التحصين. الجزء الأول من الاسم هو عادة اسم المنطقة التي تمّ بناء القلعة فيها. لذا فان Lancaster لانكستر، على سبيل المثال، تعني: (الحصن الروماني المقام على نهر Lune).

بدأت هذه التسميات في بريطانيا، ولكن اليوم يمكن العثور عليها في أي مكان في البلدان الناطقة بالإنكليزية. هناك عدة مدن تدعى لانكستر في أستراليا وكندا، والعديد منها في الولايات المتحدة الأمريكية.

تحتوي جميع أنواع الأماكن على أسماء، من أكبر موقع إلى أصغرها. وهنا بعض الأمثلة:

- الكواكب Venus سمي الكوكب فينوس على اسم آلهة الجمال والحب الرومانية.
- قارات America سميت قارة أميركا على اسم مكتشفها أميريكو فيسبوكي، Amerigo Vespucci.
- البلدان Wales جاءت تسمية ويلز من كلمة إنكلو سكسونية تعني (الأجانب) أو (البرابرة).
- الولايات Kentucky تعود تسمية كنتاكي إلى لغة الهنود الحمر في أميركا، Iroquois، وتعني (أرض المروج).
- المقاطعات Bedford بيدفورد هي معبر لنهر (ford) حيث عاش بيدا.
- الجبال Everest تمّ تسمية جبل إيفرست على اسم السير جورج أيفرست، الذي سجل لأول مرة ارتفاعه وموقعه.
- المناطق Tottenham توتنهام (في لندن) هي (منزل توتا).
- المدن Birmingham برمنغهام هي (قرية عائلة بيورما).
- البلدات Ormskirk في لانكشاير هي كنيسة أورم (Orm's church).
- الشوارع Oxford سمي شارع أكسفورد في لندن على اسم دوق أكسفورد الثاني، الذي كان يملك الأرض في أوائل القرن الثامن عشر.

هذه ليست قائمة كاملة. نحن نطلق أسماءً على الحقول والأنهار والوديان والتلال والأخشاب وجميع أنواع المعالم الجغرافية الأخرى. ونقوم بتسمية المتاجر والحانات والمطاعم والمنتزهات الترفيهية والمدارس والكليات والمزارع وجميع أنواع المباني الأخرى. يحب البشر تسمية الأشياء.

وعلى وجه الخصوص، يحب الناس تسمية المنزل الذي يعيشون فيه. هذا موضوع مثير للاهتمام حقًا للبحث، لأنه لا تتاح للناس إلّا فرصة واحدة لتسمية مكان عائد لهم. في جميع الأمثلة الأخرى في هذا الفصل، فكر شخص آخر بالاسم. ولكن عندما يشتري الأشخاص منزلًا، يمكنهم أنْ يعطوه اسمًا بأنفسهم، أو تغيير الاسم إذا لم يعجبهم الاسم الموجود بالفعل.

العديد من أسماء المنازل تصف ببساطة كيف تبدو أو أين موقعها، أو ما كان يحدث هناك عادة. في دراسة استقصائية أجريت قبل بضع سنوات، كانت أفضل 20 اسمًا من أسماء المنازل الأكثر استخدامًا في المملكة المتحدة هي:

1– The Cottage
2– Rose Cottage
3– The Bungalow
4– The Coach House
5– Orchard House
6– The Lodge
7– Woodlands
8– The Old School House

11. The Barn
12. The Old Rectory
13. Hillside
14. Hillcrest
15. The Croft
16. The Old Vicarage
17. Sunnyside
18. Orchard Cottage

9– Ivy Cottage	19. Yew Tree Cottage
10– The Willows	20. The Laurels

يبدو كما لو أن معظم هذه الأماكن توجد في البلدات والقرى. فأسماء الأشجار والنباتات شائعة جدًا في هذه القائمة، وكذلك الأسماء التي تصف استخدامات المبنى.

وتعتمد أسماء المنازل الشهيرة الأخرى على الحيوانات:

Badger Cottage و Magpies و Robin's Nest

وهناك عدد قليل من الأسماء تستخدم وجهات العطلات المفضلة:

Windermere, Costa Brava, Naples

أو أسماء من الكتب المفضلة:

Manderley, Rivendell, Bleak House

تمّ تسمية العديد من بيوت الضيافة في ستارتفورد أبون آفون على إحدى مسرحيات شكسبير. هناك بيت يسمى الليلة الثانية عشرة (إحدى مسرحيات شكسبير الشهيرة).

هناك إستراتيجية شعبية أخرى هي اللعب باللغة بطريقة ما. غالبًا ما يغير الأشخاص هجاء الكلمة:

Dunroamin، وKosy Korner، وFaerie Glen

أو تجعلك تقرأ الاسم بالاتجاه المعاكس:

Tivuli, Deroda, Tiedam

تخبرك الأسماء أحيانًا بمن يعيش هناك:

The Eddies ، (Bill + Marion)، Mikelynn (يعني المنزل عائد لأسرة Edwards).

ويمكنهم حتى استخدام لغة أجنبية:

Casa Nostra كلمة (بيتنا) بالأسبانية، Mon Repos، وتعني (مكان استجمامي) في الفرنسية.

لكن أفضل الأسماء، كما أعتقد، هي تلك التي لا نملك فيها أي فكرة عن سبب تسمية المنزل، حتى نطلب ذلك. أنا أعرف منزلاً يسمى (The Chimes). (ويعني الاسم مجموعة النغمات الصادرة عن أجراس الكنيسة) لماذا؟ لأنه يعود إلى عائلة تسمى Bell (وتعني جرس في اللغة الإنكليزية) آل بيل. وأعرف منزلاً آخر يسمى Spooks (الأشباح). لماذا؟ لإنه مجاور للمقبرة. أنا أعرف واحد آخر يسمى Offbeat غير محبوب. لماذا؟ لإنه منزل شرطي متقاعد.

أسأل دائماً عن الأسماء. فالناس يحبون أنْ يحكي قصة اسم منزلهم.



روايات تيري براتشيت تفترش الأرض

في عام 2009، أقيمت مسابقة لتسمية شارعين في مشروع سكني جديد في بلدة Wincanton، (وينكانتون هي بلدة صغيرة في مقاطعة سومرست الجنوبية، جنوب غرب إنكلترا). تمّ الطلب من الناس التصويت على اختيار الأسمين من قائمة مختصرة تضم 14 عنوانًا من عناوين سلسلة روايات ديسك وورد Discworld الشهيرة للكاتب تيري براتشيت (تيرينس ديفيد جون الشهير بتيري براتشيت هو روائي إنكليزي اشتهر بكتابة روايات الخيال العلمي، وخاصة الكوميديا). فلمن تصوّت؟

Lobbin Clout	**Mollymog Street**
Scoone Avenue	**Moon Pond Lane**
TenthEggStreet	**Cable Street**
Kicklebury	**Shamlegger Street**
MorporkStreet	**Street Peach Pie Street**
Ankh Street	**Treacle Mine Road**
The Ridings	**Hen and Chickens Field**

وكانت القصتان الفائزتان هما Peach Pie Street و Treacle Mine Road. هذه ليست المرة الأولى التي تصبح فيها عناوين سلسلة روايات أسماء للشوارع. في بلدة Grabowiecz صغيرة في بولندا، ستجد شارعًا اسمه Obi Wan Kenobi Street (وتلفظ Obi Wana Kenobiego

فباللغة البولندية)، (وهو اسم شخصية خيالية من عالم حرب النجوم وهو من الشخصيات الرئيسة في سلسلة أفلام حرب النجوم). وفي مدينة مارلبورو العليا، في ولاية ماريلاند، الولايات المتحدة الأميركية، تمّ تسمية العديد من الشوارع على شخصيات مسلسل ستار تريك. فتجد أسماء مثل Picard Lane و Reiker Drive و Laforge Lane و court Crusher

الفصل الثامن والعشرون



الأسماء الشخصية

ليس هناك شيء يزعج الناس، أكثر من تهجئة اسمهم بشكل خاطئ. فهم يبذلون كل ما في وسعهم للتأكد من أننا لا نفعل ذلك. يقولون أشياء مثل:

إنها Anne آن مع حرف (e).

هذا Taylor تايلور مع حرف (y) وليس (i).

إنها كاثرين Katherine مع حرف (k) و(e).

هيلاري Hilary لديها حرف واحد (l) (وليس اثنين، كما هو الحال مع هيلاري كلينتون Hillary Clinton).

أسماؤنا مميزة جدًا. غالبًا ما يقضي الوالدان الكثير من الوقت في التفكير في الاسم الذي يعطيانه لطفلهما. وحالما نحصل على اسمنا، فلن نغيره إلّا إذا حدث أمر جلل.

ولأجل الحديث عن هذه الأسماء نحتاج إلى بعض المصطلحات. وتبرز هنا ثلاث إمكانيات.

- أن يكون لدينا اسم الشخص الأول، مثل مايكل أو ماري (بالإنكليزية) Michael أو Mary، أو أنطوان أو إيميل بالفرنسية Antoine أو Amélie. وهذا الاسم يدعى أحيانًا بالاسم المعطى و. وللأشخاص ذوي الديانة المسيحية يدعى اسم التنصير.
- لدينا اللقب أو اسم العائلة، مثال على ذلك (في الإنكليزية Smith) سميث، (في الألمانية) Klein كلاين، أو في (الصينية) Wang وانغ. ويكون لقب المرأة هو اسم عائلتها قبل أنْ تتزوج.
- لدى العديد من الأشخاص اسم واحد أو أكثر من الأسماء الوسطى، مثل Michael James Smith أو Mary Catherine Jane Williams. في اللغة الإنكليزية، غالبًا ما يختصر الاسم الأوسط إلى حرف واحد، مثل Michael J. Smith وهو أمر يحدث كثيرًا في الولايات المتحدة.

اللغات المختلفة لها عادات تسمية مختلفة. في المملكة المتحدة، إذا التقينا بشخص يدعى مايكل جيمس سميث، فإنه عادة ما يطلق عليه مايكل. لكن في ألمانيا، إذا التقينا بشخص يدعى يوهان فولفجانج شميدت، فإنه عادة ما يطلق عليه فولفجانج. يستخدم الألمان الاسم الأوسط ويعرف بـ (اسم المناداة) اسم الشهرة Rufname يلفظ باللغة الألمانية (muh nah roof).

لم يكن الأمر دائماً هكذا. إذا عدنا بالزمن في بريطانيا إلى قبل ألف عام، فسنجد إن كل شخص يمتلك الاسم الأول فقط. فيما يلي بعض الأسماء الأولى الإنكلوسكسونية:

للرجال: إدوين، التفريث، أوسريك، سينولف، الفريد، كادمون، أوزوالد، وللنساء: فالديج، إديث، فريثرد، إثيلفليدلا، إيدجيفو، إلفريدا، هيلدا.

إذا أردنا التميز بين شخصين يحملان الاسم نفسه، فسيتعين علينا قول شيء مثل (Edwin the baker) ادوين الخباز أو (Edwin from Derby) ادوين الذي أصله من ديربي. تطوّرت فكرة اللقب المناسب خلال العصور الوسطى، عندما بدأ الناس يقولون أشياء مثل (إدوين بيكر) أو (إدوين ديربي). هذا هو السبب في أن العديد من الألقاب هي أسماء لوظائف، مثل هذه: Potter, Smith, Cook, Taylor, Shakespeare، معنى اسم شكسبير جندي (صدم الرمح).

أو أسماء الأماكن التي أتى منها الأشخاص: Hall, Norman (رجل من الشمال)، street, wood.

طريقة أخرى لصنع اللقب هو وصف مظهر أو تصرف مثل: John Long جون الطويل، (نقيض) (John short). جون القصير.

وهناك ألقاب أخرى على نفس الشاكلة مثل: Black (أسود)، Little (نحيف)، Young (شاب), Rich (غني), Armstrong (قوي) swift (رشيق).

وإذا لم يكن لدى الرجل خصائص مميزة واضحة، كان هناك مخرج سهل. ما عليك سوى أنْ تسميه ببساطة بـ (ابن) شخص ما أو (قريبًا) من شخص ما. إذا كانت الفتاة، فقط قل: «ماري (تنتمي إلى) توماس»، لذلك، تدعى ماري توماس. ومن هنا جاءت ألقاب مثل: جونسون، روبرتسون، واتكينز، نيكولاس، في آيسلندا، ينادون دائمًا الأشخاص حسب علاقتهم بوالديهم. إذا كان اسمي الأول هو إريك، ولدي ابن وابنة، فسيتم مناداتهم بـ Ericsson ومعناه ابن إريك (Ericsdottir ومعناه ابنة إريك).

في بعض الأحيان يتعين علينا القيام ببعض التحريات قبل أنْ نفهم لماذا يكون لدى البعض لقب خاص به. لماذا يدعى شخص newman؟ ربما لأنه كان وافد جديد إلى منطقة ما. لماذا يدعى شخص ما palmer؟ ألأنه قام بالحج إلى الأرض المقدسة، وكان يحمل (سعفة palm). لماذا يدعى شخص Leach؟ ألأنه كان طبيبًا، واستخدم (Leeches العلق) لعلاج الناس.

بمجرد أنْ يكون لدينا اسم، فإننا نميل إلى البقاء معه طوال حياتنا. ما نوع الأشياء التي تجعل الناس يغيرون اسمهم؟ يمكن أنْ يحدث ذلك خلال بعض أنواع الاحتفال الديني. في بعض البلدان، أثناء الاحتفال بطقوس التثبيت المسيحية، يضيف الناس اسمًا لقديس إلى الأسماء التي لديهم بالفعل. شخص ما يغير دينه الجديد غالبًا ما يغير اسمه الأول، كما فعل الملاكم كاسيوس كلاي عندما أصبح مسلمًا، أصبح اسمه محمد علي.

وعندما تصبح المرأة راهبة، في بعض الديانات يمكنها أنْ تحمل اسمًا جديدًا، حتى لو كان اسما ذكوريًا، في المسيحية، نجد أسماء مثل الأخت لوقا أو الأخت برنار، أسماء القديسين الذكور الشهيرة. يعمد الأشخاص أيضًا إلى تغيير أسمائهم بشكل متعمد عندما لا يعجبهم الاسم الذي يمتلكونه، أو لا يظنون إنه يبدو مناسبًا للعمل الذي يقومون به. تسمى هذه الأسماء الجديدة أسماء مستعارة pseudonyms (تنطق syooduh NIMS). لهذا السبب يقوم العديد من الكتّاب ونجوم السينما ونجوم البوب بتغيير أسمائهم. هل تعرف من هو تشارلز دودجسون، مارشال بروس ماذرز، وديفيد ماكدونالد؟ ستعرفها بشكل أفضل حينما تذكر أسماءهم التي اشتهروا بها مثل لويس كارول مؤلفة (أليس في بلاد العجائب)، ونجم البوب إيمينيم، والممثل ديفيد تينانت (دكتور هو).

في بعض الأحيان، لا يملك الشخص أي خيار. لا يمكن للممثلين استخدام أسمائهم الحقيقية إذا كان هناك فعلاً ممثل آخر بهذا الاسم. عليهم تغييرها. سيصبح الأمر مربكًا للغاية بخلاف ذلك. هذا هو السبب في أن نجم السينما الأميركي مايكل ج. فوكس يحمل (J) في اسمه. ولم يستطع الممثل البريطاني ديفيد ويليامز (ممثل ومقدم برامج بريطاني شهير) استخدام اسم ديفيد وليامز لنفس السبب.

الزواج هو أكثر الأوقات العادية التي يتغير فيها اللقب. ولكن هناك المزيد من الطرق للقيام بذلك أكثر مما تعتقد.

- الطريقة التقليدية هي أنْ تحمل الزوجة لقب زوجها. فإذا تزوجت ماري ويليامز من مايكل سميث، فستصبح ماري سميث.
- البديل هو أنْ تأخذ الزوجة اسم زوجها ولكنها تواصل استخدام اسمها كاسم أوسط. لذا، إذا تزوجت ماري ويليامز من مايكل سميث، فإنها تصبح ماري ويليامز سميث. في بعض الأحيان يقوم الزوج بنفس الشيء، لذا سيصبح مايكل ويل سميث. ويمكنهم بعد ذلك جمع الاسمين باستخدام فاصلة، لتكوين لقب مزدوج (double barreled) ماري ومايكل وليامز سميث.
- هناك خيار آخر هو أنْ تحتفظ الزوجة باسمها الأوسط في العمل ولكنها تستخدم اسم زوجها في المنزل، وينتهي بها الأمر أنْ تحمل أسمين. يحدث هذا كثيرًا عندما تكون المرأة مشهورة باسمها قبل الزواج.
- في بعض الأحيان، يأخذ الزوج اسم زوجته قبل الزواج. إذا تزوجت ماري ويليامز من مايكل سميث، يصبح اسمه مايكل ويليامز.
- ولكن ماذا يحدث إذا كنت لا تريد اختيار، أي اسم تحتفظ سواء كان اسم الرجل أم المرأة؟ أو لا يمكنك تحديد الاسم الذي يجب أنْ يظهر أولاً إذا كنت تريد الاحتفاظ بهما؟ هناك حل. حدث في السنوات الأخيرة، لا سيِّما في الولايات المتحدة الأمريكية، أن يقوم الأزواج بدمج اسميهما معًا، وتركيب

اسم جديد من الاسمين القديمين. لذا، إذا تزوجت ماري ويليامز بميشيل سميث، فقد يصبحون السيد والسيدة ويلسمث أو السيد والسيدة سميثامز.

لدينا جميعًا اسم واحد، أليس كذلك؟ خطأ. معظم الناس لديهم أكثر من واحد، لأن معظمنا لديه اسم حيوان أليف أو لقب. امرأة ما تدعى أليزابيث قد يطلق عليها أيضًا ليز أو ليزي أو ليسبيت أو بيت أو بيتسي أو إلسي أو أي من الأشكال الأخرى للأسماء عادة ما تستخدم هذه الأسماء من قبل أفراد العائلة والأصدقاء فقط. وقد تمتلك أليزابيث أيضًا لقبًا. إذا كان لديها شعر أشقر، قد يطلق عليها Blondie (معناها شقراء بالإنكليزية)، على سبيل المثال.

بدأ استخدام كلمة (nickname) الكنية لأول مرة في العصور الوسطى، حيث كانت في الأصلEke تلفظ eek وتعني (أيضًا)، والكنية هو اسم إضافي، يعبر عن علاقة خاصة. فالأصدقاء يطلقون كنيات على بعضهم البعض:

تشاك لتشارلز

سبايك لمايكل

زنجبيل لشخص ذو شعر أحمر

Spud لشخص اسمه هو Murphy (لأن spud و murphy هما مصطلحان عامّيان للبطاطا).

يطلق العشاق كنيات على بعضهم البعض، مثل Sweetypie و Mouse. وبالطبع فليست كل الكنى تكون لطيفة دائمًا، خصوصًا

عندما يستخدمها الأطفال. لا أحد يريد أنْ يطلق عليه Piggy (خنوص وهو ابن الخنزير) أو Porky (خنزير) أو Four Eyes (صاحب العيون الأربعة، كنية من يلبس النظارات)، لكننا لا نسمع هذا النوع من الكنيات إلّا نادرًا.

ونحن لا نختار هذه الأنواع من الكنيات. يطلقها علينا الآخرون. يطلق الطلاب ألقابًا على مدرسيهم. ويطلق الصحفيون ألقابًا على السياسيين. غالبًا ما يكون للمجرمين أسماء مستعارة، مثل Scarface Al Capone أو Jack the Ripper. حتى الملوك والملكات يمكن أن يكون لديهم ألقاب، مثل ريتشارد قلب الأسد (ريتشارد الأول) أو الملك المرح (تشارلز الثاني).

يمكن أنْ يكون لدى مجموعات من الناس كنيات أيضًا، خصوصاً المنظمات ذائعة الصيت. من هم التوريس (Tories)؟ إنها كنية حزب المحافظين في المملكة المتحدة. من هم المدفعجية؟ انه لقب نادي الأرسنال الإنكليزي لكرة القدم.

هل ذهبت للتسوق في محلات ماركس وسباركس؟ انه لقب محلات ماركس وسبنسر الشهيرة في بريطانيا (استخدمت هاتان الكلمتان – ماركس وسباركس – لقبًا للمحلات الشهيرة لان فيهما سجع). حتى المدينة يمكن أنْ يكون لها لقب وكنية، أو الدولة. ما هي المدينة البريطانية التي تلقب بمدينة بومبي؟ انها مدينة بورتسموث. من هي الولاية ذات النجمة الوحيدة؟ انه لقب ولاية تكساس (للدلالة على وضعها السابق كجمهورية مستقلة).

ولكن هناك موقف واحد نختار فيه لقبنا. وهو عندما نستخدم الإنترنت. إذا انضممت إلى مجموعة دردشة أو شبكة اجتماعية، مثل فيسبوك، أو أرسلت تعليقات إلى المدونات، أو بريدًا إلكترونيًا، فيمكنك إذا كنت ترغب أنْ تستخدم لقبًا، أو (nick)، كما يسمى عادةً. هناك بعض الألقاب المبتكرة في الفضاء الإلكتروني. يطلق الناس على أنفسهم كل أنواع الأسماء المجنونة. مثل:

Stardude, Crazybabe, Yoyo, Dave66, XXYYZZ

حتى أنك لا تستطيع نطقها!

هل تعرف alf a bett

يحب الكتّاب أنْ يبتكروا أسماءً تعكس شخصياتهم. تشارلز ديكنز لديه بعض الأمثلة الرائعة، مثل Scrooge, Pecksniff, Bumble، وSweedlepipe، (تشير هذه الأسماء المبتكرة إلى صفات الشخصيات التي تحملها مثل scroog البخيل على سبيل المثال)، أما الكاتبة ج. ك. رولينغ مؤلفة سلسلة كتب هاري بوتر، فابتكرت لنا مجموعة من الأسماء مثل Dumbledore, Sprout, Hagrid, Kettleburn. وغيرها الكثير.

من المثير للاهتمام كيف تبدو بعض الأسماء لطيفة وبعضها سيئ.

تميل الأسماء ذات الأصوات الساكنة الناعمة مثل [m] و{n] و{l] إلى إن تكون ألطف من الأسماء التي تحتوي على حروف ساكنة صلبة مثل [k] و [g]. تخيل إننا نقترب من كوكب، حيث يعيش كائنين غريبين ينتميان إلى عِرقين مختلفين. العِرق الأول يدعى Lamonians. والثاني يدعى Grataks. ما هو العرق الذي يبدو وكأنه الأكثر ودًا؟ معظم الناس سيختارون Lamonians، لأن هذا الاسم يبدو لطيفًا أكثر. أما الاسم Grataks فيبدو مقرفًا.

يحب الناس التلاعب بالأصوات في الأسماء أيضًا. نجد الكثير من مثل هذه الأسماء في كتب الفكاهة، ومن الممتع للغاية أنْ نبتكر أسماء أخرى جديدة.

Chris Cross	**Jim Nasium**	**Mustapha Camel**
Dan D Lion	**Laura Norder**	**Noah Zark**
Dinah Mite	**Minnie Buss**	**Patty Cake**
Eva Brick	**Mona Lott**	**Stan Dupp**

الفصل التاسع والعشرون



الثورة التقنية

لقد غيّر اختراع الكمبيوتر طبيعة حياتنا اللغوية. خلال السنوات القليلة الأولى من حياتنا، كان كل ما يمكننا فعله هو الاستماع والتحدّث. تعلمنا القراءة والكتابة في حوالي سن الخامسة. عدد قليل فقط من الناس، ممن كانوا أكبر سنًا منا، تعلموا الكتابة باستخدام الآلة الكاتبة. واستمر الحال على ما هو عليه. ثم جاءت أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة، والآن يستخدم الملايين والملايين من الأفراد لوحات المفاتيح للتواصل مع بعضهم البعض إلكترونيًا. ويشمل ذلك حتى الأطفال الصغار جدًا. أعرف العديد من الأطفال في سن الثالثة يمكنهم العثور على حروف أسمائهم على لوحة المفاتيح وكتابتها على الشاشة. لا يمكنهم الكتابة حتى الآن، لكن يمكنهم الطباعة.

تكون سرعة الطباعة بطيئة في البداية، ولكنها سرعان ما تصبح سريعة. وبمجرد أنْ نتقن الطباعة، يمكننا القيام بشيء لم يكن ممكنًا القيام به على الآلة الكاتبة القديمة. يمكننا استخدام أصابعنا لإجراء محادثة عادية. انظر إلى الطريقة التي تتم بها هذه المحادثة. تقوم جين واريك بإجراء مراسلة فورية فيما بينهما.

جين: hi مرحبًا

إريك: hi مرحبًا

جين: gotta mo؟ هل أنت ذاهب

إريك: sure بالتأكيد

جين: thought u might b اعتقد إنك ربما

جين: havin a bath تستحم

إريك: no كلا

إريك: had one last week لقد استحممت في الأسبوع الماضي

جين: J

إريك: or was it last month???؟ أم كان ذلك في الشهر الماضي؟؟

إريك: cant rememebr !! لا أستطيع أنْ أتذكر

استغرق هذا الحديث أقل من نصف دقيقة. إنه أبطأ كثيرًا مما لو كانوا وجهًا لوجه ويتحدثون مع بعضهم البعض، لكنه ما يزال سريعًا إلى حد ما.

من السهل أنْ نرى، من الطريقة التي يكتبون بها، إن جاين وإيريك من الشباب. إنهم يتحدثون بطريقة غير رسمية وعصرية للغاية (hi) و(gotta) و(mo) (for moment) للحظة)، وهم

يتهجّون الطريقة التي يتكلّمون بها، فيحذفون حرف(g) في كلمة (havin). يستخدمون اختصارات الإنترنت (u) و(b). يكتب إريك كلمة (يتذكر) خطأ. إنهم لا يكلفون أنفسهم عناء بدء عبارتهم بحروف كبيرة. لا يستخدمون علامات تنقيط قياسية. ولا يلتزمون بالتوقف الكامل في نهاية الجمل، بالإضافة إلى الفاصلة العليا في (cant). يكتب إريك عدد غير معتاد من علامات التنقيط في جملة واحدة (؟؟!!)، وتستخدم جين علامات التنقيط التي تظهر على الشاشة في شكل وجه مبتسم.

قد يقول بعض الناس إن هذا الحوار يظهر أن جاين وإيريك ليسا جيدين في اللغة الإنكليزية. قد نسمع تعليقات مثل هذه إنهم لا يعرفون كيفية كتابة الحروف الكبيرة أو استخدامها. ولا يعرف إريك كيف يتهجى (تذكر)! إنه (أمر رهيب!) هل هم على حق؟

لا ليسوا كذلك. لقد عرفت جين وإريك. في الحقيقة، لقد تلقيت رسالة من جين منذ فترة وجيزة وكانت بهذا الشكل:

عزيزي داوود، Dear David

Thank you very much for your message of a few days شكرًا جزيلاً على رسالتك التي أرسلتها قبل بضعة أيام.

I am sorry I haven't been able to answer it until now أنا آسفة لأنني لم أتمكن من الرد عليها إلّا الآن،

But I've been on holiday ولكنني كنت في عطلة.

من الواضح إنها تعرف كيفية استخدام نقاط التوقف والفواصل العليا. وإذا قرأت كل رسالتها، فلن تجد خطأ إملائيًا واحدًا. من الواضح إنها تعرف كيف تستخدم اللغة الإنكليزية القياسية. وأريك كذلك فهو. في الواقع، كاتب معروف، ويؤلف الكتب من أجل كسب لقمة العيش.

ما قام به جين وإريك هو تعلم أسلوب جديد في كتابة اللغة الإنكليزية مناسب للكمبيوتر. تتمثل النقطة الجوهرية للرسائل الفورية في أنْ تتم عمليات تبادل الكلمات بأسرع ما يمكن. لهذا السبب يُطلق عليها (فورية). لذا، لا يضيع الكتّاب الوقت باستخدام ضغطات مفاتيح إضافية. سيؤدي ذلك إلى إبطاء الأشياء كثيرًا إذا استخدموا مفتاح shift في لوحة المفاتيح الخاصة بهم لكتابة حرف كبير في بداية كل جملة. وإذا كانت الجملة واضحة بدون علامة تنقيط، فلا يهتم بوضع أحدها. وبالمثل، لا يضيع الوقت في تصحيح خطأ في الكتابة إذا كانت الكلمة قابلة للتمييز. من الواضح ما هو (rememebr)، لذلك يتركها إريك على حالها.

كما إن هذه الطريقة في المحادثة تكشف عن بعض الطرق الجديدة لاستخدام اللغة. انظر إلى الرمز التعبيري الموجود في المحادثة (الايموشن). لو كانت هذه المحادثة قد حدثت وجهًا لوجه، يمكننا أنْ نتخيل كيف كان رد فعل جين في تلك اللحظة. لقد ابتسمت. الآن أصبح بإمكانها أنْ تبتسم في الرسالة.

وذلك باستخدام تعبير الوجه المبتسم. J إنه يوفر عليها التفكير في بعض الكلمات للتعبير عن مشاعرها. كان بإمكانها كتابة ha ha (ها ها) أو تعبير (LOL الضحك بصوت عالٍ) أو أي شيء آخر، لكن الابتسامة تجعل الحديث أكثر تفاعلاً.

لاحظ أيضًا الطريقة التي تجزيء بها جين وإريك الجمل أحيانًا إلى جمل أصغر، على النحو التالي:

جين: though u might b اعتقدت إنك ربما

جين: havin a bath تأخذ حماماً

يرغب الأشخاص عادة الإبقاء على مقاطع جملهم قصيرة عند كتابة الرسائل الفورية. من غير المعتاد جدًا العثور على مقطع يحتوي على أكثر من ست أو سبع كلمات. لذلك عندما يبدأ شخص ما في كتابة جملة يفضل أن تكون قصيرة، وعادةً ما سنجد أنها مقسمة إلى أجزاء صغيرة. إليك مثال آخر من المحادثة جرى لاحقًا:

جين: I just wanted to know أردت فقط أنْ أعرف

جين: if you've finished with the dvd إذا كنت قد انتهيت من قرص الدي في دي DVD

جين: u borrowed last week لقد اقترضته الأسبوع الماضي

جين: cos Emma would like to see it (معنى cos هنا: because: لأن H وبسبب) أن إيما تود أن تشاهده

عندما يقوم شخص بفعل ذلك، فإنه يسمح بالطبع، للشخص الآخر أن يقاطعه في أي وقت. لو كان (إيريك) قد خمّن ما ستسأله (جين)، فلعله فعل هكذا:

جين: أردت فقط أنْ أعرف

جين: إذا كنتَ قد انتهيت من قرص الدي ڤي دي

إريك: نعم

جين: الذي اقترضته الأسبوع الماضي

إريك: لقد كان رائعًا

جين: لأن إيما تود أنْ ترى ذلك

هذه محادثة غريبة للغاية. ولا تشبه ما نفعله إذا كنا نتحدث وجهًا لوجه. وبالتأكيد لا تشبه أي نوع من المحادثات المكتوبة التي رأيناها من قبل في الروايات أو المسرحيات. إنها مثل شخصين يتحدثان في نفس الوقت. ولكن كل ذلك له معنى، وعندما يعتاد الناس على استخدام الكمبيوتر بهذه الطريقة، فهم لا يلاحظون حتى أن أطراف الحديث تتشابك معًا على هذا النحو.

تعد المراسلة الفورية إحدى الطرق الجديدة للاتصال التي يوفرها الكمبيوتر لنا. هناك العديد من الطرق الأخرى.

- يمكننا إرسال رسائل البريد الإلكتروني.
- يمكننا الانضمام إلى غرفة دردشة.
- يمكننا كتابة مدونة.
- يمكننا الانضمام إلى شبكة اجتماعية، مثل فيسبوك Facebook.

- يمكننا إرسال تغريدات قصيرة باستخدام نظام مثل تويتر Twitter.
- يمكننا إرسال رسائل نصية.
- يمكننا البحث في صفحات الويب.
- يمكننا ممارسة الألعاب عبر الإنترنت.
- يمكننا استخدام جهاز الكمبيوتر كهاتف.

الشيء المدهش هو أن معظم هذه الاحتمالات حديثة للغاية. لم يتم اختراع شبكة الويب العالمية حتى عام 1991. معظم الناس لم يستخدموا البريد الإلكتروني قبل منتصف التسعينيات. لم يكن نظام البحث مثل Google موجودًا حتى عام 1999. لم تنطلق الرسائل النصية إلّا في نهاية القرن العشرين. أصبح التدوين شائعًا بعد ذلك بقليل. بدأ الفيسبوك في عام 2004. وتويتر في عام 2006. وبعبارة أخرى - أنا أكتب في عام 2009 - معظم الأشياء التي نقوم بها على الإنترنت كانت موجودة منذ 10 سنوات أو نحو ذلك. ومع ذلك، يبدو الأمر كما لو أنها كانت معنا منذ الأزل.

بالنسبة للشباب، بالطبع، تأتي هذه الأشياء معهم منذ الولادة. إذا كنت في سن المراهقة، فلن تتذكر الوقت الذي لم يكن فيه إنترنت. لقد كبرت وهو في كل مكان حولك. لقد تعلمت، دون تفكير تقريبًا، كيفية التحدّث والكتابة على أجهزة الكمبيوتر بطريقة طبيعية، تمامًا كما فعلت عندما كنت تتعلم لغتك

الأمّ. لم يتعلمه كبار السن بهذه السهولة. بالنسبة لهم، كان تعلم كيفية التواصل على أجهزة الكمبيوتر أشبه بتعلّم لغة أجنبية!

في الواقع، سيكون من الأكثر دقة قول كلمة (اللغات). لأن أحد الأشياء المثيرة للاهتمام حول الطريقة التي نتواصل بها بواسطة الكمبيوتر هي إنها تحتوي العديد من الأنماط المختلفة. فالطريقة التي نرسل بها البريد الإلكتروني تختلف عن الطريقة التي نكتب فيها في مدونتنا وتختلف عن الطريقة التي نكتب فيها رسالة نصية. في الواقع، لن تسمح لنا البرمجيات أحيانًا بالقيام بذلك. إذا أردنا إرسال رسالة باستخدام تويتر، يجب أنْ لا يتجاوز عددها 140 حرفًا من حروف الأبجدية. تتيح لنا الرسالة النصية كتابة ما يصل إلى 160. حرفًا وهذا يعني إن لغتنا ستكون مختلفة تمامًا عما نفعله عند الكتابة في المدونة، حيث لا يوجد مثل هذا القيد، أو حين ننشر في الفيسبوك لكي نرى كيف يمكن أنْ تتميز اللغة الإلكترونية، فإن الفصل التالي سوف يلقي نظرة عن قرب على واحدة من أكثر وسائطها شيوعًا، وهي الرسائل النصية.

لا تصرخ

ما رأيك إذا تلقيت رسالة بريد إلكتروني كهذه؟

WILL YOU BRING MY DVD ROUND PLEASE TED

هل يمكنك جلب قرص الدي في دي الخاص بي من فضلك. تيد.

قد يُشعِرك ذلك ببعض الخوف، لأن الرسالة مكتوبة كلها بالحروف الكبيرة. يبدو الأمر كما لو أن تيد يصرخ عليك. هل هو غاضب؟ هل هو منزعج؟

في الواقع، كل ما حدث على الأرجح هو أن تيد ترك زر الحروف الكبيرة في لوحة المفاتيح مفتوحًا، وجاءت الكتابة كلها بحروف كبيرة. ولم يفكر في مدى ما قد يحدثه ذلك من تأثير عليك.

إنها (أعراف الإنترنت السيئة) للتعبير عن الصياح والغضب بهذه الطريقة. حتى يصعب عليك القراءة أيضًا. تقول كتيبات كتالوج الكمبيوتر إنك يجب أنْ **لا تفعل** ذلك إلّا إذا كنت تقصده فعلاً.

من المؤكد أن كتابة الكلمة باستخدام الحروف الكبيرة، كوسيلة للتأكيد، هو أمر صحيح، ولذلك. فإن من الطبيعي إنه ليس هناك حرج في كتابة هذه الجملة:

I thought the film was GREAT

اعتقد إن الفيلم كان **رائعًا**. (للتأكيد على كلمة رائع كتبت بالحروف الكبيرة).

ولكنك سترى طرقًا أخرى للتأكيد على كلمة ما، مثل تغيير حرف أو إضافة مسافات أو كتابة علامات نجمية أو شرطة سُفْلية.

I thought the film was **great**.

I thought the film was great.

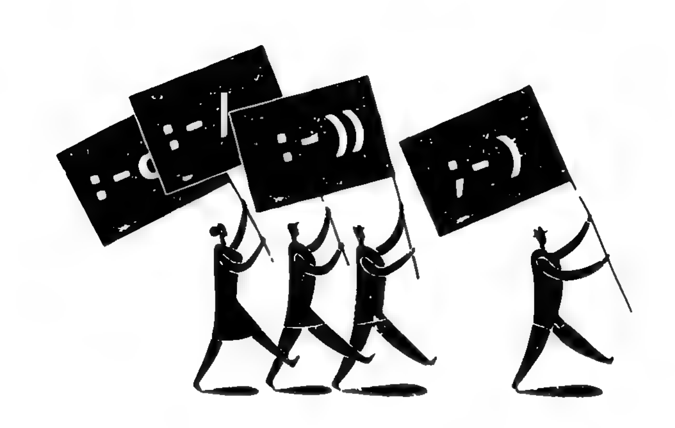
I thought the film was *great*.

Ithought the film was_great_.

جميعها تعني: اعتقد إن الفيلم كان رائعًا.

من السابق لأوانه تحديد أي من هذه الطرق سيصبح الطريقة القياسية لإظهار التركيز. سيصوت الناس باستخدام أصابعهم. (بالنسبة لي سأختار العلامة النجمية).

الفصل الثلاثون



لغة الرسائل النصية

إنها لغة جديدة ومجنونة. لا أستطيع أن أفهم كلمة واحدة منها! هذا ما سمعته من أحدهم وهو يتحدث عن الرسائل النصية. وتابع قائلاً: «إذا استمر الأمر على هذا المنوال، فإن الأمر سينتهي بشباب اليوم إلى إنهم لن يعرفوا كيف يكتبون!».

حسنًا، أنت قارّئ من الشباب الذين يتحدّث عنهم هذا الشخص. هل هذا صحيح؟ وهل ينطبق هذا الأمر على كل لغة الرسائل النصية. هل: «هي حقًا لغة جديدة؟ وهل ستجعلك حقًا لا تعرف كيف تكتب؟

بمجرد أنْ نبدأ بدراسة نصوص هذه الكتابات بعناية، كما يجب أنْ يفعل اللغوي الجيد، يتبين إنها ليست غريبة كما يعتقد بعض الناس. في ما يلي بعض الأمثلة للنصوص الحقيقية التي جمعتها.

U2 Glad journey went OK

أتمنى لك رحلة سعيدة؟

Landed safely. On way to town xxx

هبطت بسلام. في الطريق إلى المدينة. xxx

I'll be there by 7

سأكون هناك عند السابعة

We've just had a drink with jon!!!!!

لقد شربنا للتو مع جون!!!!

من أرسل هذه النصوص؟ أشخاص من جميع الفئات. الأولى والأخيرة أرسلها فتيان مراهقون. وكانت البقية من أشخاص في الأربعينيات والخمسينيات من عمرهم.

فيما يلي مثالان آخران. من أرسل هذه الرسالة، باعتقادك؟

Tropical Storm Barry Atlantic has formed, located 320 miles (250 km) southwest of Tampa Florida

تشكلت العاصفة الاستوائية باري (في المحيط الأطلسي)، وعلى بعد 320 ميلاً (520 كم) جنوب غرب تامبا فلوريدا.

Barack has chosen Senator Joe Biden to be our VP nominee

اختار باراك السناتور جو بايدن ليكون مرشحنا لمنصب نائب الرئيس.

الأولى كانت من محطة للطقس في أميركا، تنبه الناس إلى أن هناك عاصفة تقترب. والثاني كان من مكتب الحملة الانتخابية للرئيس الأميركي باراك أوباما، في أب 2008، عندما أعلن

عن اسم الشخص الذي سيرشح ليكون نائبًا له. لاحظ أنه في هذه الرسائل، لا توجد أي اختصارات تجعلنا نربطها بالرسائل النصية. ومكتوبة بتهجئة إنكليزية قياسية، مع الاستخدام الصحيح للحروف الكبيرة وعلامات التنقيط.

معظم الرسائل النصية التي ترسل حول العالم الآن هي مثل هذه الرسائل. ترسلها مؤسسات مثل محطات الإذاعة والتلفزيون والمدارس والكليات والمحلات التجارية والشركات والمجموعات الدينية والهيئات الحكومية. تتضمن هذه الرسائل معلومات حول ما يحدث في العالم وتسألنا عن ردود أفعالنا. بالكاد نرى اختصارات فيها مثل (c u l8r) see you later أراك لاحقًا. في الواقع، لا تسمح معظم المؤسسات لمستخدميها باستعمال هذه الاختصارات، لأنها تعرف أن هناك خطرًا من أنْ يفهمها الأشخاص الذين يتلقون النصوص.

حتى النصوص المُرسلة من قبل المراهقين ليست غريبة كما يعتقد بعض الناس. إليك هذه التجربة التي يمكن لأي شخص القيام بها. نكتب مجموعة من النصوص، ونحسب جميع الكلمات فيها. بعد ذلك، نحسب فقط الكلمات النصية (textisms)، أي الاختصارات مثل (c) و(l8r) و(msg) وما إلى ذلك. ما النتيجة التي سنحصل عليها؟ لنجربها على رسالتي تهنئة كتبها فتيان مراهقون إلى صديقهم بمناسبة عيد ميلاده:

Happy birthday 2 u. hope this day is the best and all ur wishes come true. love and kiss from me and tom

عيد ميلاد سعيد. نأمل أنْ يكون هذا اليوم هو الأفضل وأنْ تتحقق كل أمنياتك. كل الحب وقبلات مني ومن توم

Hey 1 year older now. does that mean a yr (year) smarter? have a gr8 (great) day. light the candles. cut the cake. dance and shake. luv from all@the club

هاي لقد زاد عمرك سنة واحدة الآن. هل هذا يعني إنك أصبحت أكثر ذكاءً؟ هذا يوم عظيم. أوقد الشموع. إقطع الكعكة. أرقص وصفق. كل الحب من الجميع في النادي.

هذا جدول يبين عدد الكلمات العادية وعدد اختصارات لغة الرسائل النصية الموجودة في الرسالتين

اختصارات لغة الرسائل النصية		الكلمات العادية	
U (you)	happy	wishes older	candles
2 (to)	birthday	come now	cut
ur	hope	true does	cake
yr	this	love that	dance
gr8	day	kisses mean	shake
luv	is	from (x2) smarter	club
@	the (x4)	me have	all (x2)
1	best	tom a (x2)	year
	and (x4)	hey day	light
8 المجموع		45	

هذه نتيجة نموذجية. توجد نسبة صغيرة فقط من كلمات أو اختصارات لغة الرسائل النصية في الرسائل (8 – 45). وعادة ما تتراوح نسبتها في كل نص ما بين 10 إلى 20 في المئة. معظم الناس يجدون هذا مثير للدهشة.

تأتي مفاجأة أخرى عندما يتعلّم الناس أن الاختصارات (الجديدة) المزعومة ليست جديدة على الإطلاق. هل تم ابتكار اختصارات ورموز مثل (you (u لكلمة (أنتَ) و(gr8) لكلمة great ل. (رائع) للهواتف المحمولة فقط؟ كلا على الإطلاق. يمكننا العثور على أشخاص يستخدمون هذه الأنواع من الاختصارات منذ أكثر من 200 عام. في لعبة أطلقوا عليها اسم (rebuses) وتلفظ ree buses، (تتكون هذه اللعبة من صور ورموز تمثل مجموعة من الكلمات) وكانت لعبة شعبية واسعة الانتشار آنذاك. ومن بين من كان يلعبها الملكة فيكتوريا والكاتبة لويس كارول.

عندما كنت صبيًا، كنت متعودًا أن تكون هذه اللعبة هي هديتي في أعياد الميلاد السنوية الكريسماس. كانت تشبه إلى حد ما الطريقة التي تطوّرت بها بعض أنظمة الكتابة المبكرة، كما رأينا في الفصل السابع عشر. سأريكم صفًا من الرموز مثل هذا، وسيتعين علينا معرفة إلى ماذا يشير:

YY U R YY U B I C U R YY 4 ME

معظم الأشخاص الكبار يتذكرون ذلك.

تقول هذه الرموز: أنت حكيم جدًا، لقد كنت حكيمًا جدًا، أرى إنك حكيم جدًا بالنسبة لي.

لذا فإن أي شخص يعتقد إن لغة الرسائل النصية هي (لغة جديدة) فهو مخطئ.

وعلى الأغلب فإن جميع الاختصارات الشائعة في لغة الرسائل النصية الإنكليزية كانت موجودة في اللغة منذ عدة سنوات. وينطبق الشيء نفسه على لغات أخرى. عدد قليل جدًا من المختصرات الجديدة laughing out loud :(lol الضحك بصوت مرتفع)، هي جديدة. وكذلك: (brb be right back سأعود حالاً).

وبالطبع، يتلاعب كاتبو الرسائل النصية الصغار بالاختصارات، تمامًا كما فعل أجدادهم. إنهم يحبون أنْ يخترعوا مختصرات جديدة، وكلما كانت أكثر جنونًا كلما كان ذلك أفضل. إليك بعض ما رأيته:

imo	in my opinion
imho	in my humble opinion
imnsho	in my not so humble opinion
imhbco	in my humble but correct opinion
rotfl	rolling on the floor laughing
rotflol	rolling on the floor laughing out loud
rotfluts	rolling on the floor laughing unable to speak
rotflmao	rolling on the floor laughing my ass off

لقد ألّف الناس في الواقع قواميس تدرج مئات من الإبداعات مثل هذه. لكن نادرًا ما تجد فيها أي من هذه النصوص التي يرسلها الناس إلى بعضهم البعض كل يوم.

لماذا بدأ الأشخاص في استخدام الاختصارات عندما بدأوا في إرسال رسائل نصية؟ السبب الواضح هو لتوفير الوقت والطاقة. فيكون من الأسرع كثيرًا كتابة (u) بدلاً من you (أنت). ونرى أيضًا هذا النوع من الاختصارات المستخدمة في مجالات أخرى من استخدامات الكمبيوتر للتواصل حيث يرغب الأشخاص في الكتابة بسرعة، مثل غرف الدردشة ورسائل البريد الإلكتروني.

ومع ذلك، هناك سبب ثانٍ. اعتقد الناس إنها كانت ممتعة. ظنوا إنه من الرائع إرسال الرسائل التي تتلاعب بهجاء الكلمات، ترك الحروف واستخدام الرموز بدلاً منها، مثل (8) و(@). كان هذا شيئًا لا يمكنهم فعله في أنواع الكتابة الأخرى.

لكن فكر في الأمر. كما قلت في الفصل التاسع، إذا كان من الرائع التخلي عن الحروف، فيجب أنْ نعرف إنها موجودة في المقام الأول. بعبارة أخرى، علينا أنْ نعرف كيف نتهجى قبل أنْ نتمكن من كتابة النص بشكل جيد. ويجب أنْ نعرف كيفية ربط الحروف بالأصوات، وإلّا فلن نتمكن أبدًا من كتابة (gr8 great و(2day . Today) لذا ينبغي أنْ لا نتفاجأ، إذا، علمنا أن أفضل كاتبي الرسائل النصية هم أفضل مَنْ يتقن التهجي.

إذا كنا نتقن حقًا كتابة الرسائل النصية، فسنكون على الأرجح مبدعين للغاية أيضًا. والدليل هو في طريقة تلاعب

الناس بلغة الرسائل النصية وكيف يكتبون قصائد شعرية بها. كما إنهم يحاولون ترجمة عناوين الكتب أو الأفلام الشهيرة إلى لغة نصية، مثل:

ChRlE & t chocl8 factrE

1derl& alice in

وتقام في الوقت الحاضر عدة مسابقات شعرية في اللغة النصية. أعتقد إن بعض القصائد رائعة. هذه واحدة من المفضلة لدي، تم إرسالها إلى مسابقة مدرسية للأطفال من سن 5 إلى 12 عامًا في أستراليا قبل بضع سنوات:

quik hurry up & txt me
tell me u luv me
tell me how much u want me
tell me im da 1
oops wrong prsn
i sent it 2 my mum

إنه تحدٍ كبير، أن تستطيع كتابة قصيدة لا تتجاوز 160 حرفًا وتجعل السطور مناسبة بشكل جيد لشاشة الهاتف. لا يتعين عليك استخدام الاختصارات، إذا كنت لا ترغب في ذلك، وبعض القصائد الفعالة كانت مكتوبة بالكامل باللغة الإنكليزية القياسية. في ما يلي واحدة كُتبت لبرنامج تلفزيوني تقدمه هيئة الإذاعة البريطانية BBC في عام 2005 عن اللهجات واللكنات التي تستخدم في ويلز:

This is my voice
The voice of my family
The voice of my friends
The voice of my town
The voice of my past
The voice of my future
The voice of my heart
This is one of the voices of Wales

إنها متكونة من 144 حرفًا، وبدون فراغات.

هذه ليست المرة الأولى التي يحاول فيها الشعراء الكتابة ضمن حدود صارمة للغاية، بالطبع. وقصيدة الهايكو haiku تلفظ (high coo) مثال مشهور، والتي تمت كتابتها في اليابان منذ مئات السنين. إنها قصيدة قصيرة للغاية، تحكي عن حدث أو تجربة قصيرة، ولا تحتوي عادة على أكثر من 17 مقطعًا ولا تزيد عن ثلاثة أسطر. من الممكن تكييف هذا النمط مع اللغة الإنكليزية. إليك مثال على ذلك:

sunflash of sea birds
flying beyond the horizon
time to move on

لذلك دعونا نفعل ذلك.

الرسائل النصية في اللغات الأخرى

كيف يكتب الناس الرسائل النصية بلغات أخرى؟ الإجابة هي: بنفس الطريقة التي تكتب بها في اللغة الإنكليزية. إنهم يتخلون عن الحروف ويجعلون الأرقام تحل محل الأصوات.

الكلمة الفرنسية المرادفة لكلمة (شكرًا لك) هي (merci)، وهي تنطق بكلمة (mare see). تبدو الكلمة الفرنسية لـ (ستة) تشبه الكلمة الإنكليزية، ولكن يتم نطقها بشكل مختلف، وغالبًا ما تكون مثل لفظ كلمة see (سي). لذا يكتب الفرنسيون في كثير من الأحيان كلمة (merci) في لغة الرسائل النصية هكذا (mr6).

الكلمة الألمانية المرادفة لكلمة (الانتباه) هي كلمة (achtung). الكلمة الألمانية (eight) هي (acht). لذا يكتب الألمان في كثير من الأحيان (achtung) هكذا (8ung).

الكلمة الأسبانية المرادفة لكلمة (تحيات) هي كلمة (saludos)، تنطق بـ (sa loo doss). الكلمة الأسبانية (التي تعطي معنى اثنان) هي (dos)، كما تنطق (doss). لذلك يكتب المؤلفون الأسبان في كثير من الأحيان (saludos) كـ salu2.

الكلمة الويلزية المرادفة لكلمة (الآن) هي (nawr)، تنطق مثل الكلمة الإنكليزية now ولكن مع (r) في النهاية. الكلمة الويلزية لكلمة (تسعة) هي (naw)، تنطق (now). لذا غالبًا ما يكتب كاتبو الرسائل النصية الويلزيون (nawr) هكذا 9r.

الفصل الحادي والثلاثون

language
play

اللعب مع اللغة

تبين الرسائل النصية مدى سرعة استعداد الأشخاص للعب مع اللغة. بعد وقت قصير من اختراع الهاتف المحمول، بدأ الناس في إرسال الرسائل النصية لبعضهم البعض، وكان فيها تلاعب في تهجئة الكلمات العادية. بعد ذلك بوقت قصير، كما رأينا في الفصل 30، بدأوا في كتابة الشعر. وليس فقط الشعر. في بعض أجزاء العالم، مثل الصين واليابان، يتلقى ملايين الأشخاص دفعات يومية من أحدث الروايات المكتوبة بلغة الرسائل النصية!

من الأشياء التي نحبها هو اللعب مع اللغة، ونستمتع عندما يلعب أشخاص آخرون معها. ونمارس ذلك بواسطة مئات الطرق المختلفة. يمكن أنْ نحصل على المتعة باستخدام كل مجال

من مجالات اللغة التي ناقشناها في هذا الكتاب، ولكن يفضل الأشخاص على وجه الخصوص اللعب بالأصوات والحروف.

كل يوم نسمع عن شخص يخترع لقبًا مضحكًا. قد يكون Homer Simpson أو Ali G، أو Bugs Bunny، أو أي من عشرات الشخصيات التي نعرفها من شاشات السينما والتلفزيون. قد يقلد الطالب صوت المعلم. وقد يسخر الولد من صوت فتاة في نفس الصف، أو العكس. قد يظهر شخص ما فجأة ويتكلم بلهجة أميركية (مع إنه بريطاني) أو بلهجة بريطانية (رغم كونه أميركي)، أو يقلد صوت شخص ريفي (yokel) أو صوت (قرصان)، ويمضي قائلاً (ooh arr). يمكن لأي شخص القيام بأصوات سخيفة، وبعض الناس بارعون للغاية في ذلك. وسيصبحون على الأرجح ممثلين أو مقدمي برامج استعراضية في التلفزيون في يوم من الأيام.

طريقة أخرى شائعة للعب مع الأصوات هي صنع التورية.

تحدث التورية عندما نأخذ كلمة لها معنى واحد ونستبدلها بكلمة أخرى تبدو مثلها ولكن بمعنى مختلف. إليك مثال على ذلك:

You shouldn't, write with a broken pencil because it's pointless

لا يجب أنْ تكتب بقلم رصاص مكسور لأن ذلك لا فائدة منه.

لكلمة (point) معنيان: (النهاية الحادة) و(الفائدة).

وبالطبع علينا أنْ نعرف كلا المعنيين قبل أنْ نستطيع فهم النكتة.

في بعض الأحيان لا تحتوي الكلمات الموجودة في التورية على نفس الأصوات بالضبط، ولكنها قريبة بما فيه الكفاية بالنسبة لنا لإجراء الاتصال.

Patient: Doctor, doctor, I think I'm bird/Doctor: I'll tweet you in a minute

المريض: طبيب، طبيب، أعتقد أنني طائر.

الطبيب: سأجعلك تغرد في دقيقة واحدة.

إنها لعبة ذكية، لأننا يجب أنْ نعرف (1) إن الطيور تغرد (tweet) (2) إن الأطباء (يعالجون) treat المرضى، و(3) إن الناس يقولون أحيانًا صوت (w) بدلاً من (r) مثل جوناثان روس مقدم البرامج في التلفزيون البريطاني.

نجد في بطاقات عيد الميلاد في كثير من الأحيان عددًا من التوريات التي تتكرر الواحدة بعد الأخرى. إذا كنا نحب القطط، فقد يقرر شخص ما إرسال بطاقة لنا مثل هذه:

I didn't FUR get
I looked in the CATalogue
And found this card
So do PAWS
And have a PURR fect birthday

يحب الناس أيضًا ممارسة الألعاب باستخدام حروف الأبجدية. من المحتمل أنْ تكون لعبة سكرابل هي المثال الأكثر شهرة، والتي تقوم على بناء الكلمات من مربعات الحروف لمعرفة

من يمكنه الحصول على أعلى الدرجات. ولكن هناك الكثير من ألعاب الحروف التي يمكن أنْ نلعبها بأنفسنا.

- جعل الكلمات أو الجمل التي تقرأ بنفس الطريقة في كلا الاتجاهين:

Was it a cat I saw?
Madam I, m Adam

- هذه تسمى palindromes. ألفاظ تُقرأ طردًا وعكسًا.
- قم بتغيير مواقع الحروف في هذه الكلمات لتصنع كلمات جديدة ذات علاقة في المعنى:

The eyes= they see. Harry Poter = try trap hero
ويسمى هذا في اللغة بالجناس.

- أكتب جملاً لا يستخدم فيها حرف معين، مثل الحرف e، وهو الحرف الأكثر تكرارًا في الأبجدية الإنكليزية:
سأريكم كيفية القيام بذلك الآن.
تسمى هذه الطريقة lipograms. كتب إرنيست رأيت ذات مرة رواية بعنوان (Gadsby) طولها خمسة آلاف كلمة ولم تكن تحتوي على حرف (e) واحد داخلها.
- أكتب جملاً تحتوي كل كلمة فيها على نفس الحرف المتحرك:

Cool schoolboys do not do sports on top of London shopfront

تلاميذ المدارس الرائعون لا يمارسون الرياضة فوق واجهات التسوق في لندن.

هذه الطريقة تسمى univocalics، وتلفظ: «you nee voh كالـ iks».

تحتوي القصص المصورة وحكايات أعياد الميلاد (الكريسماس) على العديد من الأمثلة الأخرى، مثل ألغاز الكلمات المتقاطعة، أو مربعات الحروف التي تحتوي على كلمات مخفية. من السهل تكوين ألعابك الخاصة بهذه الطريقة. حاول إنشاء جملة تبدأ فيها كل كلمة بحرف من حروف الأبجدية بالترتيب الصحيح! هذه واحدة:

A big cowboy, dancing elegantly for grand hotels in Jersey, knitting lovely mittens nicely on pretty quilted rubber shoes, thought untrained vets would X–ray yellow zebras.

لم أقل أنها كانت جملة منطقية

واحدة من أفضل الأماكن لدراسة موضوع اللعب مع اللغة موجود قريب منكم للغاية (بالضبط تحت أنوفكم): في ملعب المدرسة، وخاصة في المدرسة الابتدائية. سنشاهد جميع أنواع الألعاب التي تجري فيها الأنشطة التي تسيطر عليها اللغة. شاهد بعض الأطفال وهم يقفزون على الكرة، أو يركلونها، أو يطردون شركاءهم من اللعبة، وسنرى إنهم يفعلون ذلك في الوقت المناسب بواسطة اللغة. سوف نسمع قوافي مثل هذه:

I like coffee
I like tea.
I like radio
And TV.

One, two, three,
Mother caught a flea,
Put it in the teapot
And made a cup of tea.
The flea jumped out,
Mother gave a shout,
In came father
With his shirt hanging out.

سنسمع أيضًا الكثير من الألعاب غير المنطقية، أو الألعاب التي تُدخِل أحد اللاعبين في مشكلة.

One fine day in the middle of the night,
Two dead men got up to fight,
Back to back they faced each other
Drew their swords and shot each other.

Silence in the courtyard,

Silence in the street,
The biggest twit in England
Is just about to speak starting from now!

قام العلماء بجمع العديد من هذه القوافي. وهناك الآلاف منها. كل جيل يستخدم بعض من القديمة، ويصنع أخرى جديدة.

لماذا يلعب الجميع باللغة هكذا؟ نحن نخترع الألغاز، ونصنع القوافي، نتحدث بالمعكوس، نصنع إعوجاجًا في اللسان، نتظاهر بالتحدّث بلغات أجنبية، ونقول كل أنواع النكات، نكات الفيل، ونكات الطبيب، والآلاف غيرها. نعم الآلاف.

لدي كتاب يسمى ألف نكتة للأطفال. معظم النكات سيئة للغاية تجعلك تتأوه. ولكن هذا جزء من المتعة.

لماذا نفعل كل هذا؟ أعطيت لمحة عن الجواب في الفصل الأول من هذا الكتاب. هل تتذكر إنني بدأت بالقول: «في بعض الأحيان نقوم ببعض الأشياء السخيفة حين نستخدم اللغة»؟ وذهبت لأتحدّث عن كيف نقوم، عندما يولد الطفل، بالتحدّث إليه باستخدام لغة الأطفال؟ حسنًا، لغة الأطفال هي نوع من اللعب مع اللغة. هذا ما نسمعه، منذ لحظة ولادتنا. الناس من حولنا يلعبون دائمًا مع اللغة. لا عجب إننا نكبر وتكبر لدينا الرغبة في القيام بذلك أيضًا.

عندما يكبر الأطفال، يصبح لعب اللغة أكثر تنوعًا. عندما يبلغ عمرهم حوالي ستة أشهر، يلعب الو الدين معهم ألعابًا مثل لعبة (peep bo) (تغطية وجوههم ليتعرف عليهم أبناؤهم) و(الدغدغة). في السنة الثانية من حياتهم، يبدأون في الاستماع إلى أغاني مرحلة الحضانة البسيطة. وممارسة ألعاب القفز. وعندما يحل وقت الاستماع إلى القصص يبدأ تعرفهم على عالم من الشخصيات الملوّنة، مثل العمالقة والخنازير والذئاب، الذين يتحدثون بطرق غريبة. ويعرفهم التلفزيون وأقراص DVD الذي ڤي دي على ميكي ماوس، وغوفي، ودونالد داك (في هذه الحالة هناك استخدام غريب حقًا للغة!)، وتايغر، وبوه، ومجموعة كبيرة من الشخصيات الكرتونية، ومعظم هذه الشخصيات ذات أصوات غريبة. في الوقت الذي يصل

فيه الأطفال إلى سن المدرسة، يجب أنْ يشعر أن الحياة هي ساحة كبيرة للعب مع اللغة.

وبالطبع عندما يبدأون بالذهاب إلى المدرسة، يتعلمون الحقيقة المحزنة! إن اللغة ليست للمتعة فقط. بل لأهداف جدية أيضًا.

الكتابة على الجدران، هي الأفضل؟

نحن لا نسمع فقط التلاعب مع اللغة في كل مكان من حولنا. بل نرى ذلك أيضًا، في شكل كتابات على الجدران، لا أحب الطريقة التي يعبث بها الناس عن طريق الكتابة على الجدران المختلفة في الوقت الحاضر، ولكن يجب علي أنْ اعترف بأن الكتابة على الجدران تكشف في بعض الأحيان عن بعض الأنواع الذكية جدًا للعب مع اللغة. يمثل شعار (OK) مثالاً جيدًا.

لا أحد يعرف بالضبط متى بدأ الناس في كتابة عبارة (RULE OK) على الجدران. (دلالة على تفوق فرد أو مجموعة من الأفراد أو العصابات أو فريق كرة قدم أو ما شاكل يذكر اسمه في البداية) ربما كان ذلك في أوائل القرن العشرين، والتفسير الأكثر ترجيحًا هو أن كل شيء بدأ مع عصابات متناحرة يتباهى كل منها بأنها هي التي تحكم (rule) أي إنها كانت الأفضل. لكن مشجعي فريق لكرة القدم كانوا هناك أيضًا: **ARSENAL RULES OK**

ومنذ ذلك الحين، تمّ الاستغناء عن هذه الصيغة واستخدامها بآلاف الطرق المختلفة. من السهل جدًا إنشاء مجموعتك الخاصة، ولكن هناك العديد من الكتب التي جمعت المئات من أفضل الأمثلة. هنا بعض الأشياء المفضلة عندي:

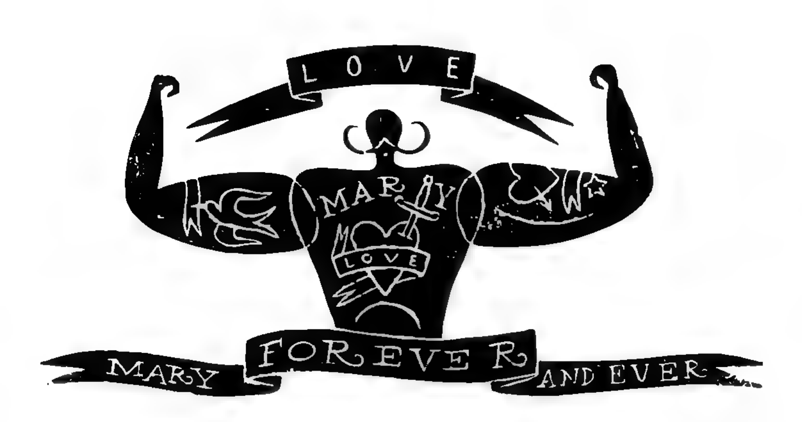
James Bond rules, OOK

Queen Elizabeth rules UK

Sausage rolls, OK?

وبالطبع: **Grammer rules, OK**

الفصل الثاني والثلاثون



لماذا نستخدم اللغة

ما الفائدة من كل هذا؟ لماذا يتعلم أفراد الجنس البشري الكلام والكتابة ولغة الإشارة؟ ما هي استخدامات اللغة؟ قد نعتقد إن الإجابة بسيطة للغاية: التواصل مع بعضنا البعض. هذا ما تحدثت عنه في وقت سابق من الكتاب. لكن هناك ما هو أكثر من ذلك.

من المؤكد إن الغرض الأساس من اللغة هو التواصل. نحن نستخدم اللغة لإيصال أفكارنا وآرائنا لبعضنا البعض. ونستخدمها لنحصل على معلومات من الآخرين ونزودهم بمعلومات عنا وعن أفكارنا عندما يطلبون منا ذلك. أحيانا نقول الحقيقة. وأحيانًا نكذب لكن في جميع هذه الحالات، فإن الهدف الأساس واضح. نريد أنْ تصل الأفكار الموجودة في رأسنا إلى

رأس شخص آخر. ولكي يحدث ذلك، يجب أنْ نتحدّث عنها أو نكتبها أو نشير لها.

ولكن هناك العديد من الاستخدامات الأخرى للغة لا تقتصر على الهدف الأساس في توصيل الأفكار. لقد تحدّثت للتو عن واحد من هؤلاء في الفصل الحادي والثلاثين: أنْ تدخل المرح والسرور إلى نفوسنا.

تخيل مجموعة من الناس يجترحون تورية معينة. تبدأ ماري ذلك عن طريق إخبار الآخرين بأن قطتها لم تكن على ما يرام، وهذا يقود جون إلى القول:

Aw, poor thing. did it have catarrh

أوه، شيء سيئ، هل كانت تعاني من نزلة برد؟

يضحك الجميع، ثم يبتكرون عددًا من جمل التورية التي تحتويها كلمة (القطة).

يمكن التفكير في أمثلة مثل هذه:

What a catastrophe! يا لها من كارثة!

Acatalogue of disaster! قائمة طويلة من الكوارث!

She must have been eating caterpillars لا بد أنها قد أكلت اليرقات.

Perhaps she got her paws caught in her catapult ربما علقت مخالبها في المنجنيق.

لا تفهم القطة كلمة مما يقولونه، ولكن الجميع يقضون وقتًا ممتعًا، ويزداد أنينها كلما أصبحت التورية أكثر سوءًا.

دعونا نتوقف الآن ونفكر في هذا النوع من اللغة. إنها ليست لغة تُستخدم لتوصيل الأفكار. لم تكن القطة تعاني من نزلة برد. ولم تأكل اليرقات. ولم يكن لديها منجنيق هذا نوع من اللغة الذي يستخدم لقول كلمات لا معنى لها ولا أحد يمانع على الإطلاق، لأنها ممتعة.

إليك استخدام آخر للغة لا علاقة له بتواصل الأفكار: للتعبير عن الهوية. في وقت سابق من الكتاب، في الفصل الثاني عشر، تحدثت عن اللهجات واللكنات. فهي تخبر الناس من نحن ومن أين جئنا. إنها إحدى الطرق التي نعبر بها عن هوياتنا.

هناك طرق أخرى. الاستماع إلى هتاف الجماهير في مباراة لكرة القدم.

YOU ROYALS! COME ON YOU ROYALS! COME ON

قد يقولون هذا مئات المرّات خلال المباراة. لا توجد (أفكار)، يتم توصيلها هنا. الناس يهتفون لإظهار الدعم لفريقهم. هتافاتهم تظهر الجانب الذي يقفون معه. إنها تعبر عن هويتهم.

يمكن التعبير عن الهوية في الكتابة أيضًا. في المرّة القادمة التي تذهب فيها إلى محل بيع الصحف، لاحظ كيف تميز الصحف المختلفة نفسها. بعضها، مثل صحيفتي السَّن SUN والميرور Mirror في المملكة المتحدة، يلفت الانتباه لأن هناك لافتات حمراء كبيرة في الجزء العلوي من الصفحة الأولى. وكل ورقة لها نوعية خط خاصة بها. يمكننا بسهولة تمييز (نيويورك تايمز)،

على سبيل المثال من خلال شكل الخط المميز الذي تستخدمه على الصفحة الأولى:

The New York Times

لا توجد صحيفة أخرى في الولايات المتحدة الأميركية تستخدم شبيهًا له.

هناك استخدام آخر للغة وهو التعبير عن مشاعرنا. تخيل إنك تدق مسمارًا في قطعة من الخشب، ولكن يحدث خطأً ما وتضرب إصبعك بدلاً من المسمار. ماذا ستقول حينها؟ بالطبع، إذا كنت شجاعًا جدًا، فقد لا تقول أي شيء. لكن معظمنا سيصرخ. وهناك عدد ليس بالقليل من الناس يصرخون على المطرقة. (مطرقة غبية!) وقد نبدأ بالنواح، كما لو كان ما حدث هو خطأ من المطرقة. أو بالأحرى، فأن عددًا كبيرًا من الناس كما أتوقع سيقسمون بصوت عالٍ، قائلين (يا للجحيم الدامي)، أو شيء أسوأ بكثير.

أي نوع من اللغة هذا؟ إذا كنا نسمي المطرقة بالغبية، فإن ما يحدث يمكن بالكاد اعتباره تواصلاً في الأفكار، أليس كذلك؟ المطرقة ليس لها دماغ، ولا يمكن أنْ تُفهِمنا. إذن ماذا نفعل، نتحدّث مع المطرقة؟

ما نفعله هو التخلص من طاقتنا العصبية. من خلال الصراخ على المطرقة، نشعر بأننا أفضل قليلاً. هذا هو السبب في أننا

قد نشتمها. فذلك يجعلنا نشعر بتحسن. الجميع يلعن، حتى لو كانت كلماتهم القوية مخففة للغاية، مثل (Gosh! تعبير عن الدهشة) أو (Sugar!) تعبير عن الانزعاج أو (Crikey!) تعبير آخر عن الدهشة.

يمكن أنْ يكون هذا الاستخدام العاطفي للغة مفيدًا بطريقة أخرى. عن طريق الصراخ، ندع الآخرين يعرفون أنْ شيئًا ما قد حدث. الكلمات البذيئة هي في الواقع صرخة للمساعدة. لذا فإن هذا النوع من اللغة ينقل معلومات من نوع ما، ولكنها ليست معلومات واضحة للغاية، كما نرى من هذا الحوار.

جون (ضرب إصبعه)! مطرقة غبية!

الأمّ: ما الأمر؟

جون: لقد خبطت إصبعي!

ما قاله جون أولاً لم يعبر عن الحقيقة تمامًا. الجملة الثانية هي التي جعلت أمّه تعرف بما حدث. جون يستخدم اللغة بطريقتين مختلفتين للغاية.

نحن أيضًا نستخدم اللغة للتواصل مع الآخرين. فكر فيما يحدث عندما نعطس. عادة، في اللغة الإنكليزية، يقول أحدهم Bless you (ليباركك الله!)، ثم يقول من عطس (شكرًا لك). لماذا نفعل ذلك؟

هذا هو استخدام آخر للغة لتجنّب الحرج. عندما نصنع ضجيجًا غير متوقع، مثل العطسة، نشعر بالراحة بعض الشيء. لا يمكننا قول شيء. سيكون ذلك صمتًا غريبًا. لذلك يجب علينا

أنْ نقول شيئًا ما أو الأشخاص المحيطين بنا لنقول شيئًا. وعادة ما يكون المستمعون هم الذين يقفزون أولاً.

نقول أحيانًا شيئًا ما في عدد من المواقف لكسر حالة من الصمت غير المريح. هذا هو السبب الذي يجعل الناس يقولون أحيانًا أشياء مثل (يبدو كأنها تمطر) أو (يوم جميل) عندما يلتقون ببعضهم البعض. إنهم لا يرغبون في بدء محادثة مناسبة، لكنهم يشعرون أنه سيكون من الخطأ أنْ يبقوا صامتين. لذا فهم يقولون ملاحظة عن الطقس.

يحدث نفس الشيء عندما أقابل أشخاصًا للمرة الأولى، ويقولون لي How do you do (كيف حالك؟) إنهم لا يسألونني في الواقع عن حالتي الصحية. لا يوجد طلب للحصول على معلومات هنا. سيندهش ذلك الشخص كثيرًا إذا بدأت أخبره كل شيء عن صحتي: « شكرًا على سؤالك ». في الواقع، لقد كانت درجة حرارتي معتدلة اليوم، وأعتقد أني أصبت ببرودة. وشعرت في الليلة الماضية ببعض الضيق في البطن. كلا، كل ما يتوقعه هو أنْ أرد عليه بعبارة How do you do وكيف حالك أنتَ؟ إنها مجرد تحية.

في كل يوم، يتكشف لنا كيف أنْ استخدام اللغة يجعلنا نتقرب من الآخرين ونبني معهم صلات اجتماعية. لهذا السبب نقول أشياء مثل (مرحبًا) و(ليلة سعيدة) و(أراك لاحقًا). هذا يدل على أننا نتفق جيدًا مع الأشخاص الذين نتحدّث معهم. وإذا لم نقُلْ مثل هذه الأشياء، فسوف يظهر عكس ذلك.

يمكننا أيضًا استخدام اللغة لتغيير العالم! تخيل هذا المشهد. تنطلق سفينة من حوض بناء السفن، وتكون ملكة إنكلترا حاضرة هناك لتسميتها. تعلق زجاجة من الشمبانيا بنهاية الحبل. بعد أنْ تقول: «أسمي هذه السفينة... »، يتأرجح الحبل، والزجاجة تتكسر على هيكل السفينة، وتنزلق السفينة إلى الماء لأول مرة.

هذا استخدام غير عادي للغاية من استخدامات اللغة. نحن نستخدمها لتغيير طريقة رؤيتنا للعالم. قبل أنْ تتحدث الملكة، لم يكن لدى السفينة اسمًا رسميًا. بعد أنْ تحدثت، أصبح لها اسم. وقد صنعت اللغة هذا الفرق.

يحدث نفس الشيء في عدد من الحالات الأخرى. هل سبق لك أنْ ذهبت إلى مزاد علني؟ يقوم بائع المزاد ببيع شيء ما، والأشخاص الذين يرغبون في شرائه يقدمون عطاءاتهم. عندما يرى بائع المزاد إن المزايدة قد انتهت، يعلن:

GOING ... GOING ... GONE

بمجرد أنْ يقول كلمة (gone)، ويضرب بمطرقته - وليس قبل ذلك - يتم بيع المادة. مرة أخرى، إنها اللغة التي تحدث الفرق.

هناك طقوس ومراسم في العديد من الأديان والمجتمعات يجب على الناس القيام بها إذا أرادوا الدخول. يجب تعميد المسيحيين مثلاً، والشخص لا يصبح مسيحيًا إلّا بعد أنْ يقول الكاهن الذي يقوم بمراسم المعمودية هذه الكلمات: «أعمدك... ». في كل أديان العالم، يعتقد الناس إنهم يغيرون حياتهم عندما يصلون ويقومون بالدعوات طلبًا للمساعدة، ويمنحون البركات، وينفذون مهام

روحية أخرى. وبالمثل، يوجد في بعض المجتمعات، من يعتقد أن الطقوس السحرية تؤثر على طبيعة العالم. في جميع الحالات، تعتمد الطقوس على اللغة.

السحر يبدو بعيدًا قليلاً. لكن فكر في الأمر. نحن لا نعد بأي شيء إلّا عندما نقول عبارة (أعدك). نحن لا نعتذر إلّا عندما نقول كلمة (أنا آسف). هذا شيء سحري للغاية.

لقد تركت إلى النهاية الحديث عن أهم استخدامات اللغة: نحن نستخدمها لمساعدتنا على التفكير. هل سبق لك أنْ تحدثت مع نفسك؟ قد يكون ذلك مفيدًا جدًا في بعض الأحيان عندما تكون وحدك وتحاول حل مشكلة. لقد سمعت مرة شخصًا يركب قطعة في إحدى المعدات كانت تحتوي على جميع أنواع الأسلاك الملونة والمسامير والأشياء الأخرى. كان ينظر أولاً إلى التعليمات، وطوال الوقت وهو يعمل كان يتحدّث مع نفسه على هذا النحو:

حسنا، وبالتالي فإن السلك الأخضر يذهب إلى المسمار الأيسر والسلك الأحمر يذهب إلى الوسط. حسنا... جيد... وهنا أضع الأزرق والبرتقالي يذهب...

توقف مؤقتًا، ونظر في التعليمات مرة أخرى، ثم عاد ليتكلم هكذا: ... الأزرق إلى الوسط كذلك... لا، لا يمكن أنْ يكون هذا صحيحًا...

وواصل الحديث هكذا حتى تم إنجاز المهمة.

لماذا كان يتحدث؟ لم يكن يتحدث معي (كنت خارج الغرفة) ولم يكن هناك أي شخص آخر بجواره. بصراحة،

ما ساعده على التفكير. قول التعليمات بصوت عال، فذلك يجعل من السهل تذكّر ما يجب فعله.

كلنا نفعل أشياء مشابهة، عندما نحاول تذكر التعليمات. لهذا السبب نكرر أحيانًا ما قاله شخص آخر:

ماري: إذن، خذ أول شارع على اليسار، ثم الثاني على اليمين، وبعد الإشارة الضوئية، شارع جون هو الأول على اليسار.

أنا: أولاً، اليسار، الثاني من اليمين، وبعد الإشارة الضوئية، الأول على اليسار.

ماري: هذا صحيح.

أنا (أغمغم، عندما أبدأ رحلتي): أول يسار، يمين ثاني، إشارة ضوئية، أولاً على اليسار... أول يسار، الثاني الأيمن...

نحن نفعل نفس الشيء في كتاباتنا، عندما نقوم بتدوين الملاحظات لمساعدتنا في تنظيم أفكارنا على صفحة ما، أو عندما نقوم بعمل مسودة تقريبية لشيء ما. يمكن أنْ يساعدنا الفعل المتمثل في كتابة شيء ما، أو وضعه على الشاشة، في معرفة ما نحاول قوله. يكتب المؤلفون أحيانًا مئات المسودات قبل أنْ يشعروا بالسعادة لأن ما كتبوه يعبر أخيرًا عما يريدون قوله. كما سنرى في الفصل 35، يحدث هذا بشكل خاص في الأدب، وهو استخدام خاص آخر للغة. وأحد الأسباب في أن الكلمات لا تعبر فقط عن المعاني. لأنها تعبر عن المشاعر أيضًا.

استخدام اللغة للربط بين المواقع

قدم لنا الإنترنت استخداماً جديداً للغة وهو: الترابط التشعبي. وهو جزء النص الذي نضغط عليه عندما نريد الانتقال من صفحة إلى أخرى أو من موقع إلى آخر. عادةً ما يكون ملوناً أو تحته خط بطريقة خاصة. قد يكون عنوان موقع كامل مثل (www.davidcrystal.com)، أو عنواناً من نوع ما مثل (الأخبار) أو (سلة التسوق)، أو مجرد كلمة مثل (انقر هنا).



وأصبح عاديًا في وقتنا الحاضر أنْ ننقر على هذه الروابط حتى لو لم نلاحظ إنه استخدام جديد للغة، الغاية الوحيدة من هذه اللغة هو أنْ تنقلك من الموقع أ إلى الموقع ب، هل كان يمكن تخيل وجود شيء مثل هذا على الإطلاق في اللغة المكتوبة قبل اختراع الإنترنت؟

الـشيء الأقـرب هو استخدام نوعية الخط وحجمه والهوامش فإذا نظرت في هذا الكتاب هناك جملة:

The animal live in special cages1

الرقم الموجود يخبرني أن هناك ملاحظة بذات الرقم ستعطيني بعض المعلومات الإضافية وقد تكون في أسفل الصفحة أو في نهاية الكتاب هذا مثال بسيط على الترابط التشعبي بخلاف ذلك الذي لا نستطيع أنْ ننقر عليه ونفس الشيء يحدث إذا رأينا هذه الجملة:

The animal live in separate cages (see p. 318)

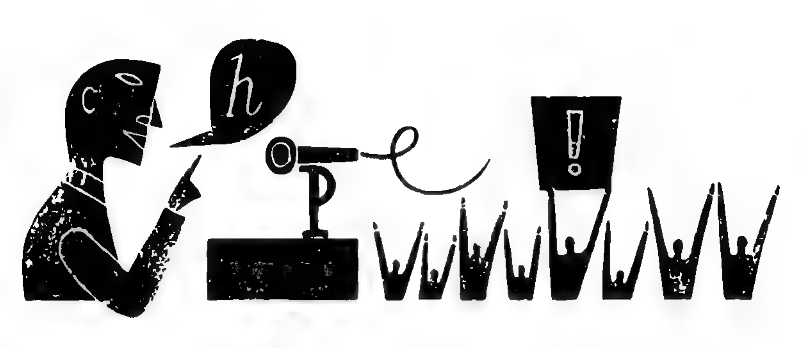
فالهامش ما بين السطور يشبه قليلاً الترابط التشعبي.

ولكن هناك فرق كبير بين هذه الأدوات والترابط التشعبي فنحن غير ملزمين باستخدام الهوامش أو الملاحظات أسفل الصفحة في اللغة المكتوبة العادية فكثير من الناشرين لا يستخدمها ولكن إذا لم يكن هناك ترابط تشعبي لن يكون هناك إنترنت لذلك يسمى هذا النظام بالإنترنت (interNET) ولكن لماذا تسمى الشبكة العنكبوتية العالمية World wide web بالمصطلح web.

إنها طريقة لمشاركة المعلومات في جميع أجهزة الكومبيوتر في العالم من خلال ربطها بنفس النظام أو ما يدعى بالبروتوكول (protocol) واللغة هي الوسيلة التي تجعل ذلك يحدث.

www.

الفصل الثالث والثلاثون



لغة المشاعر

توفر لنا اللغة في كثير من الأحيان عدة أساليب للتعبير عن الشيء نفسه، ولكن هناك اختلاف بسيط جدًا بينهما. ها هي ماري وسوزان وجوان يتحدثن عن بعض الأطفال الذين يلعبون في الغرفة المجاورة.

ماري: يا لهؤلاء الصغار!

سوزان: يا لهؤلاء القنافذ!

جوان: يا لهؤلاء النقانق!

تصف لنا الكلمات مشاعر المتحدثين. لابد أن ماري تشعر إن هؤلاء الأطفال حلوين فعلاً. أما سوزان فتعتقد إنهم يثيرون بعض المشاكل، وربما لا يرتدون ملابس جيدة. ولا بد أن جوان تعتقد إنهم مزعجون فعلاً. إذا لم يكن يرغبن في إظهار مشاعرهن،

فيمكنهن بالطبع القول: (يا لهؤلاء الأطفال). (الأطفال) كلمة محايدة.

تسمى المشاعر التي تتولد لدينا عندما نرى أو نسمع كلمة ما. بالتصورات فكلمات مثل (الصغار) و(القنافذ) و(النقانق) لها دلالات مختلفة. بعضها ذات دلالات إيجابية، فهي تمنحنا مشاعر ممتعة أو مريحة. وبعضها لها دلالات سلبية، فتمنحنا مشاعر غير مريحة أو مزعجة.

تحتوي كل لغة على مئات الكلمات التي تجعلنا نفكر في الأشياء بطريقة عاطفية. وهنا بعض أكثر أزواج الكلمات التي تعني نفس الشيء. وفي كل حالة، سأضع المعاني (الجيدة) أولاً والمعاني (السيئة) ثانيًا.

جوان رشيقة للغاية.
جوان نحيفة جدًا.

منزلنا دافئ
منزلنا ضيق.

كان يتصرف بطريقة طفولية.
كان يتصرف بطريقة صبيانية.

الكعك الذي صنعته رطب.
الكعك الذي صنعته غير مختمر.

هل تريد أكثر قليلا؟ نحن لا نحب الأشخاص (المدقعين) و(البخلاء) و(المشغولين بالتوافه). بل نحب (المقتصدين) و(الحريصين) و(الدقيقين).

هذا هو السبب في أننا يجب أنْ نكون حذرين للغاية عندما نقرأ الصحف، أو نستمع إلى الأخبار، أو نتصفح موقعًا على الويب. يجب أنْ نكون دائمًا حذرين. هل يحاول الكتّاب نقل تصوراتهم إلى عقولنا؟ قد نرى هذا العنوان في إحدى الصحف:

الإرهابيون يتحركون نحو الجنوب

ولكن في صحيفة أخرى، تتحدث عن نفس المجموعة من الأفراد، قد نقرأ: المقاتلون من أجل الحرية يتحركون نحو الجنوب.

يمكننا أنْ نخمن، من اختيار الصحيفة للكلمات، إنها إلى أي جانب تقف.

أو تخيل قصة إخبارية عن عدد من الأشخاص انتقلوا إلى مبنى فارغ لأنهم لم يجدوا مكانًا آخر يعيشون فيه. إذا قيلت على هذا النحو: يعيش العديد من المتسكعين في هذا المبنى.

فيجعلنا الكاتب نأخذ انطباعًا سيئًا عنهم، لأن كلمة (المتشردين) لها دلالات سلبية. لكن إذا كان الأمر هكذا: يعيش العديد من الأشخاص الذين ليس لهم مأوى في هذا المبنى.

فيجعلنا الكاتب ننشغل بهم، لأن كلمة (بلا مأوى) لها دلالات إيجابية. من المرجح إنها ستجعلنا نشعر بالتعاطف. عندما تحاول اللغة أن تجعلنا نفكر بطريقة ما بدلاً من أخرى، نقول إنها (منحازة). خذ على سبيل المثال قضية بناء مدرج جديد في

أحد المطارات. إذا أراد الكتّاب إقناعنا بدعم الفكرة، فسيكتبون أشياء مثل: «بناء مدرج جديد سيخلق مئات الوظائف». إذا أرادوا منا معارضة الفكرة، فسوف يكتبون أشياء مثل: «سيتم هدم مئات المنازل إذا تمّ بناء المدرج». التقرير المتوازن يعرض كلا الجانبين.

أما التقرير المتحيز فيعرض جانبًا واحدًا فقط.

أحد أهم أسباب اكتشاف اللغة - ولقراءة كتاب مثل هذا الذي بين يديك - هو جعل أنفسنا مدركين للطريقة التي يحاول بها الناس في كثير من الأحيان التلاعب بأفكارنا ومشاعرنا بالطريقة التي يتحدثون بها أو يكتبون. إنهم يحاولون إقناعنا بالتصرف بطريقة معينة، ويقومون بذلك عن طريق اختيار كلمات وأصوات وأنماط الجملة بشكل ذكي. نحن نسمع السياسيين يفعلون ذلك، عندما يلقون خطابًا يطلبون منا التصويت لهم. نرى المعلنين يفعلون ذلك، عندما نرى إعلانًا يطلب منا شراء شيء ما. نحتاج إلى معرفة ما يروم إليه الأشخاص، حتى لا ننخدع. باختصار، علينا أنْ نفهم لغتهم الخطابية rehetoric التي تلفظ هكذا (ree eto ric).

البلاغة هي استخدام اللغة لإقناع الناس أو التأثير عليهم. تستخدم الإعلانات الكثير من الميزات الخطابية، لأنها تحاول إقناعنا بشراء الأشياء. وتوجد هناك كلمات تجعل صوت المنتج جذابًا حقًا:

جديد، رائع، جميل، أفضل، قيمة رائعة، لذيذ، مميز، إضافي، جميل، مقرمش، آمن.

لن ترى إعلانات تستخدم كلمات تفيد بأن المنتج رائحته كريهة، خطر، مكلف، لا طعم له، عادي، أسوأ، قديم.

يمكننا التأكد من أن إعلانًا عن نوع من طعام الحمية سيقول: هذه هي الطريقة السهلة للبقاء رشيقة!

ولا يقول: هذه هي الطريقة السهلة للبقاء نحيفة!

تستخدم الإعلانات أيضًا أصواتًا وإيقاعات ذكية لجعل اسم المنتج ثابتًا في أذهاننا:

Maybe it's Maybellin! (مابيلين هي ماركة تجارية لأدوات المكياج ولاحظ كيف استخدم المعلن كلمة تشبه اسم المنتوج).

لا يمكنك الحصول على أفضل (fitter) من Kwik Fit. (للحصول على خدمة قطع غيار السيارات) هنا يوجد تشابه في الكلمات (Fit و fitter).

يتم اختيار كل جزء من اللغة في الإعلان بعناية شديدة بحيث يكون له التأثير الخطابي المناسب على المستمع أو القارئ. قد يستغرق الأشخاص الذين يؤلفون الإعلانات عدة أشهر قبل أنْ يجدوا الكلمات المناسبة تمامًا، والدليل على اختيارهم الكلمة المناسبة هو أن الناس يتذكرون اسم المنتج ويرغبون في شرائه.

وليس الصحفيون والمعلنون والسياسيون وحدهم من يستخدم البلاغة. الجميع يفعل. على سبيل المثال، تريد كيت الذهاب إلى حفلة موسيقية، لكن صديقتها المفضلة سوزان

لا تريد. ماذا ستفعل كيت؟ ستبذل قصارى جهدها لإقناع سوزان بالذهاب بالحديث عن مدى روعة الحفلة، وكيف أنها ليست باهظة الثمن، وما إلى ذلك. هذا الخطاب. يسمعه الشباب من آبائهم ومعلميهم منذ نعومة أظفارهم. لماذا بعض الطعام جيد بالنسبة لهم والطعام الآخر ليس كذلك. لماذا يجب عليهم ارتداء الزي المدرسي. لماذا لا يجب أنْ يضربون أخاهم أو أختهم الصغيرة. والآباء والمعلمين يحصلون على الكثير من البلاغة في المقابل: من فضلك هل يمكنني الذهاب إلى الحفلة. سيحضرها الجميع. لن أتأخر PLEEEASE أرجوك، في كل هذه الأمثلة، اللغة ليست مجرد (توصيل أفكار). إنها تحاول أنْ تجعل الأشخاص يشعرون أو يفكرون في الأفكار بطريقة معينة. لماذا نقول (من فضلك)؟ إنها ليست مجرد مسألة كونها مهذبة. يمكن أنْ يؤدي قول (من فضلك) في الواقع إلى إقناع الناس بفعل ما نريد. يقول الناس في بعض الأحيان: (أنتَ تعرف كيف تقنعني). هذا يدل على أن الخطاب قد أدى غرضه بشكل جيد. نسمع لغة تستخدم للتعبير عن المشاعر في كل مرة نسمع فيها شخصين يتناقشان. شاهد حلقة من إحدى مسلسلات التلفاز، ولن تكاد تسمع أي شيء آخر! يبدو أن الشخصيات دائماً ما تتجادل. ومع ازدياد حدة الجدل، تصبح اللغة أكثر عاطفية. يبدأ الناس بمناداة بعضهم بأسماء أخرى. ويشتمون بعضهم البعض (على الرغم من وجود حدود لما هو مسموح به على شاشة التلفزيون). وعندما لا يستطيعون التفكير في أي

شيء آخر ليقولوه، فإنهم يتوقفون عن استخدام اللغة بشكل كامل. ويخرج أحدهم غاضبًا ويصفق الباب ورائه. لقد انتهت الحجة، لكن في الوقت الحالي فقط. سيتعين على الشخصيات التحدّث إلى بعضهم البعض مرّة أخرى في الحلقة القادمة. من الصعب السيطرة على مشاعرنا عندما نتجادل. هذا هو السبب في أنه من الرائع القيام ببعض النقاش. في الجدال، يجب على الجانبين شرح وجهات نظرهم بهدوء وبطريقة عقلانية كلما كان ذلك ممكنًا والإصغاء إلى بعضهم البعض باحترام. إنها مهارة يمكن للجميع تعلمها. يتعلم المتحاورون الجيدون كيف يعرضون جانبي الحجة دون أنْ يتركوا مشاعرهم تعترض طريقهم. لا يحتاجون إلى الصراخ، أو الشتيمة، أو التنابز بالألقاب، أو الخروج عن الآداب. إنهم يسمحوا للاختيار الجيد للغة القيام بكل العمل المطلوب. إن اختيار اللغة الصحيحة هو بالتأكيد ما نحتاج إلى الحصول عليه، كلما تكلمنا أو كتبنا أو استخدمنا الإشارات عنه. ولكن هذا ليس سهلاً دائمًا، كما سنرى في الفصل الرابع والثلاثين.

امنحني صوتك!

بعض الناس بارعون في استخدام الخطابة لإقناع الآخرين بدعمهم. يمكننا أنْ نقول بسبب الطريقة التي يتفاعل بها المستمعون. يتعلم السياسيون الذين يتكلمون جيدًا على كيفية التحكم في الجمهور لضمان حصولهم على موجة كبيرة من التصفيق. واحدة من حيلهم هي أنْ يتكلم ثلاثة جمل، وفي كل جملة يرفع صوته بأعلى من الجملة السابقة:

أنا لا أمنح وعودًا فقط مثلما تفعل المعارضة.

ولا أخلف الوعود، مثلما تفعل المعارضة.

أنا التزم بوعودي (هتافات وتصفيق).

هنا، يفعل الرئيس باراك أوباما نفس الشيء، في جملة واحدة، خلال خطاب النصر الذي ألقاه في تشرين الثاني 2008:

لقد مر وقت طويل، لكن الليلة، بسبب ما قمنا به اليوم، في هذه الانتخابات، في هذه اللحظة الحاسمة، بدأ وقت التغيير في أمريكا.

إذا وضعنا الجملة هكذا، يمكننا أنْ نرى الخطاب أكثر وضوحًا:

لقد مضى وقت طويل، لكن الليلة، بسبب ما فعلناه في هذا اليوم

في هذه الانتخابات، في هذه اللحظة الحاسمة،

بدأ وقت التغيير في أميركا.

فيهتاج الحشد من الحضور بالحماس.

الفصل الرابع والثلاثون



الصواب السياسي

في السنوات الأخيرة، تغيرت كثيرًا طريقة وصفنا للأفراد. منذ وقت ليس ببعيد، كان هناك العديد من الوظائف التي تحمل أسمين، إذا كان يشغلها رجل كان أم امرأة. وهذا جدول بتسمية الوظائف بالنسبة للرجال والنساء.

وظائف المرأة	وظائف الرجل
Steward	stewardess
manager	manageress
poet	poetess
sculptor	sculptress
policeman	policewoman

في هذه الأيام، اختفت معظم الأسماء التي تنتهي بـ (ess)، كنتيجة لحركة اجتماعية ضخمة لجعل الرجال والنساء متساوين في مكان العمل. ورغم ذلك سنظل نسمع في كثير من الأحيان بكلمات مثل (actress ممثلة)، و(waitress نادلة)، وعدد لا بأس منها، ولكن مرت فترة طويلة منذ أنْ سمعت أحد ما يطلق على النساء اللواتي يكتبن الشعر أو يمارسن النحت اسم (شاعرات) و(نحاتات). فقد بات يطلق عليهن ببساطة الآن (شعراء) و(نحاتون). في المتاجر، أصبحت المدراء من الإناث اليوم ببساطة (مدراء)، وعلى متن الطائرات، طاقم الضيافة هوما تسمى به (مضيفات الطائرة)، وفي مراكز الشرطة لا نجد سوى (ضباط شرطة).

نتجنب بشكل خاص استخدام أسماء معينة إذا شعرنا إنها مهينة. وإذا سمعنا أحدهم يستخدم تلك الأسماء، فقد يواجه مشكلة، حتى إذا لم يكن ينوي الإساءة على الإطلاق.

هذا ما حدث للأمير هاري في عام 2009، عندما أنتشر على نطاق واسع مقطع فيديو صوّره أحد الهواة يظهر فيه الأمير هاري وهو ينادي جنديًا باكستانيًا بكلمة (paki). فتعرض لانتقادات واسعة، على الرغم من أنه كان يستخدم هذه الكلمة بطريقة ودّية، رغم أن زميله الباكستاني لم يكن منزعجًا.

هناك بعض الكلمات التي استخدمت بشكل مهين في الماضي بحيث لم يعد من الممكن استخدامها بدون التسبب بالكثير من الإساءات. في بريطانيا، كلمة (Paki) هي واحدة منها. إذا كنت

مهاجرًا من باكستان وقضيت حياتك كلها وتسمع أشخاص ينادونك باسم (Paki) بطريقة مزعجة، فمن الواضح إنك لن تحب هذه الكلمة أبدًا. ومن المرجح إنك ستشعر بالضيق عند سماعها، حتى لو تمّ استخدامها على سبيل المزاح من قبل الأمير. معظم الناس يعرفون القافية القديمة:

العصي والحجارة ستكسر عظامي لكن الأسماء لن تؤذيني.

هذا غير صحيح! لا تصدق كلمة منها. الأسماء تجرح. ويستمر ألمها لفترة طويلة. أبسط مثال على ذلك إذا رمانا أحدهم بالحجارة، ونتج عن ذلك إصابتنا بكدمة، نعرف إن الكدمة ستستمر لبضعة أيام فقط. ولكن إذا أطلق علينا أحد ما اسمًا فظيعًا، فإننا لا ننسى ذلك أبدًا.

الناس الذين يأتون إلى بلد ما من منطقة أخرى من العالم من المرجح أنْ يطلق عليهم أسماء فظّة. لكنها ليست مسألة عرقية فقط. الناس الذين يكونون مختلفين عن الآخرين في المجتمع سيطلق عليهم أسماء فظة. يطلق على الأطفال الذين يرتدون نظارات (ذوي العيون الأربع). ويطلق على الشخص الذي اختفى شعر رأسه (أصلع). ومن الحقائق المحزنة في الحياة إن مجتمعنا يضم أشخاصًا مستعدين للسخرية من المكفوفين أو الصم، أو الذين يتلعثمون في النطق، أو الذين لديهم علامات على جلدهم، أو المصابين بأي عارض طبي يجعلهم مختلفين عن الأشخاص الآخرين. في كثير من الأحيان، لا يدرك مستخدمو تلك الأسماء إن الأسماء التي يستخدمونها مؤذية للغاية. هذا سبب

جيد آخر لقراءة كتاب عن اللغة. إنه يساعدنا على فهم الضرر الذي يلحقه الأشخاص عند ما ينادون الآخرين بسماء معينة.

إذا كانت هناك أسماء قاسية للناس، ونود تجنبها، ماذا نستخدم بدلاً عنها؟ يمكن أنْ يكون من الصعب في الواقع العثور على اسم جديد يحبه الجميع. على سبيل المثال، كيف نتحدّث عن الأشخاص الذين يتعين عليهم استخدام الكراسي المتحركة بطريقة لا تزعجهم؟ حتى وقت ليس بالبعيد، كان ما يزال يطلق عليهم اسم (المقعدين)، وهو اسم لم يحبه أي منهم. مما استلزم البحث للحصول على اسم أفضل. لفترة من الوقت، كانت (المعاقين) و(المعوقين) شائعة، ولكن كانت هناك مشكلة في هذه الأسماء أيضًا. إذا نادينا هؤلاء الأشخاص (بالمعاقين) أو (المقعدين)، فقد يبدو الأمر كما لو كنا نقول إنه لا يمكنهم فعل أي شيء مفيد على الإطلاق. في الواقع، نعرف جيدًا إن الأشخاص في الكراسي المتحركة يمكنهم فعل أشياء رائعة، مثل لعب كرة السلة والمشاركة في سباقات الماراثون الطويلة حتى النهاية.

تستطيع أنْ ترى المشكلة. هل هناك كلمة في اللغة الإنكليزية تشرح حقيقة الناس في الكراسي المتحركة دون أنْ تشير إلى أي دلالات سلبية؟ الحقيقة المحزنة هي إنه لا يوجد مثل هذه الكلمة. وما يزال المجتمع يكافح للعثور على أفضل طريقة لوصف الأشخاص الذين فقدوا قدرتهم على المشي، أو الذين فقدوا ساقهم أو ذراعهم. بين الحين والآخر يقترح شخص تسمية

جديدة. ونسمع وصفًا لهم بأنهم (مختلفون بدنيًا) أو (معتلون جسديًا)، على سبيل المثال. لا شيء من الأساليب الجديدة يرضي الجميع. البعض يحب كلمة (معتل جسديًا). والبعض يكرهونها. إذا ذهبنا وسألنا الأشخاص الذين فقدوا أطرافهم، فسيكون الأمر كما هو. البعض يسعدهم أنْ يُطلق عليهم اسم (المعوقين). والبعض يكرهونه.

نواجه مشكلة من نفس النوع عندما نحاول التحدّث عن مجموعات أخرى من الناس. ماذا يجب أنْ نسمي كبار السن؟ (المسنون) أو (العجائز) أو (كبار السن) أو أي شيء آخر؟ ماذا يجب أنْ نسمي الناس ذوي الذكاء المنخفض للغاية؟ (معاقون عقليًا) أو (بطيئو الفهم) أو (معاقون ذهنيًا) أو (أشخاص يعانون من صعوبات في التعلّم) أو أي شيء آخر؟ ماذا يجب أنْ نسمي الناس الذين يعانون من السمنة؟ ذوو (الوزن الزائد) أو (الحجم المختلف) أو (كبيرو الحجم) أو أي شيء آخر؟ المتاجر التي تبيع الملابس تواجه مشاكل حقيقية هنا.

في الولايات المتحدة الأميركية ظل الناس قلقون لسنوات حول أفضل طريقة لوصف السود. فقد بدت كلمة زنوج (negro) كلمة مسيئة، مثل عبارة black (السود). في نهاية المطاف أصبح تعبير (الأميركيين من أصل أفريقي) هو الشائع، وينتشر هذا التعبير الآن على نطاق واسع. ولكن ليس هناك ما يضمن إن الاسم الشائع اليوم سيبقى كذلك خلال 10 أعوام.

تحاول الحكومات وأرباب العمل والفئات الاجتماعية الأخرى في بعض الأحيان حل المشكلة عن طريق تفضيل اسم وحظر آخر. فهم يقولون: «هذا هو الاسم الذي يجب على الجميع استخدامه». وإذا لم نستخدمها، يمكننا أنْ نقع في المشاكل. قد يتم تغريمنا أو فقدان عملنا إذا لم نستخدم الأسماء (الصحيحة). هذا هو السبب في أننا نرى عبارة politically correct (الصواب السياسي) تستخدم كثيرًا هذه الأيام. إن القول بأن الاسم صحيح من الناحية السياسية أو (PC)، باختصار يعني إنه الاسم الرسمي لشيء ما. وهذا يعني أيضًا إن هذا الاسم من المفترض ألّا يوجه أي إهانة للأشخاص الذين يشير إليهم.

الفكرة الأصلية وراء مبدأ الصواب السياسي كانت جيدة جدًا. من الرائع محاولة تجنب استخدام لغة من شأنها الإساءة إلى الأشخاص. ومن خلال التركيز على اللغة التي نستخدمها في كل يوم، سننتبه إلى ما نقوله. كما أنه يساعدنا على رؤية الناس كما هم كأفراد كاملين. قد يسير جون في كرسي متحرك، ولكن لماذا يجب أنْ نجعل هذا هو الأمر الوحيد الذي نصف به جون؟ قد يكون جون بارعًا في الشعر أو الرسم أو ألف كتابًا. ويمكنني بسهولة أنْ أتخيل إن جون ينزعج إذا كانت الطريقة الوحيدة التي يسمع بها الناس يتحدثون عنه هي من خلال وصفه بأنه (معاق).

كان الصواب السياسي فكرة جيدة في البداية. ولكن لسوء الحظ، بدأ الناس يتصورون أنهم يسيئون إلى شخص ما في حين إنهم في الواقع لم يكونوا كذلك. وتركه البعض لتجنب استخدام

الكلمات التي لم تكن مسيئة على الإطلاق. كانوا خائفين لدرجة إنهم قد يتعرضون للانتقاد لأنهم اخترعوا طرقًا للتحدث كانت غريبة جدًا لدرجة أن الناس ضحكوا عليها. ما زال يحدث حتى اليوم. إننا نسمع كوميديين يمزحون من أشخاص ذوي أسنان زائفة ويصفونهم بأن (لديهم مشاكل في الأسنان). أو نسمع الحكاية الخيالية التي أصبحت (سنو وايت والرجال السبعة الذين يواجهون تحديات طول القامة)، في حال شعر الأقزام بأنها كانت تقصدهم إلى حد ما.

يعتقد كثير من الناس إن حركة التصحيح السياسي قد بالغت في جعلنا حساسين للكلمات التي هي في الحقيقة بريئة جدًا. عندما كان يُعتقد إن كلمة (أسود) (تعني الشخص ذو البشرة السوداء) مهينة، ظهرت العديد من القصص من الولايات المتحدة الأميركية حول الأشخاص الذين حاولوا تجنّب استخدامها في أي ظرف من الظروف. كانوا خائفين من طلب (القهوة السوداء)، لذلك طلبوا (قهوة بدون حليب) بدلاً من ذلك. كان المدرسون خائفين من التحدّث عن blackboard (السبورات). وبعض مدارس الحضانة - في بريطانيا والولايات المتحدة - ذهبت بعيداً إلى حد طالبت بوجوب استبدال كلمة الخروف الأسود في أغنية الأطفال (Baa, baa, black sheep have you any wool؟) بـ خروف أبيض (sheep white) أو حتى (خروف بألوان قوس قزح). بين الحين والآخر نقرأ عن هذه الأشياء في

الصحف. غالبًا ما تتسبب المقترحات في حدوث خلاف، لأن العديد من الأشخاص يعتقدون إنها مثيرة للسخرية.

باتت تصلني اليوم بطاقات تهنئة بمناسبة عيد الميلاد مكتوب فيها happy holiday (عطلة سعيدة) وليس happy christmas (عيد ميلاد سعيد). أتخيل إن المرسلين اختاروها لأنهم كانوا قلقين من أنْ أكون منزعجًا إذا تلقيت بطاقة احتفالٍ بمناسبة مسيحية. هذا عار حقيقي. أعرف أشخاصًا ينتمون إلى جميع أنواع الأديان - مسيحيون وهندوس ويهود ومسلمون - ويرسلون بطاقات التهنئة عندما يحين الوقت للاحتفال بمهرجاناتهم المختلفة. إنها فرحة التنوع. أعرف أشخاصًا ليس لديهم خلفية دينية على الإطلاق ممن يسعدهم إرسال أو استلام بطاقة في وقت الاحتفال بالكريسماس. هذا ما يجب أنْ يكون، في رأيي. آمل ألّا يأتي يومًا عندما يكتب في جميع البطاقات (عطلة سعيدة) فقط.

سواء حدث ذلك أو لا لن يكون الأمر كذلك بالنسبة لي. والأمر متروك للجيل القادم ليقرر ما إذا كان قد تمّ تجاوز الصواب السياسي. هذا الأمر يعنيك.



الصواب السياسي في البلدان الأخرى

كل الأمثلة التي ذكرتها في الفصل الرابع والثلاثين كانت من اللغة الإنكليزية. فهي محط اهتمام خاص، لأن الولايات المتحدة الأميركية هي المكان الذي نشأت فيه حركة التصحيح السياسي، في الستينيات والسبعينيات، لكن هناك لغات أخرى لديها مصطلحات التصحيح السياسي الخاصة بها أيضًا. فيما يلي ثلاثة أمثلة:

- بنفس الطريقة التي تغير بها اسم الزبال (binman) في بريطانيا إلى اسم (جامع النفايات) أو (موظف التخلص من النفايات)، أصبح (netturbino) الزبال في إيطاليا (يدعى) operatore ecologico (ومعناها: عامل تنظيف البيئة).
- في فرنسا، كان هناك جدل حول كلمة (aveugle) للشخص الأعمى، فتم استبدالها عبر التصحيح السياسي بكلمة: (غير مبصر non voyant).
- في ألمانيا، يتجنب الناس استخدام الكلمات التي تذكرهم بالنظام النازي في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. في تلك الأيام، كان البرلمان الألماني يسمى (Reichstag) الرايخستاغ يعني (مجلس النواب الإمبراطوري). اليوم، يطلق عليه اسم (Bundestag) أي (مجلس النواب الاتحادي).



الفصل الخامس والثلاثون



لغة الأدب

يمكن أنْ تجعلنا اللغة، كما رأينا في الفصلين الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين، نفكر ونشعر. يمكن أنْ ينجذب عقلنا نحوها وتستولي أيضًا على قلبنا. وتعشش في رؤوسنا، ويمكن أنْ تأسر أسماعنا وأنظارنا أيضًا، عن طريق الصوت المنمق أو المظهر الجميل أو القبيح. في بعض الأحيان تفعل لغة الأدب كل هذه الأشياء الأربعة في وقت واحد. يمكننا أنْ نقرأ شيئًا يخبرنا قصة لطيفة، ويجعلنا نضحك ونبكي، فهو مكتوب بأسلوب رائع، و(عندما نقرأه بصوت عالٍ) يكون الاستماع إليه أمرًا رائعًا. غالبًا ما توجد لغة مثل هذه في الروايات والقصص القصيرة والمقالات والمسرحيات والقصائد. وفي كلمة واحدة، توجد في الأدب.

يمكن أنْ تعني كلمة Literature (أدب) أي شيء يظهر في شكل مكتوب. إذا أردنا تمضية العطلة في اليونان، فإن وكيل السفر سيزودنا ببعض Literature (الأدبيات) أي منشورات وكتيبات عن اليونان. إذا ذهبنا إلى مكتبة، فسنجد كتبًا عن التاريخ، والقانون، والفلسفة، والطب، وغيرها من الموضوعات التي غالبًا ما تسمى (الأدبيات). قد نسمع أحدهم يقول إنهم كانوا يبحثون عن معلومات حول مرض معين (في الأدبيات الطبية).

لكن الاستخدام الرئيس لكلمة (الأدب) يشمل كل شيء يستخدم فيه الناس اللغة لخلق شيء مميز كعمل فني. نقسّم هذه الأعمال عادة إلى نوعين رئيسين: الخيالي (الروائي) وغير الخيالي. في الخيالي، يستخدم الناس خيالهم لرواية القصص، مثل سلسلة كتب هاري بوتر، أو تلك التي كتبها روالد دال أو تيري براتشيت (كاتبين بريطانيين). في المؤلفات غير الخيالية، يتحدث الناس عن العالم الحقيقي، كما هو الحال عندما يكتبون عن رحلاتهم أو يروون قصة حياة شخص ما (سيرة ذاتية). في بعض الأحيان يكتبون القصص التي هي مزيج من الاثنين، كما هو الحال عندما يكتب أديب معين قصة عن شكسبير فهي جزء من الواقع والخيال جزئيًا.

معظم الأدبيات في المجتمع الغربي هي في شكل مكتوب. نحن نقرأها. ولكن في أجزاء كثيرة من العالم، كما رأينا في الفصل 20، لم يتم كتابة اللغات أبدًا. لذا في هذه الثقافات، على الناس أنْ يستمعوا إلى الأدب. لديهم أشخاص على درجة عالية من المهارة

في سرد القصص وقراءة القصائد. يتم حفظ القصص عن ظهر قلب وتعاد روايتها مرارًا وتكرارًا في أوقات مختلفة وفي أماكن مختلفة. وهذا ما يسمى (الأدب الشفوي).

كان الأدب باللغة الإنجليزية على هذا النحو منذ أكثر من ألف عام. هناك قصيدة باللغة الإنجليزية القديمة تدعى Beowalf، يبلغ طولها 3182 سطرًا. إنها قصة عن بطل عظيم، يدعى بيوولف، ومعاركه مع الوحوش والتنانين. ربما كان الشاعر قد قرأها، وربما كان يعزف حينها على القيثارة، بينما كان الجميع جالسين حول النار في إحدى الليالي. وكان يتطلب منه الأمر حوالي ثلاث ساعات ليروي القصة كاملة. في نهاية المطاف كتبها شخص ما، وهو ما جعلنا نعرفها اليوم. وقد تمّ تحويلها إلى فيلم سينمائي في عام 2007.

كل المؤلفات سواء كانت شفهية أو مكتوبة، فإن لديها شيئًا واحدًا مشتركًا. يحاول المؤلفون استخدام اللغة فيها بأكثر الطرق فعالية. إنهم يريدون أنْ تكون الطريقة التي يتحدثون أو يكتبون بها جميلة، وقوية، ودراماتيكية، ولا تنسى، ومتميزة، وتحرك مشاعرنا بطريقة ما. إنهم يريدون أنْ يجعلونا نشعر بالسعادة أو الحزن أو الخوف أو الإثارة أو غيرها من مئات الحالات العاطفية. إنهم يريدون أنْ نحب بعض الشخصيات ونكره الأخرى. ويريدون منا أن نعجب بصوت وشكل خلقوه بالطريقة ذاتها التي نعجب بها بلوحة ما، إلّا أن المؤلفين يرسمون بالكلمات وليس بالألوان.

إليكم هذا المثال يبين كيف تصوّر لنا الكلمات الأشياء. هذا مقطع مأخوذ من قصة كتبها تشارلز ديكنز بعنوان (A Christmas Carol) ترنيمة عيد الميلاد، تتحدث عن العجوز البخيل سكروج Scrooge. (معناه البخيل أيضًا في الإنكليزية) وقد تمّ تحويلها إلى فيلم سينمائي عدة مرّات، من بينها فيلم كان جميع أبطاله من الدمى مع الممثل الإنكليزي الشهير مايكل كاين. هكذا يصف ديكنز Scrooge. يتم اختيار كل كلمة بعناية، مثل ضربات فرشاة في لوحة فنية.

أوه! كان رجلًا جامدًا في كل ما يتعلق بالمال. إنه سكروج! العجوز المذنب الذي كان يطمع بما لدى غيره،! كان صلبًا وحادًا مثل حجر الصوان، مثل قطعة فولاذ لم تمسسها أية نيران؛ متحفظ وكتوم، يعيش وحيدًا في قوقعة. البرد الذي سكن داخل جسمه جمّد معالم وجهه العجوز، أمال أنفه المدبب، وأذبل خده، وجمّد مشيته. وجعل عينيه حمراوتين، وشفتاه ناحلة زرقاء. كان يتحدّث بفطنة بصوته الأجش. وقد تناثر صقيع متجمد فوق رأسه وعلى حاجبيه وذقنه النحيل.

بعد قراءتنا لمثل هذا الوصف، أعتقد إنه يمكننا البدء في رسم صورة دقيقة جدًا عن سكروج.

إليكم صورة كلمة أخرى. إنها السطور الافتتاحية لرواية. لكن في هذه المرّة، يكون هدف المؤلف مختلفًا. إنه يريد أنْ يلفت انتباهنا بشدة حتى نتحمس بشدة إلى القراءة. هكذا يفعل ذلك، في جملة واحدة:

كانت ليلة ربيع دافئة عندما قرع بقبضته على الباب بقوة مما تسبب بتقوس مفاصل الباب.

نحن نسأل على الفور. أي باب؟ أية قبضة هذه؟ يجب أنْ تكون لعملاق على الأقل لكي تتقوس مفاصل الباب. دعنا نقرأ:

فتحها رجل وخرج إلى الشارع. كان هناك ضباب قادم من جهة النهر وكانت ليلة غائمة. ربما حاول أنْ يرى من خلال ذلك المخمل الأبيض.

الآن نحصل على بعض الأجواء الغامضة. الجو ضبابي. إذن ما هو نوع الشيء الذي طرق الباب في الضباب يجب أنْ نستمر في القراءة.

لكنه اعتقد فيما بعد إنه كانت هناك أشباح، تظهر خارج الضوء الذي يمتد إلى الطريق. أصبح هناك الكثير منها، تراقبه بعناية. اعتقد إنه ربما كانت هناك نقاط خافتة جدًا من الضوء... زادت أعداد الأشباح الآن. ظهر الكثير منها. إنها تراقبه. بشكل أكبر!

لم يكن هناك خطأ في الشبح الذي أمامه مباشرة، مع ذلك. كان كبيرًا ومظلمًا ومحمرًا كأنه تمثال لرجل من طين الصلصال صنعته يد طفل صغير. وكانت عيناه مثل جمرتين.

من الصعب جدًا التوقف عن القراءة عند هذه النقطة وإعادة الكتاب إلى الرف. لكن لا يمكنني الاستمرار لأنه يجب أنْ أنهي كتابي الخاص. آسف. (إذا لم تكن قد قرأت القصة، وتريد أنْ تنهيها، فان عنوانها هو أقدام من الطين Feet of Clay، والمؤلف هو تيري براتشيت Terry Pratchett).

إليكم صورة واحدة أخرى. قصيدة هذه المرّة. يقف ويليام وُردزوِث على جسر وستمنستر في لندن يوم 3 أيلول 1802، وما يراه يأخذ بأنفاسه:

ليس لدى الأرض شيء أكثر روعة وبهاء لتكشف عنه.
وحده البليد من يمر من أمام هذا المنظر غير عابئ.
ولا تؤثر فيه عظمة ما يرى:
تبدو المدينة الآن، وكأنها ترتدي ثوبًا يكشف عن
جمال الصباح. الصامت، الصافي
وتجد السفن والأبراج والقباب والمسارح والمعابد
والحقول الواسعة ترنو إلى السماء.
كل شيء مشرق متألق في الهواء النقي.
ولم تكن الشمس بمثل هذه الروعة أبدًا
ولا الوادي أو الصخرة أو التل؛
لم أشعر أبدًا بمثل هذا الهدوء العميق!
ينساب النهر بمحض إرادته:
عزيزي الله! تبدو البيوت نفسها نائمة

وكل هذه القلوب العظيمة ما تزال راقدة!ذهب خيال معظمنا إلى المنظر الطبيعي الذي تحدث عنه الشاعر ورأيناه مشرقًا وهادئًا كما وصفه. ربما لو كنا شاهدناه قبل ذلك لم نكن نفكر فيه هكذا. لكن قصيدة كهذه تعلمنا كيف نحس به، وكيف نتحدّث عن مشاعرنا. من السهل النظر إلى الأشياء دون التفكير بعمق فيها.

وظيفة الشاعر هي جعلنا نحس ونرى الأشياء بشكل مختلف. أو جعلنا نضحك أحيانًا كما في هذا المثال:

تعودت ماتيلدا أنْ تردد مثل هذه الأكاذيب المروعة،
التي تجعل المرء يحبس أنفاسه ويفتح عينيه على وسعهما.
حاولت عمتها، التي، حافظت منذ أيام شبابها الأولى،
على تقدير صارم للحقيقة،
أنْ تصدقها:
ولكن ما بذلته من جهود مضنية كادت أن تودي بحياتها...

كانت هذه قصيدة للشاعر هيلاير بيلو (كاتب ومؤرخ وشاعر إنكليزي - فرنسي، ويعتبر واحدًا من أشهر الكتّاب في إنكلترا خلال بداية القرن العشرين)، بعنوان (ماتيلدا، التي كانت تردد الأكاذيب، وتمّ حرقها حتى الموت). الآن أصبح هناك عنوان يجعلنا نواصل القراءة!

الأدب يضيف بعدًا لحياتنا. سواء قرأناه على هيئة كتب ورقية أو إلكترونية، أو استمعنا إليه على أقراص صوتية أو شاهدناه على أقراص DVD، إنه يؤسر قلوبنا وعقولنا بطريقة لا تستطيع فعلها أي وسيلة فنية أخرى. يمكننا أنْ ننظر إلى اللوحات والتماثيل، والاستماع إلى الموسيقى، ومشاهدة الرقصات والباليه، ولدينا بعض التجارب الرائعة. لكن لا شيء يتطابق مع مدى عمق التفاصيل التي تأتي من استخدام اللغة. اللغة هي أكثر الأشياء تعقيدًا التي يتعلمها البشر، وهي تفتح إمكانيات لا حصر لها

للتعبير عن الـذات. سننظر أكثر في هذه الحقائق في الفصل السابع والثلاثين.

لكن قبل أنْ نفعل، هذه كلمة أخيرة من أحد الشعراء. قبل بضع سنوات، كتب روبرت فيشر قصيدة بعنوان (البحث عن قصيدة). يبدأوها بهذه الأبيات:

لكي تجد قصيدة تكتبها
اصغ إلى الريح
وهي تهمس بكلمات غريبة ونادرة
ابحث تحت الصخور
قد تجد في أحد المتحجرات
حروف قصيدة قديمة.
فهي موجودة في كل مكان
في أماكن لا تتوقعها مطلقًا...
حتى أنكم تجدوها، كما ترون، في كتاب عن اللغة.

رباعيات

الأدب متنوع جدًا. هناك كل أنواع أو (أجناس) الروايات والمسرحيات والشعر. في بعض الأحيان، يمكننا في الواقع تحديد ولادة نوع أدبي جديد.

في أوائل عام 1890، جرّب إدوارد كليريخو بنتلي كتابة السير الذاتية الشعرية لأشخاص في أربعة أسطر. أحبها الجميع، وأصبحوا يطلق عليهم اسم (clerihews). هذه أربعة من المفضلة عندي:

هذه سيرة شخصية
إنها تختلف عن الجغرافيا.
الجغرافيا تتعامل مع الخرائط،
بينما تتعامل السيرة الذاتية مع البشر

جيمس هوغ
كان لديه كلبٌ
لكن، لأنه راعٍ
لم يكن لديه نمر.

السير همفري ديفي
لم يكن مولعًا بالمرق
عاش مكللاً بالعار
من بعد اكتشاف الصوديوم.

كم كنا حمقى!
لقد نسينا الملكة!
يقال إنها تنزع تاجها،
عندما تذهب إلى النوم.

الآن لديك الفكرة، حاول كتابة واحدة. لا أريد أنْ أدخل أية أفكار في رأسك، لكن المعلمين يصنعون مواضيع جيدة...

بالمناسبة، كان بينتلي في سن السادسة عشر فقط عندما ألف أول كتاب له، كان عن همفري ديفي. لقد فكر به خلال درس العلوم في مدرسته!

الفصل السادس والثلاثون



تطوير أسلوب الكتابة

قام جميع المؤلفين الذين تعرفنا عليهم في الفصل الخامس والثلاثين بتطوير أسلوب خاص بهم. الأسلوب هو طريقة شخص ما لاستخدام اللغة. إنها نفس الفكرة عندما نشعر بالإعجاب بشخص ما، ونقول له (أحب أسلوبك!) فإننا نعني: (أحب الطريقة المميزة التي تتعامل بها مع أمور حياتك). يجب الأشخاص أنْ يفعلوا شيئًا مميزًا مع اللغة أيضًا.

كان يجب أنْ أبدأ هذا الفصل بالقول: لقد طوّر جميع المؤلفين أساليب خاصة بهم. الأسلوب لا يشبه بصماتنا. لدينا أساليب مختلفة، والتي نقوم بتطويرها لتتناسب مع الظروف المختلفة التي نجد أنفسنا فيها. أفضل مقارنة لذلك هي الملابس التي نرتديها.

إذا نظرنا إلى خزانة الملابس لدينا، ماذا نرى؟ لقد تمكن معظمنا من جمع مجموعة كبيرة من أنواع الملابس المختلفة. لدينا ملابس فاخرة للمناسبات الخاصة، ملابس غير رسمية لكل يوم، ملابس نرتديها إذا كان الجو حارًا، وملابس إذا كان الجو باردًا، وملابس للهو والعلب، وملابس السباحة، وغيرها الكثير. نحن لا نخلط بينها. من الحماقة أن نخرج في الثلج ونحن نرتدي سراويل قصيرة، أو نذهب إلى الشاطئ في يوم حار يغلي ونحن نرتدي معطفًا. وإذا تمت دعوتنا لحفلة راقية، فيجب أنْ نلبس ما يناسبها من ملابس.

في بعض الأحيان ليس لدينا خيار. إذا كنا ننتمي إلى فريق الكشافة أو المرشدين، أو مجموعة من المتدربين لغرض الانضمام إلى الجيش، أو ننتمي إلى فرقة موسيقية، أوكنا أحد المشجعين، أو انضممنا إلى فريق لكرة القدم أو التحقنا بسلك الجيش أو الشرطة، فعلينا أنْ نرتدي الزي أو الطقم الخاص بكل مجموعة. وأحيانًا يتلقى البعض دعوة لحفل استقبال أو حفلة، وتذكر بطاقة الدعوة ما يجب ارتداؤه. قد تذكر (فستان سهرة) أو (بدلة رسمية) أو (زي تنكري). فينظرون داخل الخزانة لمعرفة ما إذا كانوا يمتلكون ما يحتاجون إليه. وإذا لم يكن لديهم، فعليهم إما أنْ يخرجوا ويشتروها أو يستعيروها أو يستأجروها، أو لا يذهبون.

عندما نكبر، نبني خزانة لغوية داخل رؤوسنا. وبدلاً من الملابس، تكون مليئة بالأساليب اللغوية. نتعلم التحدّث والكتابة

بطرق مختلفة، اعتمادًا على مكان وجودنا، ومن نتحدث معه، والانطباع الذي نريد أنْ نقدمه لأنفسنا. لقد رأينا بالفعل أمثلة على ذلك في الفصل 11، ومرة أخرى في الفصلين الثاني والعشرين والثالث والعشرين. نتعلّم استخدام اللغة الرسمية للمناسبات الرسمية واللغة غير الرسمية في المناسبات غير الرسمية. نحن نتعلم أنواعًا مختلفة من اللغة غير الرسمية للتحدّث إلى أفراد العائلة والأصدقاء والمعارف العاديين والغرباء. نتعلم طرقًا خاصة للتحدثً، إلى الحيوانات أو الأطفال الصغار، كما رأينا في الفصل الأول. وطرق خاصة للكتابة، كما رأينا عندما بحثنا في الرسائل النصية في الفصل الثلاثين.

في المدرسة، نتعرّف على طرق رسمية أكثر للتحدّث والكتابة. نتعلم طرقًا جديدة للتعامل مع الناس، من خلال قول (سيدي) أو (سيدتي). نجد إن علينا التحدّث والكتابة بشكل مختلف لتتناسبا مع موضوع الدراسة. هناك نمط واحد للغة، يمكننا اكتشافه بسرعة، لا يتناسب مع جميع المواضيع. إن الطريقة التي نكتب بها للإجابة على سؤال الرياضيات مختلفة تمامًا عن الطريقة التي نؤلف بها مقالاً في التاريخ أو الجغرافيا، أو نكتب بحثا علميًا، أو نؤلف قطعة من الكتابة الخيالية. نتعلم أنماطًا مختلفة من التحدث أيضًا، القراءة بصوت عالٍ والنقاش والمشاركة في المسرحيات المدرسية.

عندما نغادر المدرسة، هناك العديد من الأساليب التي يجب علينا إتقانها. الوظيفة التي سنعمل بها ستجعلنا نتحدث

ونكتب بطرق معينة. لقد أوضحت العديد منها بالفعل في هذا الكتاب: عندما تحدثت عن لغات السياسيين والمعلنين والمحامين والأطباء والكهنة وما إلى ذلك. ولكن علينا أيضًا تعلّم مهارات جديدة للتعامل مع حياتنا في المنزل. نحتاج إلى تعلّم كيفية ملء الاستمارات، مثلاً عندما نقدم طلبًا للحصول على رخصة قيادة أو جواز سفر أو مقعدٍ في الكلية أو الجامعة. عندما نبدأ في الحصول على أموال مقابل الوظيفة، علينا أنْ نكمل الإقرار الضريبي للحكومة. وقبل أنْ نحصل على أي وظيفة على الإطلاق، يتعين علينا كتابة سيرتنا الذاتية (سيرتنا الذاتية) التي تتضمن سجل إنجازاتنا وخبراتنا ومؤهلاتنا حتى الآن ومن ثم إرسالها.

هناك طرق صحيحة وطرق خاطئة للقيام بكل هذه الأشياء. وإذا فعلنا أشياء بطريقة خاطئة، فلن نحصل على ما نريد. إذا قمنا بتعبئة نموذج جواز السفر الخاص بنا بشكل خاطئ، فلن نحصل على جواز سفر. إذا أرسلنا سيرة ذاتية ولم نتحقق من تهجئتنا، فربما لن نحصل على هذه الوظيفة. قد يؤدي ملء نموذج بشكل خاطئ إلى تكبدنا بعض الخسائر. هناك بعض الحالات التي يتعين علينا فيها دفع غرامة إذا أخطأنا.

الأمور لا تصبح أسهل. تضاعف عدد الأنماط التي يتعين علينا إتقانها، بسبب الإنترنت. يتم الآن تنفيذ العديد من الأنشطة التي كان يتم التعامل معها من خلال البريد أصبحنا نقوم بها عبر الإنترنت. وعلى الرغم من وجود أوجه تشابه بين ملء نموذج

على الورق وملء واحد على الشاشة، فهناك أيضًا الكثير من الاختلافات. في هذه الأيام، على كل شخص أنْ يتعلم القيام بالأشياء إلكترونيًا، وكذلك على الورق.

في بعض الأحيان، كما هو الحال مع الملابس، لا يمكننا ببساطة اختيار نوع اللغة التي نستخدمها. إذا كنا أشخاصًا يذهبون إلى مراسم دينية، فإن نوع اللغة التي نستخدمها يتم وضعها مسبقًا. يقول الناس الصلوات بطريقة ثابتة، وغالبًا ما يتحدث الجميع معًا. إذا قرأ أحدهم بصوت عالٍ من كتاب مقدس، فيجب ترديد ذلك بأسلوب مناسب.

نفس المبدأ ينطبق إذا وجدنا أنفسنا في المحكمة، فكل شخص موجود هناك يتحدّث بطريقة خاصة - القاضي والمحامون والشهود والمتهمون -. قد نضطر إلى أداء القسم، وهو ما يعني تكرار الكلمات تمامًا كما تقال لنا. إذا قدمنا أدلة، يتعين علينا الإجابة على جميع الأسئلة والقيام بذلك بطريقة محترمة وبشكل صحيح. إذا لم نفعل ذلك، فيمكن أنْ نتهم بالوقوع في تهمة (ازدراء المحكمة). وإذا كان القاضي يعتقد أنْ الجريمة خطيرة، يمكنه حتى تغريمنا أو إرسالنا إلى السجن من أجلها.

لذلك يمكن أنْ يدفعنا ذلك إلى معرفة أكبر قدر ممكن حول الأنماط المختلفة الموجودة في اللغة، وإتقان أكبر عدد ممكن منها. ويعني إتقان النمط إحساسًا بالوقت المناسب لاستخدامه ومتى لا يكون كذلك. إذا كان لدينا ذوق جيد في الملابس، فهذا يعني إننا نعلم بشكل غريزي أي نوع من الأشياء التي نرتديها لتتناسب

مع هذه المناسبة. يحدث نفس الشيء مع اللغة. يجب علينا إنْ ننمي داخلنا (إحساسًا لغويًا) جيدًا أيضًا.

كيف لنا أنْ نفعل ذلك؟ في هذه الأيـام تقيم المدارس والكليات في كثير من الأحيان دورات في (المهارات اللغوية) أو (الوعي اللغوي) والتي تقدم للطلبة تدريبات في تطوير الأنماط التي يحتاجونها. هذه الدورات تبني أساسًا جيدًا لدى الأفراد يمكن البناء عليه في وقت لاحق من الحياة. في بعض البلدان، من الممكن متابعة منهج امتحاني يدرّب الطلبة ويختبر الوعي اللغوي لديهم، مثل منهج اللغة الإنكليزية في مستوى A في المملكة المتحدة. إذا لم تكن مثل هذه الدورات موجودة، فمن الممكن أنْ نتعلّم قليلاً عن اللغة من مصادر أخرى، مثل المنتديات عبر الإنترنت، وبطبيعة الحال، عن طريق قراءة كتب مثل هذا الكتاب الذي بين يديك!

إذن، فالأسلوب هو أمر يتطابق إلى حد كبير مع الطريقة التي يفعل بها الناس الأشياء. لكن ليس كل شيء في الأسلوب هو مسألة أنْ نفعل نفس الشيء مثل أي شخص آخر. هناك مجال واسع لأنفسنا، مثل إرسال رسائل إلى المدونات أو المنتديات، وكتابة رسائل البريد الإلكتروني والمقالات، وتأليف القصص والقصائد، وإرسال الرسائل النصية والتغريدات، والتحدّث إلى أفراد العائلة والأصدقاء، وإلقاء الخطابات والإعلانات، والتفكير في رسائل لبطاقات عيد الميلاد، والقيام بالعشرات من الأنشطة اليومية الأخرى التي تنطوي على اللغة.

كيف نطوّر أسلوبنا الخاص؟ طريقة واحدة هي العثور على النماذج التي نعجب بها ونسخها. إذا كنت تعتقد إن تيري براتشيت كاتب رائع، فحاول الكتابة مثله. إذا كنت تعتقد إن وصف تشارلز ديكنز للبخيل كان رائعًا، فحاول كتابة وصفك الخاص لشخص ما بهذا النوع من الأسلوب. ستجد إن بعض الأنماط تأتي بسهولة أكبر من غيرها. من خلال إجراء العديد من التجارب، ستكتشف في النهاية أسلوبًا تجده مريحًا في استخدامه. لن يكون أسلوبًا لبراتشيت أو ديكنز أو أي شخص آخر استخدمته كنموذج. سيكون أسلوبك.

هناك طريقة أخرى للتلاعب بقواعد لغتك، لمعرفة كيفية عملها، ومعرفة ما إذا كنت تفضل طريقة للتعبير عن نفسك بدلاً من طريقة أخرى. على سبيل المثال، في هذه الجملة، من الممكن تحريك بعض الكلمات من أماكنها قليلاً.

بسرعة ركض الجنود عبر الميدان.
ركض الجنود بسرعة في الميدان.
ركض الجنود بسرعة عبر الميدان.
ركض الجنود عبر الميدان بسرعة.

وكلها تعني نفس الشيء، لكن إيقاع كل جملة مختلف، وهناك اختلافات في التركيز. إذا كنت تكتب قصة، ما الذي تفضله؟ الطريقة الوحيدة لمعرفة ذلك هي تجربة كل منها، ثم

الاختيار. ولكن، من أجل تجربة كل واحدة، عليك أنْ تعرف أن هناك أربعة خيارات في المقام الأول.

كلما عرفت أكثر عن قواعد لغتك، كلما تمكنت من القيام بهذا النوع من الأشياء. في ما يلي مثال حيث يوجد ستة خيارات:

قديم، دمر، المنزل خائف لنا جميعًا بمجرد أنْ رأينا ذلك.
أخافنا البيت القديم المدمر عندما رأينا ذلك.
المنزل، القديم، المدمر، أخافنا جميعًا حالما رأينا ذلك.
قديم ومدمر، المنزل خائف لنا جميعًا بمجرد أنْ رأينا ذلك.
لقد أخافنا البيت القديم والمدمر عندما رأينا ذلك.
أخافنا المنزل، القديم والمدمر، حالما رأيناه.

أي خيار هو الأفضل؟ لا توجد إجابة (صحيحة). وقد تجد نفسك أيضًا تختار الأول على الصفحة الأولى من قصتك والأخير في الصفحة 20. عندما ننظر بعناية إلى الطريقة التي يكتب بها المؤلفون المحترفون، نجد في الغالب اختلافات من هذا القبيل. وهذا ما يطلق عليه (تحليل الأسلوب)، وهو في رأيي أحد الأنشطة الأكثر إثارة للاهتمام في دراسة اللغة.

أسلوب الصرصور آرشي

أسلوب الكتابة هو دائمًا مسألة اختيار. وتقدم لنا اللغة عدة طرق لقول شيء ما، ونختار نحن الأسلوب الذي نعتقد إنه يناسب ما نريد قوله أو الظروف التي نقولها فيها. لكن بالنسبة لبعض الكتّاب، هذا لا يكفي. فهم يريدون في الواقع مخالفة القواعد التقليدية التي تحكم اللغة ليمنحوا أنفسهم أسلوبا مميزًا. وخير مثال على ذلك عدم استخدامهم الحروف الكبيرة.

اشتهر كاتب أميركي يدعى دون ماركيز بقصصه عن صرصور يدعى أرشي وقطة الزقاق التي تدعى ميهيتابيل. كان الصرصور يخرج ليلاً ويستخدم الآلة الكاتبة التي يمتلكها دون ماركيز لكتابة قصائده، لكنه كان يعاني من مشكلة.

كان ضئيلاً جدًا إلى الحد الذي لا يمكنه الضغط على مفتاح shift في نفس الوقت الذي يكتب فيه الحروف، وهكذا فلم يكن يستطيع كتابة حروف كبيرة Capital letters، ولم ينجح في كتابة علامات الترقيم. ونتيجة لذلك، تظهر جميع قصائده على هذا النحو:

if you get gloomy just
take an hour off and sit
and think how
much better this world
is than hell
of course it won't cheer
you up much if
you expect to go there

إذا كنتَ حزينًا،

خذ استراحة فقط لساعة من الزمن وتأمل

وفكر كيف يمكن أنْ

يكون هذا العالم

أفضل بكثير من الجحيم

وبالطبع لن يستطيع العالم جعلك سعيدًا للغاية إذا

كان مصيرك الذهاب إلى الجحيم

القصيدة ليست سيئةً على الإطلاق، بالنسبة لصرصور

الفصل السابع والثلاثون



تعقيدات اللغة

إن اللغة هي أكثر الأشياء التي يتعلمها البشر تعقيدًا، كما قلت في نهاية الفصل الخامس والثلاثين. دعونا نفكر للحظة في سبب ذلك.

انظر إلى ما تقرأه الآن. يقوم دماغك بمعالجة كل ذلك، بسرعة كبيرة، فهناك ما يصل إلى 26 حرفًا من الأبجدية، بعضها كبير، وبعضها صغير، إضافة إلى العشرات من علامات الترقيم. تمّ دمج هذه الحروف في كلمات، وهناك (كما رأينا في نهاية الفصل الثالث) آلاف الكلمات توجد في اللغة ويمكنك الاختيار منها. يمكن أنْ تكون في العديد من هذه الكلمات بدايات ونهايات مختلفة مثل (سعيد)، (غير سعيد)، (سعادة)، (تعاسة)، وهناك العشرات منها. ثم يتم الجمع بين الكلمات في جمل، وهناك عدة

آلاف من الطرق للقيام بذلك. هناك الآلاف من الطرق التي نوحّد فيها ما بين الجمل في فقرات، والفقرات في فصول، والفصول في كتاب كامل. وإلى جانب كل هذا، وبينما ننتقل من كتاب إلى آخر، علينا التعامل مع عدد كبير من الاختلافات في الطريقة التي تبدو بها اللغة على الصفحة بأحجام مختلفة النوع، وخطوط بأحجام وأنواع مختلفة، وهكذا.

يحدث الأمر نفسه مع الكلام. إذا قرأنا بصوت عالٍ، فعلينا أنْ نستخدم أصوات اللغة، يوجد أكثر من 40 صوتًا في حالة اللغة الإنكليزية، كما رأينا في الفصل الخامس. يتم دمجها في مقاطع، وهناك عدة مئات من الطرق للقيام بذلك، يجب علينا تعلّم أن متواليات الصوت مثل (up) و(shoe) و(spots) هي طرق ممكنة للتحدّث باللغة الإنكليزية، ولكن (ngop) و(shmfi) و(doprns) ليست كذلك. فنقوم، كما هو الحال مع الكتابة، بدمج هذه الكلمات في جمل. لكن، على عكس الكتابة، لا يكون كلامنا على شكل فقرات وفصول. وبدلاً من ذلك، نتكلم على شكل محادثات وخطابات. ولكي نجعلها حية، فإننا نستخدم مئات النغمات المختلفة للصوت، التنغيم، والصياح، والسرعة، والإيقاع في كلامنا.

ما الغرض من كل هذا؟ لتمكيننا من قول وكتابة ما نريد. ليس هناك حدود لهذا الأمر. إنه أمر مذهل حقًا. بمجرد أن تعلمنا بضعة آلاف من الكلمات، وتعلمنا الطرق التي تسمح

لنا بها لغتنا في تجميعها في جمل، يمكننا قول أشياء لم يقلها أحد من قبل. إليك مثال على ذلك:

قام اثنا عشر فردا من رجال الشرطة يرتدون الجوارب الصفراء برمي الحمير على الشاطئ.

أراهن أن هذه هي المرة الأولى التي يقول فيها أحد أو يكتب تلك الجملة في تاريخ العالم. لقد كوّنتها الآن، وعلى الرغم من إنك لم ترها من قبل، فقد فهمتها دون أي مشكلة على الإطلاق. واللغة هي التي تمكننا من القيام بهذا.

في الواقع، معظم الجمل التي كتبتها في هذا الكتاب جديدة. لم أكتبها من قبل، ولم يكتبها أي شخص آخر. ولم تقرأها من قبل. وبطبيعة الحال ليست كل الجمل هي جمل جديدة. أنا لست أول شخص في الكون كتب الجملة التي استخدمتها في بداية الفقرة السابقة، ما (الغرض من كل هذا؟) لقد قمت بكتابتها في Google، وحصلت على ما يقرب من نصف مليون إجابة. ولكنني كتبت للتو (الشرطي الاثنا عشر) في Google، ولم أحصل على أي نتيجة. بالطبع، لا يحتوي محرك البحث على كل ما قيل أو مكتوب. ولكن يمكن أنْ يعطينا فكرة حول ما هو شائع وما هو نادر في اللغة.

يمكننا أنْ نكون أكثر أصالة، إذا أردنا ذلك. إذا كانت لدينا فكرة في ذهننا ونريد التعبير عنها، ولا يمكننا العثور على الكلمات لنقولها، فيمكننا صياغة كلمات جديدة لتوضيح وجهة

نظرنا. غالبًا ما ننشئ كلمات جديدة من خلال إضافة (un)، على سبيل المثال. كلمات مثل هذه:

uncool, unchoosy, unfunny, unsorry

غير آسف، غير مرح، غير مهذب، غير أنيق

تلاعب الكتّاب باللغة لمئات السنين. منذ أكثر من قرن من الزمان، كتبت لويس كارول مشهدًا في روايتها (أليس في بلاد العجائب) حيث تلتقي أليس بهاتر المجنون وآخرين يجلسون حول مائدة شاي. لم يكن عيد ميلادها، لكنهم تمنوا لها unbirthday merry. (المقصود إن الكاتبة اخترعت كلمة غير موجودة من قبل وهي unbirthdady) قبل نحو 400 عام، كتب شكسبير مسرحية ماكبث، وفيها شخصية تحمل اسم مالكولم يقول العديد من الأكاذيب عن نفسه. عندما يعترف مالكولم في النهاية بأن ما كان يقوله ليس صحيحًا، فهو يقول إنه (unspeak) لم يتكلم الصدق. أحب شكسبير ابتكار كلمات مثل (unspeak).

هذه القدرة على أخذ أجزاء مألوفة من اللغة ودمجها لصنع كلمات وجمل جديدة هي ما يميز اللغة عن الطرق الأخرى التي يستخدمها البشر للتواصل. انظر إلى شخصين يتحدثان مع بعضهما البعض. بينما يتحدثون، يتطلعون أيضًا إلى بعضهم البعض، ويمكننا أنْ نرى إن التعبيرات على وجوههم تضيف الكثير إلى ما يقولونه. يبتسمون ويعبسون وينظرون بدهشة. وقد يستخدمون أيضًا أجسادهم في عمل إيماءات، مثل رفع أكتافهم أو إبداء إشارة بإصبع الإبهام. قد يلمسون بعضهم

البعض أيضًا، عندما يتصافحون أو يقبلون بعضهم. كل هذه طرق للتواصل. ولكن هل يمكن وصفها بأنها (لغة)؟

يستخدم الأشخاص أحيانًا عبارة (لغة الجسد) لوصف تعابير الوجه والإيماءات والسلوك الجسدي. لكن هذه ليست لغة، بنفس الطريقة التي نستخدم فيها الكلمات في هذا الكتاب. يجب علينا الحذر من كلمة (لغة). فغالبًا ما يتم استخدامها بطريقة مكشوفة لتعني أي نوع من الاتصال بين الأشخاص. في ما يلي ما كتبه أحد الأشخاص في إحدى الصحف:

كانت الفرقة رائعة. وكان كل من يحمل آلة موسيقية يعزف بذات اللغة.

ماذا يعني هذا؟ إنه لا يعني أن الألات الموسيقية كانت تتحدث الإنكليزية أو الفرنسية أو أية لغة أخرى. كانت تلك طريقة لوصف مدى نجاح العازفين معًا. كانوا يظهرون نفس النوع من الفهم المشترك كما يفعل الناس عندما يتحدثون مع بعضهم البعض. إنه استخدام خاص لكلمة (لغة).

يظهر تعبير (لغة الجسد) استخدامًا خاصًا آخر للكلمة. عندما يستخدم الأشخاص وجوههم أو أيديهم لإظهار مشاعرهم، فهم يفعلون شيئًا مختلفًا تمامًا عما يفعلونه عندما يتحدثون أو يكتبون أو يستخدمون لغة إشارة الصم. فيما يلي الاختلافات الرئيسة بينها:

الاختلافات في الحجم

كم عدد الكلمات في اللغة؟ أكثر من مليون كلمة، في حالة لغة مثل الإنكليزية. كم عدد تعابير الوجه الموجودة؟ فقط بضع

عشرات. ربما بضع مئات، إذا قمنا بتضمين ذلك كل حركات اليد الذكية التي تظهر في بعض أنواع الرقص. لكنه يبقى رقمًا صغيرًا مقارنة باللغة.

الاختلافات في الابتكار

يمكننا بسهولة ابتكار كلمات جديدة في لغة ما، كما هو الحال في حالة كلمة (unbirthday). يمكننا بسهولة ابتكار تعبيرات وجه جديدة؟ جربها. اخترع تعبيرًا جديدًا في الوجه الآن. إنه أمر غير ممكن. تستطيع اللغة أنْ تخلق وتبتكر بطريقة لا تستطيعها لغة الجسد.

الاختلافات في البنية

اللغة لها بنية مثيرة للاهتمام على مستويين. الأصوات الفعلية والحروف التي ليس لها معنى. لا يمكننا قول إن الحروف (ح) أو (ل) أو (م) تعني أي شيء. إنها مجرد أصوات وحروف. ولكن بمجرد أنْ نجمعها في كلمات، يصبح لدينا معنى. إنه السحر: مثال على ذلك كلمتي (حلم) و(ملح)، تعبيرات الوجه ليست هكذا. فهي لديها دائمًا معنى.

علينا أنْ نتعلم الكثير من قواعد اللغة لكي نستطيع التعبير عن معانٍ مختلفة، مثل تغيير ترتيب الكلمات في الجملة كما في جملة «رأى الكلب الأولاد» في المثال في الفصل التاسع عشر. لكننا لا نمتلك قواعد لتغيير ترتيب تعبيرات الوجه للتعبير عن المعاني المختلفة.

لقد تحدثت فقط عن تعابير الوجه، في هذا السياق. ولكن تظهر نفس المشكلات عندما نتواصل باستخدام الإيماءات أو اللمس.

هناك موقف واحد فقط تتحول فيه الإيماءات إلى لغة حقيقية، وذلك عندما يقوم الصُم بتطويرها إلى لغة إشارة بالطريقة التي وصفتها في الفصل الثامن عشر 18. لكن لغة إشارة الصُم تختلف تمامًا عن الإيماءات العفوية التي يصادفها الناس في حياتهم اليومية.

وبالمثل، يمكن تطوير قدرتنا على اللمس إلى لغة حقيقية. هذا ما حدث في الحالة الشهيرة للكاتبة هيلين كيلر التي عاشت في القرن العشرين، والتي ولدت صماء وضريرة. لا تستطيع الرؤية أو السماع، تعلمت أنْ تتحدث باستخدام يديها لتشعر بحركات الأعضاء الصوتية للأشخاص الذين من حولها، ثم تطبقها على نفسها. مرة أخرى، هذا النوع من الأشياء يختلف تمامًا عن اللمسة العرضية التي يفعلها معظمنا في الحياة اليومية.

البشر قادرون على توصيل أفكارهم ومشاعرهم بطرق مختلفة. إذا كانت لدي القدرة، يمكنني أن ألونها، وأرسمها، وأنحتها، أرقصها، وأكتبها على شكل سيمفونية أو باليه أو قطعة من موسيقى الجاز، والتعبير عن نفسي بكل الطرق التي تسمى (الفنون والحِرف اليدوية). كل شخص يفعل شيئًا يختلف عن الآخرين. وقد استخدمت كلمة (لغة) في الإشارة إلى كل واحدة منها. فيتحدث الناس عن (لغة الرسم) و(لغة الموسيقى) وما إلى ذلك.

ولكن هناك اختلاف جوهري بين جميع أشكال الفن هذه و(اللغة) بمعنى هذا الكتاب. عندما نرى لوحة أو رقصة أو نستمع إلى مقطوعة موسيقية، لا نحتاج إلى لغة للاستمتاع بما نراه ونسمعه. ولكن إذا أردنا وصف ما رأيناه وسمعناه، أو إعطائه اسمًا، أو مناقشته مع الآخرين، فنحن بحاجة إلى اللغة. تتيح لنا اللغة التحدّث عن تجربتنا حول العالم بطريقة لا يمكن أنْ تقوم بها أية وسيلة أخرى للتواصل. هذا هو السبب في كونها متميزة جدًا. هذا هو السبب في أنها تستحق كتابًا خاصًا بها. وهذا هو السبب في دراستها من قبل حقل معرفي يسمى علم اللغة.

الحيوانات والغرباء

يقال أحيانا إن الحيوانات لديها لغة أيضًا. يتحدث الناس على سبيل المثال عن (لغة) الطيور والقردة والنحل والحيتان والدلافين. ومن الصحيح أنْ بعض أنواع الحيوانات طوّرت طرقًا متطورة بشكل مذهل للتواصل مع بعضها البعض. عندما يغني اثنان من طيور الشحرور مع بعضهما البعض، يبدو وكأنهما يقومان بإجراء محادثة حقيقية.

ولكن هناك اختلافات كبيرة بين طرق تواصل الحيوانات والطرق التي يستخدمها البشر للتواصل. عندما تصدر الحيوانات صوتًا، مثل عواء أو صراخ، فهذا رد فعل فوري

لما يحدث حولها. إذا شعرت بالخوف، سوف تطلق صرخة تحذير. وإذا كانت جائعة، فإنها تطلق أصواتًا تعبر عن الجوع، لا يمكن للحيوانات أنْ ترسل صرخة تقول فيها (كنت خائفة يوم الخميس من الأسبوع الماضي) أو سأشعر بالجوع مساء هذا اليوم، فقط لغة البشر تستطيع فعل أشياء كهذه.

أحرز علماء الحيوان بعض النجاح في تعليم الحيوانات لغة البشر، التجربة الأكثر شهرة كانت تعليم حيوانات الشمبانزي صنع إشارات بأيديها للتحدث عن عدد وفير من الأشياء، في بعض الحالات كانت الحيوانات قادرة على ربط الإشارات سوية لتكوين جمل بسيطة، وبالطبع فإنها احتاجت إلى تدريب طويل لتعليمها كيفية فعل ذلك. ولكنها أظهرت أن الفجوة بين الاتصال الحيواني ولغة البشر ليست كبيرة كما كنا نعتقد.

الذي سنراه ممتعًا حقًا هو إذا استخدم الغرباء اللغة بنفس الطريقة التي يستخدمها فيها البشر أو يتكلمونها مثل شخصية R2D2 في فيلم حرب النجوم أو حتى يستخدمون وسائل غريبة للاتصال، مع الأسف في أغلب أفلام الخيال العلمي ينتهي بهم المطاف للتكلم بالإنكليزية.

الفصل الثامن والثلاثون



علم اللغويات

اللغويات Linguistics هي علم اللغة. والأشخاص الذين يدرسون اللغة من خلاله يطلق عليهم اسم اللغويون. أنا لغوي، وكذلك أنتَ، إذا كنت قد قرأت سابقًا كتبًا في هذا المجال.

وبالطبع فان كلمة (لغوي) لها معنى آخر. يمكن أنْ تعني شخصًا يتقن عدة لغات أجنبية، مثل هارولد ويليامز المذهل الذي ذكرناه في الفصل الثالث والذي يمكنه التحدّث بثمانية وخمسين لغة. هذه مهارة فريدة من نوعها. يمكنني دراسة الموسيقى دون معرفة كيفية عزف الكثير من الآلات الموسيقية بشكل جيد. الأمر نفسه مع علم اللغة. يمكنني دراسة اللغة دون الحاجة إلى أنْ أتحدث الكثير من اللغات بطلاقة.

هناك فرق كبير بين (اللغة) و(اللغويات). كان هذا كتابًا عن اللغة. لم يكن مقدمة إلى لغات العالم المختلفة. لم أخبركم كل شيء عن الفرنسية أو الألمانية أو الصينية. ربما كنت قد اخترت أمثلة من هذه اللغات، هنا وهناك، ولكن هذا كان دومًا لتوضيح نقطة عامة. كان هذا الكتاب حول النقاط العامة. ما الذي تشترك فيه كل اللغات؟ كيف تختلف؟ كيف يتحدّث الناس ويكتبون ويستخدمون علامات الإشارة؟ كيف يتعلمون لغتهم؟ لماذا يستخدمون اللغة؟

يمكننا دراسة هذه الأسئلة حتى لو كنا نعرف لغة واحدة فقط. من الواضح أن الأشخاص الذين يقرأون هذا الكتاب يعرفون اللغة الإنكليزية، لذلك تمّ أخذ معظم الأمثلة من هذه اللغة. إذا ما أراد شخص ما ترجمة هذا الكتاب إلى لغة أخرى، يجب عليه تغيير الأمثلة أيضًا، حتى يفهمها قراء هذه اللغة بشكل أفضل. لكنهم لن يحتاجوا إلى تغيير تفسيرات كيفية عمل اللغة. إن الأعضاء الصوتية التي أستخدمها من أجل التحدّث باللغة الإنكليزية هي نفسها التي يستخدمها شخص فرنسي للتحدث باللغة الفرنسية، أو تلك المستخدمة من قبل شخص يتحدث العربية أو السواحيلية أو الصينية. لدينا جميعًا رئات وألسنة وشفاه. لدينا جميعا آذان وأدمغة. يمكننا دراسة كيفية عمل هذه الأجهزة بغض النظر عن اللغة المحددة التي نتحدّث بها.

وبالطبع، كلما زادت اللغات التي نعرفها، سيكون فهمنا لكيفية عمل اللغة أكثر عمقًا. لا يستغرق الأمر وقتًا طويلاً

للحصول على معرفة أساسية بلغة ما. ويعرف طلاب كليات اللغات إنهم لا يحتاجون أن يقضوا سوى بضع ساعات فقط قبل أنْ يتمكنوا من فهم أساسيات لغة جديدة. وإذا عملوا مع أحد المتحدثين بلغة أجنبية سيتمكنون في غضون 10 ساعات، من معرفة كيفية نطق جميع الأصوات، وتعلّم بضع مئات من الكلمات، وإتقان القواعد الأساسية لقواعد اللغة بما يكفي ليتمكنوا من الاستمرار في إجراء محادثة بسيطة في تلك اللغة. إنهم بعيدون كل البعد عن التحدّث بها بطلاقة، فذلك الأمر سيستغرق بالطبع مئات الساعات، بسبب كل الكلمات التي يجب تعلّمها. لكنها بداية رائعة.

الهدف من علم اللغويات ليس جعلنا نتقن العديد من اللغات. بل اكتشاف كيفية عمل هذه اللغات. كل واحدة من الستة آلاف لغة في العالم تعمل بطريقة مختلفة، كما رأينا في الفصل التاسع عشر. لكل منها قواعده الخاصة في النطق والنحو والمفردات والمحادثة. وإذا تمّ تدوينها، فلها قواعدها الخاصة في التهجئة وعلامات الترقيم. لكل منها أساليبه المختلفة في التحدّث والكتابة ولهجاته ولكناته وأدبياته.

وإليكم النقطة المهمة: لقد تمت دراسة عدد قليل جدًا من هذه اللغات جيدًا. في الواقع، لم يتم دراسة العديد من لغات العالم على الإطلاق. أما لكل ما نعرفه من لغات، قد يكون لديها بعض الأصوات والكلمات وأنماط الجمل الرائعة التي لا توجد في أي لغة أخرى. يبحث علماء اللغة عن هذه الأمور، مثلما

يفعل علماء الحيوان وعلماء النبات عندما يجولون حول العالم بحثًا عن أنواع جديدة من الحشرات أو الزهور. المشكلة هي أن هناك الكثير من اللغات ولكن ليس هناك الكثير من اللغويين. وعندما نفكر في جميع جوانب اللغة التي يجب دراستها (كما هو موضح في الفصل السابع والثلاثين)، يمكننا بسهولة أنْ نرى إن الأمر يحتاج فترات طويلة من الوقت.

حتى اللغات المعروفة تحتاج إلى دراسة. قد تظن إن كل شيء معروف عن لغة مثل الإنكليزية لأن الناس يحققون فيها منذ قرون. الأمر ليس كذلك. هناك مئات الأشياء ما تزال تنتظر أنْ يتم اكتشافها. فكر في جميع اللهجات واللكنات، كبداية. كثير منها لم يتم وصفها بالتفصيل. أو فكر في الطريقة التي تتغير بها اللغة. اللغة الإنكليزية التي استخدمناها في عام 2000 ليست هي نفسها الإنكليزية في عام 2010، وسوف تتغير مرة أخرى بحلول عام 2020. كل عام يجلب كلمات جديدة، وأنماط جديدة، وغالبًا ما يجلب نطق جديد، وهجاء جديد، وأنماط جديدة للجملة. وهذه جميعًا تنادي: (إدرسوني!).

أنظر إلى طريقة تطوّر الإنترنت. تسمح لنا التكنولوجيا الجديدة باستخدام اللغة بطرق جديدة، كما رأينا في الفصل التاسع والعشرين. وكثير من هذه الطرق الجديدة لم تدرس إلّا القليل جدًا. خذ موقع تويتر، على سبيل المثال، الذي يقيد عدد الحروف التي نكتبها فيه إلى 140 حرفًا. ماذا يحدث للغة في مثل هذه الظروف؟ هل يختصر الأشخاص كلماتهم على

التويتر، كما يفعلون في الرسائل النصية؟ ما نوع أنماط الجملة التي يستخدمونها؟ هل يحافظون على جملهم قصيرة، أم إنهم يستخدمون جملاً طويلة جدًا؟ هل (يغرد) الأولاد بشكل مختلف عن الفتيات؟ لا أعرف الإجابة على أي من هذه الأسئلة إلى الآن.

أحد الأمور التي يقوم بها اللغويون هي إيجاد طرق للإجابة على هذه الأسئلة. إذا أردنا دراسة التغريدات، كيف سنبدأ؟ أول شيء يتعين علينا القيام به هو جمع أو تكوين (corpus) أي مجموعة كبيرة من النصوص المنظمة والمهيكلة من التغريدات. ونتفحص بعناية في جميع الأمثلة في هذه المجموعة من النصوص، ونرى أي نوع من اللغات يتم استخدامه. بالطبع، يجب أنْ تكون لدينا معرفة كافية باللغة من أجل القيام بذلك. يجب أنْ نعرف قواعد اللغة ومفرداتها وكل الأشياء الأخرى التي تحدثنا عنها في هذا الكتاب. ولكن إذا كنا نمتلك بعضًا من هذه المعرفة، فلن يستغرق الأمر وقتًا طويلاً قبل أنْ نجد أنفسنا نقوم ببعض الاكتشافات المثيرة للاهتمام.

جميع مجالات اللغة تكون على هذا المنوال. كل واحد من الموضوعات التي يتناولها هذا الكتاب تفتح مجال البحث. عندما ننظر إلى كتب أكثر تقدمًا عن اللغة، سنجد هذه المجالات في قائمة الأسماء الخاصة بها. وهذه بعض منها.

- في نهاية الفصل الخامس تحدثت عن الصوتيات، ودراسة أصوات الكلام. الشخص الذي يدرس علم الصوتيات هو متخصص في الصوتيات.

- في الفصل السادس، تعرفت على القواعد، ودراسة بنية الجملة. الشخص الذي يدرس القواعد هو النحوي.

لقد تحدثت كثيرًا عن المعاني في هذا الكتاب، وخاصة المفردات. كل ذلك جزء من علم الدلالة، ودراسة المعنى في اللغة. الشخص الذي يدرس علم الدلالة هو المختص بالدلالات.

- أفردت مساحة كبيرة من الكتاب لمناقشة كيفية ارتباط اللغة بالمجتمع، من خلال اللهجات المختلفة واللكنات والأصناف الأخرى التي نستخدمها. كل ذلك جزء من علم اللغة الاجتماعي. الشخص الذي يدرس علم اللغة الاجتماعي هو عالم اجتماع.
- كانت دراسة كيفية تعلم الأطفال للغة موضوعًا مهمًا، وهذا جزء من دراسة عامة للعلاقة بين اللغة والطريقة التي نفكر بها ونعلمها. كل ذلك يتم دراسته من قبل علم اللغة النفسي. الشخص الذي يدرس علم اللغة النفسي هو طبيب نفساني.
- لقد تحدّثت أيضًا كثيرًا عن طريقة تغيير اللغة بمرور الوقت، وعن تاريخ الأصوات والكلمات والجمل. يتم دراسة هذه المواضيع من قبل اللغويات التاريخية. الناس الذين يدرسون اللغويات التاريخية هم لغويون تاريخيون. تطلق عليهم أحيانًا تسمية علماء فقه اللغة.

هذه ليست قائمة كاملة بجميع فروع علم اللغويات، ولكن أتمنى أنْ تعطيك فكرة عن العديد من مجالات اللغة التي يقوم فيها الناس بالبحث، وحيث يمكن إجراء الاكتشافات المثيرة.

وهناك شيء إضافي، بعد أنْ ندرس اللغة بهذه الطريقة. نجد أن اكتشافاتنا ليست مثيرة للاهتمام فحسب، بل يمكن أنْ تكون مفيدة أيضًا. فهي تبين إن المعرفة العلمية للغة مفيدة لأشخاص آخرين بكل أنواع الطرق. دعونا ننظر إلى بعض منها.

الأسئلة النهائية

يولد جميع البشر بذات العقول والأعضاء الصوتية، ولكن في الوقت الذي يبلغون من العمر ثلاث سنوات، يحرزون تقدمًا كبيرًا في تعلّم التحدّث بلغة واحدة أو أكثر من بين ستة آلاف لغة مختلفة في العالم. كيف يفعلون ذلك؟ لن يكونوا قادرين على القيام بذلك بسرعة إذا لم تكن أدمغتهم (مهيئة) للغة بطريقة ما. هل يولد البشر ولديهم الاستعداد لاستيعاب اللغة؟ الكثير من الناس يعتقدون ذلك.

إنهم ينظرون إلى دماغ الرضيع وكأنه يمتلك آلية لغوية بداخله تبدأ بالعمل بمجرد أنْ يشغلها شخص ما. قد تتذكر أنني أطلقت عليه اسم (جهاز اكتساب اللغة) في الفصل الثالث.

يجب أنْ يكون الأمر أشبه بجهاز الإنذار ضد السرقة، والذي يرن تلقائيًا بمجرد أنْ يصدمه شخص ما. في حالة اللغة، فإن المشغل هو شخص يتحدّث إلى الجنين. بمجرد أنْ يسمع الطفل الكلام، يبدأ في محاولة فهمه. هل هذه جملة؟ هل هذه كلمة؟ هل هذين الصوتين متشابهان؟

إذا كانت جميع اللغات في العالم تحتوي على سمات مشتركة، فربما هذه هي الميزات المترسبة في الدماغ البشري. كل اللغات لها أسماء وأفعال، على سبيل المثال. هل (يعرف) الأطفال الرُضّع شيئًا ما عن هذه الأشكال منذ البداية؟ وكم من هذه الميزات الشائعة الأخرى قد تكون موجودة؟

بالنسبة إلى شخص لغوي، لا يوجد موضوع أكثر أهمية من محاولة تحديد الخصائص الأساسية للغة البشرية. ما هي الميزات التي تحدد اللغة؟ ما المشترك بين جميع اللغات؟ لماذا تختلف اللغات؟ هذه هي الأسئلة النهائية التي يأمل علماء اللغة في يوم من الأيام الإجابة عنها.



الفصل التاسع والثلاثون



التطبيقات اللغوية

توجد اللغة في كل مكان. كل شخص يستخدمها، ويريد استخدامها بشكل صحيح. لكن في كثير من الأحيان يجد الناس إنهم لا يستطيعون استخدامها بشكل جيد. ويكتشف بعض الأشخاص إنهم لا يمكنهم استخدامها على الإطلاق.

عرفت ذات مرة صبي صغير يدعى توم. كان يبلغ من العمر أربعة أعوام لكنه كان يتحدّث مثل طفل يبلغ من العمر عامين. كان يقول أشياء مثل (كرة ركلة) و(يريد سيارة)، ويستخدم الكثير من الجمل المكونة من كلمة واحدة، مثل تلك التي وصفتها في الفصل الرابع. لكنه كان يبلغ أربعة أعوام من العمر، لذلك كان يجب عليه أنْ يقول بعض الجمل الطويلة التي تتضمن قصصًا. لم يكن كذلك كان هناك شيء ما خاطئ بشكل فظيع.

عدد قليل من الأطفال لديهم ما يسمى (التأخر اللغوي). لسبب ما لا يتعلمون التحدّث بالسرعة التي تجب. أصدقاؤهم يتقدمون إلى الأمام ويتركوهم وراءهم. ونتيجة لذلك، فإنهم يشعرون بالوحدة الشديدة. لا أحد يريد التحدّث معك إذا لم تستطع أنْ تتحدّث.

هل يمكن فعل أي شيء لمساعدة هؤلاء الأطفال؟ نعم بالطبع. يمكنهم الذهاب إلى أخصائي النطق، وهو شخص تمّ تدريبه خصيصًا للعمل على معالجة عيوب النطق وهو من يعرف كيفية تعليم اللغة للأطفال. هذا ما حدث لتوم. لعبت أخصائية النطق بعض الألعاب معه واستمعت إلى طريقة حديثه. وقامت بتسجيل كلامه وتحدّثت مع والدته وأبيه طلباً لمعلومات عنه. لقد أخذوا توم لزيارة طبيب، لكن الطبيب لم يجد أي علة فيه. قام بفحص سمعه، وكان جيدًا. بدا طبيعيًا تمامًا في كل شيء، إلّا أنه لم يكن يتكلم فقط.

بعد أنْ ذهب توم ووالديه إلى المنزل، استمعت المعالجة بعناية إلى التسجيل الصوتي الذي سجلته، وتفحصت بالضبط نوع الكلمات والأصوات والجمل التي كان توم يستخدمها. ثم نظرت إلى الرسم البياني الذي أظهر كيف تتطور اللغة عند الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عامين وثلاثة وأربعة. كان يمكنها أنْ ترى أن توم كان بعيدًا عن ذلك المسار.

الخطوة التالية، كما قرّرت، هي تعليم توم كيف يقول بعض الجمل الجديدة. إذا كان يقول أشياء مثل (ركل الكرة)، ربما يمكن

أن تمكّنه من جعل هذه الجمل أطول قليلاً. لذا عندما عاد توم لرؤيتها بعد بضعة أيام، لعبت ألعابًا معه، مما جعله يقول أشياء مثل (ركل الكرة الحمراء) و(ركل الكرة الزرقاء). ثم علمته أنْ يقول (إن المهرج يركل الكرة)، وغيرها من الجمل المشابهة. لقد كانت عملية بطيئة. لم يتعلم توم الجمل الجديدة مباشرة وعلى الفور. لكن المعالجة كانت صبورةً جدًا، وبعد بضع زيارات أخرى بدأ في إحراز بعض التقدم.

ظل توم يذهب لزيارة معالجة النطق مرتين في الأسبوع لأكثر من عام. خلال كل زيارة كانت تساعده على استخدام اللغة التي كانت أصعب بكثير مما استخدمه في الأسبوع السابق. بدأ العلاج يعمل. وعندما أصبح في الخامسة من العمر، كان قد تعلّم كثيرًا. لم يكن يتكلم بطلاقة مثل غيره من الأطفال في سن الخامسة، لكنه كان بالتأكيد قادرًا على الحفاظ على المحادثة في نهاية المطاف. وكان قادرًا على بدء التعلم في المدرسة مع أصدقائه.

الآن دعونا نترك هذه القصة، ونفكر في المهارات التي يجب على معالجة النطق أنْ تقدمها لمساعدة توم.

- كان عليها أنْ تعرف الطريقة التي يتعلّم بها الأطفال الكلام عادة، حتى تتمكن من تحديد مدى المسافة التي يبعد بها توم البالغ من العمر أربع سنوات.
- كان عليها أنْ تعمل بالضبط على ما هو الخطأ في لغة توم، وهو ما يعني دراسة نطقه وقواعده ومفرداته، وكيف يبدأ في محادثة.

- بمجرد أنْ تفعل ذلك، كان عليها أنْ تفكر في طريقٍ لتوصيل توم من حيث كان إلى حيث يجب أنْ يكون، من كونه يتحدث مثل طفل يبلغ من العمر عامين إلى أنْ يصبح يتحدث مثل طفل عمره أربع سنوات.
- وبمجرد أنْ بدأت تأخذ بيده على طول هذا الطريق، كان عليها أنْ تراقب بدقة كيف كان يفعل. إذا علمته ببطء شديد، فقد يشعر بالملل. إذا علمته بسرعة كبيرة، قد يختلط عليه الأمر. كان يجب أنْ يتم التدريس بصورة صحيحة تمامًا.
- كما اضطرت لإعطاء والدا توم بعض المساعدة والنصيحة. كانت ترى توم فقط لمدة نصف ساعة مرتين في الأسبوع. ماذا سيحدث له بقية الوقت؟ سيكون على الو الدين القيام بتعليمه بعض الأشياء أيضًا. وكان عليها أنْ تعلمهم كيفية القيام بذلك.

لذلك فان تكون أخصائيًا في علاج الكلام فهذا يعني إنها وظيفة. ومن يعملها عليه أنْ يعرف كل شيء عن اللغة. وعندما يتعلم الناس أنْ يكونوا كذلك، فإنهم يقضون الكثير من الوقت في دراسة الصوتيات، والقواعد، ولغة الطفل، والعديد من الأجزاء الأخرى من اللغويات. في الواقع، اللغة هي موضوع هام بالنسبة لهم، في بريطانيا، تمْ تغيير اسم وظيفتهم قبل بضع سنوات. يُعرف الآن معالجو النطق باسم (معالجو الكلام واللغة). في الولايات المتحدة الأميركية يطلق عليهم اسم (علماء أمراض النطق).

من السهل أنْ ترى كيف يمكن أنْ يكون البحث الذي يقوم به علماء اللغة مفيدًا لمعالجي النطق. ساعد اللغويون في رسم خارطة الطريق التي استخدمها معالج النطق لتوجيه توم من خلال متاهة الأصوات الإنكليزية، والكلمات، والجمل. وقاموا بإجراء العديد من الدراسات حول كيفية تعلّم الأطفال العاديين للّغة. اللغويون هم علماء اللغة، لذلك يمكن تطبيق جميع المعلومات التي يكتشفوها عن كيفية عمل اللغة وكيف يتم تعلمها واستخدامها على الفور للمساعدة في حل المشكلات مثل لغة توم المتأخرة. وعندما يتم استخدام علم اللغة لحل المشكلات بهذه الطريقة، يطلق عليه اسم علم اللغة التطبيقي.

خلال القرن العشرين، استخدم علماء اللغة معرفتهم الخاصة لمساعدة الناس على تحسين خدماتهم في العديد من المجالات حيث تُمثل اللغة مصدر قلق رئيس. كان مجال تدريس اللغة الأجنبية والتعلم مجالاً مهمًا بشكل خاص. كل يوم، الملايين من الناس يبذلون قصارى جهدهم لإحراز تقدم في تعلم لغة أجنبية. لذا يتم دائمًا طرح أسئلة مثل هذه:

- كيف يمكننا إيجاد طرق لمساعدة الطلاب على التعلّم بطريقة أكثر سهولة وكفاءة؟
- كيف يمكننا إيجاد طرق أفضل لتدريس اللغة؟
- كيف يمكننا استخدام أحدث تقنيات الكمبيوتر لجعل عملية تعلّم اللغة عملية أكثر متعة، وخاصة للشباب؟

- كيف يمكننا أنْ نجعل المعلمين والطلاب على اطلاع دائم على الطريقة التي تتغير بها اللغة، حتى يتعلموا أحدث اللغات وليس أنواعًا قديمة؟

هذه هي أنواع الأسئلة التي تشغل بال علماء اللغة، عندما يفكرون داخل الفصل الدراسي لتعليم اللغات.

يقدم علماء اللغة التطبيقية المساعدة في جميع أنواع المواقف. يدرس البعض اللغة المستخدمة في برامج القراءة في المدارس الابتدائية ويقترح طرقًا جديدة لمساعدة الأطفال الصغار على تعلم القراءة. يعمل البعض مع الأشخاص الذين تموت لغاتهم، مثل تلك المذكورة في الفصل العشرين، لمعرفة ما إذا كانت هناك طرق للحفاظ على اللغات. يدرس البعض اللغة المطبوعة على الأشياء التي نشتريها في المتاجر، لمعرفة ما إذا كانت واضحة. حصلت ذات مرة على وصفة لطبيب مكتوب فيها: «خذ قرصين كل يوم عن طريق الفم» لكن ماذا يعني هذا؟ هل يعني ذلك إنني يجب أنْ أتناولهما معًا، مرة واحدة في اليوم؟ أو هل يعني ذلك إنني يجب أنْ آخذ واحدة في الصباح وواحدة في المساء؟ من السهل حل المشكلة، بمجرد الإشارة إليها. يوجد مجالٌ رائعٌ لعمل علم اللغويات التطبيقية وهو عالم كشف الجرائم. رأينا جميعًا على شاشة التلفزيون وصول علماء الأدلة الجنائية للمساعدة في حل الجريمة. يقومون بتحليل الأسلحة، والبحث عن بصمات الأصابع، ومسارات الإطارات، وآثار الأقدام، والقيام بجميع أنواع التحقيقات الذكية الأخرى لمعرفة (من

فعل ذلك). يقوم علماء الأدلة اللغوية بعمل نفس الشيء. فهم يحللون الرسائل والأصوات وبيانات الشرطة وسجلات البريد الإلكتروني والرسائل النصية ومحادثات الدردشة، وجميع أنواع اللغات الأخرى لمعرفة (مَنْ قال ذلك) أو (مَنْ كتبه). إذا أرسل جون لماري رسالة تهديد مجهولة الهوية أو قام بتوقيعها، فيمكن غالبًا إثبات ما حدث من اختلافات بسيطة في طريقة استخدام الشخص للّغة. إذا كان شخص بالغ يتحدث في غرفة الدردشة الخاصة بالمراهقين، ويتظاهر بأنه في عمر 15 عامًا، قد يكون المتخصص في الادلة اللغوية قادرًا على اكتشافه، لأن لغته لن تكون تمامًا مثل تلك المستخدمة من قبل المراهقين.

هناك مجال ينمو بسرعة كبيرة في اللغويات التطبيقية هذه الأيام هو مساعدة الناس على استخدام الإنترنت بشكل أفضل. في بعض الأحيان يكون من الصعب العثور على طريقنا. وأحيانًا نرى بعض الأشياء الغريبة جدًا تحدث. على سبيل المثال، قبل بضع سنوات كنت أقرأ تقريرًا على شبكة الإنترنت عن شخص طُعِن حتى الموت في أحد شوارع مدينة أميركية. ثم لاحظت أن هناك إعلانات أسفل الجانب الأيمن من الشاشة. قالت الإعلانات (اشترِ سكاكينك هنا!) و(احصل على سكاكين ممتازة على موقع eBay!).

من السهل معرفة ما فعله الكمبيوتر. وجدت كلمة (سكين) في قصة القتل، وافترضت أنها تعني نوع السكين الذي نستخدمه على مائدة العشاء. بالنسبة إلى هذه القصة، يجب أنْ تكون الإعلانات

الموجودة على جانب الشاشة ذات صلة بالسلامة ومنع الجريمة. ما هو الحل؟ يحتاج شخص ما إلى تحليل لغة صفحة الموقع لتحديد ما تتحدث عنه بالضبط، ثم مطابقة الصفحة مع الإعلانات الأكثر ملاءمة. هذا ما يفعله بعض اللغويين التطبيقيين.

لم يقم أحد بهذا النوع من الأبحاث منذ بضع سنوات. إنها واحدة من المجالات الجديدة من اللغويات التطبيقية. وربما هذا هو الشيء الأكثر إثارة في دراسة اللغة. أنتَ لا تعرف أبدًا ما الذي سيحدث بعد ذلك. تتحرك اللغة بمسارات غير متوقعة في بعض الأحيان. لا يمكن التنبؤ بالمستقبل أبدًا.





يوماً ما...

سبق وأنْ قلت: لا يمكن أبدًا التنبؤ بالمستقبل. لكن يمكننا أنْ نحزر بعضًا مما سيتم اختراعه. هنا أربعة منهم.

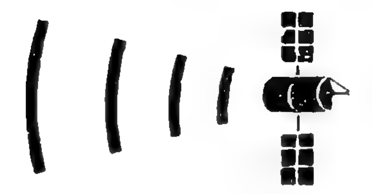
سنشاهد آلات تتحدث إلينا أكثر وأكثر. وبالفعل، في السيارة، يخبرنا نظام الملاحة عبر الأقمار الصناعية GPS بصوت عالٍ عن الطريق الذي يجب أنْ نسلكه. ستتحدث إلينا جميع أنواع الأجهزة الأخرى يومًا ما. إذا تركت الإضاءة مفتوحة في منزلي، أثناء مروري بالباب الأمامي، فإن بعض الأجهزة الرقمية سوف تذكرني بالعودة وإغلاقها.

سنجد أنفسنا نتحدث إلى الأجهزة أكثر وأكثر. توجد بالفعل أنظمة صوتية في الهواتف تقوم بالتسجيل وتعيده مرة أخرى عندما نأمرها بذلك.

وكما ذكرت في نهاية الفصل السابع، هناك غسالات تعمل وفق أوامرنا. وللقيام بذلك، يجب أنْ يكون لديها برنامج جيد جدًا يميز الأصوات، يجعلها قادرة ليس على فهم كلماتنا فقط بل ولهجاتنا أيضًا. في الوقت الحاضر، هذا البرنامج محدود للغاية فيما يمكنه القيام به؛ ولكن في يوم من الأيام سيكون البرنامج قادرًا على التعامل مع كل ما يسمعه.

سنرى الأجهزة تترجم بين اللغات بشكل أكثر كفاءةً. هناك بالفعل العديد من المواقع التي تقدم خدمة ترجمة الكمبيوتر، ولكن النتائج في كثير من الأحيان ليست جيدة للغاية. ستتحسن كثيرًا بمرور الوقت.

سنكون قادرين على رؤية ما يحدث للغة في الدماغ. بالفعل، من الممكن استخدام آلة مسح خاصة لمعرفة أي أجزاء من الدماغ تكون أكثر نشاطًا عندما نتحدّث، ونستمع، ونقرأ، ونكتب. في يوم من الأيام، سنتمكن من تحديد الأصوات الفردية والكلمات وأنماط الجملة.



الفصل الأربعون



عالمك اللغوي

لم أقلْ في هذا الكتاب سوى القليل. لقد أخبرتك بقدر ما أستطيع عن اللغة، في هذا الكتاب الصغير المكون من أربعين فصلاً. الآن يعود الأمر لك. الناس يقولون لنا دائمًا إن مستقبل هذا الكوكب في أيدينا. هذا صحيح. وهذا ينطبق بنفس القدر على اللغة بقدر ما ينطبق على النباتات والحيوانات وتغير المناخ.

إذن ما الذي يجب أنْ تهتم به، إذا كان لديك اهتمام حقيقي باللغة؟ لدي ستة أشياء كبيرة تهمني، وآمل أنْ تهتم بها أيضًا، وربما في يوم من الأيام، أنْ تفعل شيئًا للمساعدة في جعل عالمك اللغوي مكانًا أفضل للعيش فيه؛ لأنه عالمك الذي أتحدّث عنه وليس عالمي فقط.

I

أرجو أنْ تهتم بحقيقة أن العديد من اللغات في العالم تموت. لقد تحدّثت عن هذا في الفصل العشرين. من المرجح أنْ تموت نصف لغات العالم خلال هذا القرن. إذا أراد الأشخاص الذين يتكلمونها الحفاظ عليها، فهل هناك طرق يمكنك المساعدة بها؟ نعم، توجد. يكون الحفاظ على اللغة ممكنًا إذا كان الناس يهتمون بها بما فيه الكفاية، وإذا كان السياسيون يهتمون بها بما فيه الكفاية. إنهم السياسيون الذين يتحكمون في المصادر التي يمكن أنْ توفر المال لمساعدة اللغات على البقاء. ومن سيصوّت لهؤلاء السياسيين؟ إن الذي تصوّت. له: اجعلهم يدركون أهمية التنوع اللغوي.

II

أرجو أنْ تهتم بلغات الأقليات، حتى لو لم تكن مهددة بالانقراض بشكل خطير. انظر حولك، في أي بلد كنت تقرأ هذا، وسترى عشرات اللغات يتحدّث بها مجموعات صغيرة من الناس. تحدّثت عن هذا في الفصل الثالث عشر. هؤلاء الناس فخورون بلغتهم كما تفعل مع لغتك. إنها جزء من هويتهم، ويريدون أنْ يتم معاملتها باحترام من قبل الآخرين. لغتهم جميلة مثل لغتنا، وهم فخورون بها. إنهم يودون أنْ تظهر في المدارس والمراكز الاجتماعية والمكتبات وغيرها من مجالات الحياة العامة. هل يمكنك مساعدتهم على فعل هذا؟ الخطوة الأولى هي

إظهار الاهتمام بلغاتهم. إذا كانت هناك لغات أخرى منطوقة في مدرستك، أو في مدينتك، فقم بإعطاء الأولوية لمعرفة ما هي، ومحاولة سماعها بين الحين والآخر.

III

آمل إنكَ ستهتم بما يكفي بشأن اللغات التي تريد أنْ تتعلم أكبر عدد ممكن منها. لا يجب عليك أنْ تتكلمها بطلاقة، كما قلت في الفصل الثامن والثلاثين. تعرّف على ما تحتاجه، حتى لو كان فقط للاستماع أو القراءة. التقط العديد من القطع والمقاطع قدر ما تستطيع، وحافظ على ملاحظة ما قمت به، وذلك باستخدام شيء مثل Europass الذي وصفته في نهاية الفصل الثالث عشر. الشيء المهم هو تطوير شخصية متعددة اللغات للاستمتاع بتنوع اللغات في العالم. لا تخاف أبدًا من تجربة لغة ما. لا تذهب أبدًا إلى بلد أجنبي بدون قاموس صغير في جيبك. حاول استخدام كلمة واحدة جديدة على الأقل كل يوم. ولا تقلق من ارتكاب الأخطاء. أنا أخطِئ في كل وقت، عندما أحاول أنْ أنطق لغتي، وأستطيع دائمًا أنْ أتجاوزها. الجميع مسرور لأنني أفعل ذلك.

IV

أرجو أنْ تهتم بالتنوع الموجود في لغتك الخاصة. هذا يعني أنْ تكون مهتمًا بجميع الطرق التي تختلف بها اللغة في جميع أنحاء البلاد، اللكنات واللهجات التي تحدّثت عنها في الفصل الثاني

عشر. ليس عليك أنْ تعتبر كل لهجة ولكنة جميلة بنفس القدر، بالطبع، كما إنك ليس ملزماً أنْ تعتبر كل نمط من الموسيقى جميلاً على حد سواء. لكن حاول أنْ تقدر تفرد كل واحدة، واستكشاف كيف أصبحت على النحو الذي هي عليه. ولا تلف وتدور، كما فعل الكثيرون في الماضي، قائلين إن بعض اللهجات (كسولة) أو إن أصوات المتحدثين تبدو (غبية). يعتقد الكثير من الناس أن بإمكانك معرفة ما إذا كان الناس صادقين أم غير نزيهين من مجرد الاستماع إلى الطريقة التي يتحدثون بها. أخبرهم بأن ما يقولونه هو هراء.

V

أرجو أنْ تهتم بمجموعة الأنماط الموجودة في لغتك الخاصة، مثل تلك التي تحدّثت عنها في الفصل الخامس والثلاثين. الخطر، خصوصًا هذه الأيام، هو أنْ تنغمس في أحدث التقنيات، والفرص التي تقدمها وسائل التواصل الاجتماعي (مواقع مثل فيسبوك أو تويتر) للتواصل مع الآخرين، وتنسى كل شيء آخر. لا يتمسك اللغويون بنمط لغوي واحد فقط. يحاولون الحفاظ على التوازن، ويرون الطريقة التي يقوم بها كل نوع من اللغات بعمل مختلف عن الآخرين. ضع في اعتبارك المقارنة مع خزانة الملابس الخاصة بكَ التي قمت بها في الفصل السادس والثلاثين. تحتاج إلى أنْ تكون قادرًا على التعامل مع جميع أنواع الأنماط، إذا كنت تريد أنْ تكون في أفضل حالاتك في المجتمع. وبالطبع

هذا يعني إتقان – الإتقان الفعلي – المجموعة القياسية الخاصة بلغتك. إنه يعني اتخاذ قدر من العناية بقدر ما يمكنك أنْ تكون واضحًا، لتجنب الغموض، والتحكم في كل التأثيرات التي توفرها لك اللغة. الخطوة الأولى، بالطبع، هي معرفة ماهية هذه التأثيرات. هذا هو المكان الذي تدخل فيه دراسة اللغة.

VI

أرجو أنْ تهتم بالأشخاص الذين يواجهون صعوبات في التعلّم أو استخدام لغتهم الأمّ، ومحاولة مساعدتهم. تحدّثت عن صبي صغير من هذا القبيل في الفصل التاسع والثلاثين. أولئك الذين لديهم مشاكل في التحدّث كثيرًا ما أخبروني كيف تتم معاملتهم بطريقة قاسية. يبدو إن الناس مستعدين كثيرًا للتسلية والضحك على أولئك الذين لديهم صعوبة في النطق، أو بعض الصعوبات الأخرى في الكلام. إذا كنت لغويًا حقيقيًا، فلن تقف عند هذا النوع من الأشياء. ولا تخف من مساعدة الأشخاص الذين يواجهون صعوبة في التعبير عن أنفسهم. على سبيل المثال، قد يكون هناك (نادٍ للمصابين بالسكتة الدماغية) في منطقتك، حيث يلتقي الأشخاص الذين فقدوا لغتهم بسبب انفجار الأوعية الدموية في الدماغ، مما تسبب في إصابتهم بما يسمى بـ (السكتة الدماغية). وغالبًا ما يرحبون بالشباب الذين لديهم الوقت لمساعدتهم في التحدّث مرة أخرى. انظر حول مدرستك الخاصة. غالبًا ما يكون الأشخاص الذين لديهم مشكلة في النطق

وحيدين، لأنهم لا يستطيعون التحدّث إلى الآخرين بطريقة طبيعية. قد تكون قادرًا على المساعدة أيضًا.

تختلف اللغة عن أي موضوع آخر تدرسه، لأن اللغة جزء من كل شيء درسته. إنها توجد خارج المدرسة أيضًا، لتشكل جزءًا من كل شيء تفعله. حتى إذا كان لديك تجربة لا تنطوي على لغة، مثل الاستماع إلى الموسيقى في حفلة موسيقية أو النظر إلى لوحة، فستحتاج إلى التحدّث عنها بعد ذلك.

اللغة لا تتركك وحدك. إنها هناك في رأسك، وتساعدك على التفكير. هناك لمساعدتك في إقامة علاقات وإنهائها. هناك لتذكيرك من أنتَ ومن أين أتيت. هناك لتحيتك وتشجيع الآخرين، إذا كانوا يشعرون بانخفاض قيمتهم.

اللغة لا تفعل كل شيء. في بعض الأحيان لا توجد كلمات لما نريد أنْ نقوله. في بعض الأحيان يكون من الأفضل أنْ لا نفعل سوى معانقة شخص ما. يقول الناس أحيانًا (إن الصورة تساوي ألف كلمة) هذا صحيح. لكن اللغة ليست بعيدة أبدًا. للتحدّث عن الصورة، قد تحتاج إلى ألف كلمة.

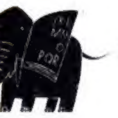
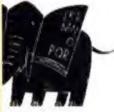
علينا أنْ نتعلم متى نستخدم اللغة ومتى لا نفعل ذلك. إليكم مقولة أخرى (الكلام من فضة، والسكوت من ذهب) هذا المثل يذكّرنا بأنه لا ينبغي لنا أنْ نثرثر أكثر من اللازم. نحتاج لأن نصمت بين الحين والآخر إنها نصيحة جيدة. لكن ماذا نفعل في الصمت؟ نستمع إلى ما يقوله الآخرون. والاستماع هو جزء من اللغة أيضًا.

هذا (كتاب صغير) عن اللغة. لكن اللغة هي موضوع كبير. وفي رأيي لا يوجد ماهو أكبر منها. وأنا أشبهها بجبل إيفرست لكثرة مواضيعها. واعتقد إن هذا هو السبب في أنني أجد كل ذلك رائعًا. وإذا كنت قد رافقتني طوال هذه الرحلة إلى أن وصلنا الصفحة الأخيرة، فإنني آمل إنك أصبحت الآن تعتقد ذلك أيضًا.













ديڤيد كريستال

هو واحد من المتخصصين اللغويين البارزين في العالم، وهو أستاذ فخري في جامعة بانغور في ويلز. وقد نشر العديد من الكتب عن اللغة الإنكليزية، وعن اللغويات وساهم في كتابة العديد من الموسوعات العامة والكتب المنهجية الخاصة باللغة والتي تدرس في المدارس ويشارك بانتظام في البرامج الإذاعية التلفزيونية، من مؤلفاته (قصص عن اللغة الإنكليزية)، صدر عام ٢٠٠٤. و(لغة الرسائل النصية)، صدر عام ٢٠٠٨. وكتاب (تكفيني عبارة واحدة لا غير)، صدر عام ٢٠٠٩.





يغوص ديفيد كريستال في كتابه الصغير هذا في عشقه لمتعة اللغات والكلمات في كل أرجاء العالم مستخدماً أسلوباً طريفاً للغاية ولغة بسيطة ومتدفقة ودقيقة جداً، غير وجلة ولا تغرق في التفاصيل.

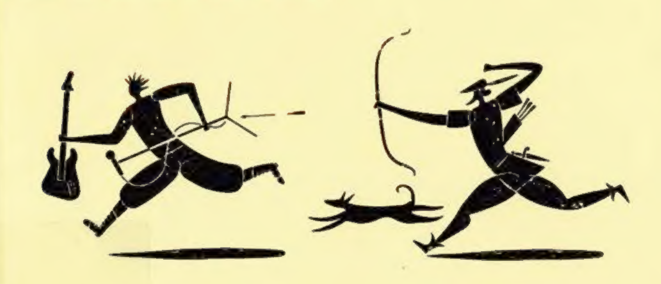
صحيفة التايمز

كتاب مختصر تاريخ اللغة قد يكون موجه للأطفال (من جميع الأعمار كما يقول المثل) ولكن هذا لا يعني أن محتواه خالٍ من الحكمة . بكلمة أخرى إقتنيه لابنك أو ابنتك ولكن أحرص على أن تقرأه بنفسك.

صحيفة الواشنطن بوست

كتاب تعليمي ومسلٍ يحتفي باللغات وعلم اللغات.

بي. دي. سميث من صحيفة الغارديان





ISBN 978-9922-601-68-7



معنى
MA'NA
للنشر والترجمة
PUBLISHING & TRANSLATION
العراق - بغداد - المنصور
darmanairaq@gmail.com



دار الكتب العلمية
للطباعة والنشر والتوزيع
العراق - بغداد - شارع المتنبي
07819141219 | 07702931543
darktbalmya@yahoo.com